مُحَمَّد حمدي صالح الجعفري

نُوري السّعيد وبريطانيا
خلاف أم وفاق؟

الأوائل

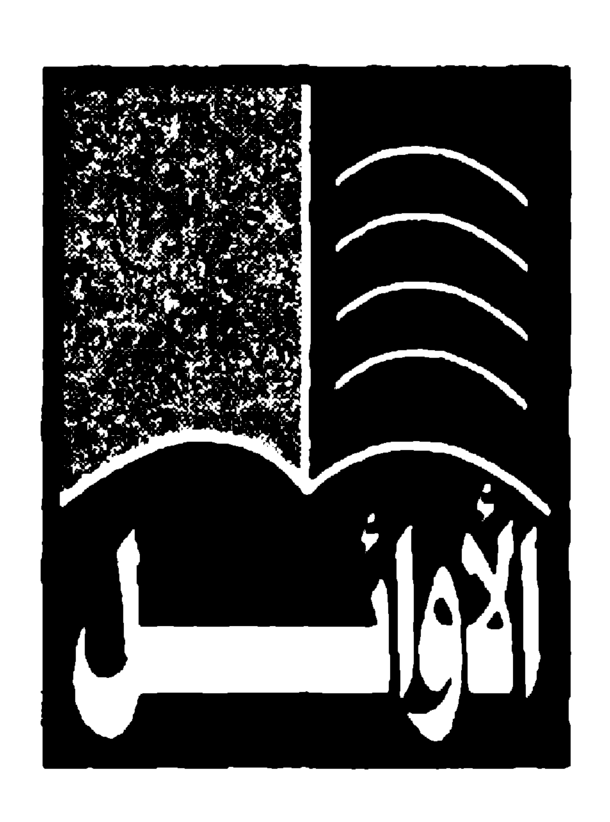
2005

قرؤوا فوصلوا

لنقرأ حتّى نصل

الطّبعة الأولى

حزيران 2005 م



تصميم الغلاف: هلا خلوصي

الإشراف الفنّي: يـــزن يعقـــوب

التّدقيق والمُراجعة: إسماعيل الكردي

الكتاب: نوري السّعيد وبريطانيا

خلاف أم وفاق؟

تاليف: مُحَمَّد حمدي صالح الجعفري

النَّاشر: الأوائل للنَّشر والتَّوزيع

سُوريَة . دمشق الإدارة: ص . ب 3397

هـاتـف: 00963 11 2233013

فـاكس: 00963 11 2460063

البريد الإلكتـروني:

alawael@scs-net.org

التَّوزيع: دمشق ص . ب 10181

البريد الإلكتـروني:

alawael@daralawael.com

جـوَّال: 00963 93 411550

00963 93 418181

موقع الدَّار على الإنتـرنت:

www.daralawael.com

الفهرس

المُقدِّمة 7

الفصل الأوَّل: 9

نُشوء العلاقة وتطوُّرها بين بريطانيا ونُوري السّعيد 9

تمهيد: 9

1 - نُوري السّعيد: النّشــأة والتّكوين: 16

2 - اتِّصال نُوري السّعيد بالسّاسة البريطانيّين: 24

3 - نُوري وحُكُومة سُوريا العَرَبيَّة: 28

4 - نُوري والحُكُومة العراقيَّة المُؤقَّتة عام 1920: 29

5 - نُوري السّعيد ومهمَّة حماية المصالح البريطانيَّة: 39

6 - نُوري السّعيد والموقف البريطاني من قضيَّة فلسطين : 49

تمهيد : 49

الفصل الثّاني: 65

نُوري السّعيد والمهمَّة الإقليميَّة في الخمسينيَّات 65

1 - مشاريع الدّفاع عن الشّرق الأوسط: 66

2 - نُوري السّعيد والإصــلاح: 71

3 - نُوري واتِّفاقيَّة النّفط: 76

4 - نُوري والتّلويح بالخطر الشُّيُوعي: 78

5 - نُوري وتعديل مُعاهدة 1930: 82

6 - نُوري وسياسة الأحلاف في الخمسينيَّات: 89

الفصل الثّالث: 96

أزمة السُّويس والتّحالف البريطاني ـ العراقي وإجراءات نُوري السّعيد 96

1 - الاعتداء الثّلاثي على مصر ، وبداية السُّقُوط البريطاني: 101

2 - إجراءات حُكُومة نُوري السّعيد ومُناوراته خلال العُدوان الثُّلاثي: 107

ـ مُذكّرة إلى الحُكُومة البريطانيَّة: 112

ـ اجتماع اللّجنة السّياسيَّة لجامعة الدُّوَل العَرَبيَّة: 113

- تطبيق خُطَّة الشّرطة لحماية أمن العاصمة: 118
- مراحل التّنفيذ: 119
- ومن وصايا تنفيذ الخُطَّة: 120
- خُطّة أمن العاصمة العسكريّة لحمايّة بغداد: 121
- اجتماع قصر الرّحاب: 122
- بيان اجتماعات حلف بغداد للدُّول الإسلاميّة: 123
- بيان السّفارة العراقيّة في لندن: 124
الفصل الرّابع: 143
نُوري السّعيد وانضمام الكُويت إلى العراق والتّآمر على سُوريا 143
تمهيد: 143
1- نُوري السّعيد ونُشُوء فكرة انضمام الكُويت إلى العراق: 144
2- نُوري والتّقارب مع أُسرة آل صباح: 151
3- بريطانيا والحلّ العراقي - الكُويتي: 155
4- نُوري والمشروع البريطاني لحلّ الخلاف: 164
5- آراء نُوري السّعيد لانضمام الكُويت للعراق: 169
6- نُوري والتّآمر على عرش سُوريا: 174
الفصل الخامس: 184
الثّورة في العراق ونهاية نُوري السّعيد والنُّفُوذ البريطاني 184
1- إعلان الثّورة وسُقُوط النّظام الملكي في العراق: 190
2- السّاعات الأخيرة من حياة نُوري السّعيد: 194
3 - موقف بريطانيا من الثّورة في العراق: 201
4- تدابير الحُكُومة العراقيّة الجديدة: 207
5- موقف دُول حلف بغداد من الثّورة: 213
6- اجتماع لندن والاعتراف بالحُكُومة العراقيّة الجديدة: 216
7- نُوري السّعيد... باختصار: 220
صُور تتحدّث عن نُوري السّعيد 225
المراجع والمصادر 233

المُقدِّمة

نُوري السّعيد شخصيَّة غير عاديَّة، شغلت أذهان النّاس في العراق والمنطقة العَرَبيَّة ردحاً من الزّمن، فمُنذُ بُرُوزه فوق المسرح السّياسي لفت أنظار السّاسة العَرَب والأجانب، طيلة نصف قرن، لما يتمتَّع به من ذكاء وقَّاد، وفطنة عالية، وقُدرة على المُناورة والخداع، وكان البريطانيُّون أوَّل مَنْ انتبه إلى مواهبه، وقادهم ذلك للتّفكير به، ومدِّ الجُسُور، والتّعاون معه، ذلك لأنَّهم كانوا بأمسِّ الحاجة له، فقد كانوا مُنشغلين بتأسيس الحُكم الوطني في العراق أواخر عام 1920، الذي جاء كنتيجة لثورة العشرين، التي انتفض بها الشّعب العراقي ضدَّ الاحتلال البريطاني. وفي ذلك الوقت، كانوا بحاجة إلى خدمات رجل يمتلك هذه المواهب، لحماية مصالحهم في العراق، وأرادوا أنْ يكون مُحبَّاً وصديقاً لبريطانيا، فوجدوها عند نُوري السّعيد، وقد نجحوا في مسعاهم، وكسبوه صديقاً وفيّاً لهُم، وبادلهم نُوري المشاعرنفسها، فباتوا يُوكلون إليه المهامَّ الجسام، مُنذُ أنْ قدم إلى العراق عام 1920، واستقرَّ بمنصبه كمُدير للشّرطة العامّ في الحُكُومة العراقيَّة الجديدة، وبعدها؛ رئيساً لأركان الجيش، ثُمَّ وزيراً للدّفاع، ورئيس للوُزراء لعدَّة مرَّات، وبقى مُخلصاً لبريطانيا، وفيّاً لها، حتَّى ساعة انتهاء نُفُوذها عام 1958. كانت فلسفة نُوري السّعيد السّياسيَّة تقوم على أساس أنَّ بريطانيا دولة عُظمى، تحتاجها دولة العراق الفتيَّة اليافعة؛ لتُوفِّر لها الحماية والرّعاية، وقد روَّج لتلك السّياسة كثيراً بين أوساط السّاسة العراقيِّيْن، ثُمَّ قدَّم لأصدقائه البريطانيِّيْن أغلى ما كانوا يتمنَّونه، عندما أصبح رئيساً للوُزراء لأوَّل مرَّة عام 1930، فوقَّع معهم

مُعاهدة 1930، الشّهيرة، وبمُوجبها؛ ضمنت بريطانيا مصالحها كافّة في العـراق، لكنَّه واجه نقداً مريراً من السّاسة العراقيّين، فضلاً عن العداء الذي قُوبل بـه مـن الشّعب العراقي، الذي عدَّه عدوّاً له؛ لأنّه ارتهن إرادتـه بالبريطـانيّين مـن خـلال هذه المُعاهدة، وحتّى عندما دخلت بريطانيا الحرب ضدَّ ألمانيـا عـام 1939، كـان واثقاً من انتصارها، فلم يتراجع عن فلسفته، التي روَّج لها طويلاً،ووقف بـإصرار وعناد أمام مَنْ حاول الوُقُـوف ضـدَّه مـن الـسّاسة العـراقيّين ، واسـتمرَّ يُـساند بريطانيا، وقال كلمته الشّهيرة: (لو أنّنـي أعـرف أنَّ بريطانيـا ستُهزَم في الحـرب لكان أوّل مَنْ يُشهر السّلاح ضدَّها). وعندما انتهـى النُّفُـوذ البريطـاني في العـراق صبيحة 14 تمُّوز عام 1958، كان نُوري من بين الضّحايا الأوائل الـذين سـقطوا دفاعاً عن أصدقائه البريطانيّين ، وهكذا انتهت هذه الأسـطُورة التـي قُـدِّر لهـا أنْ تلعب دوراً سياسيَّاً مُهمّاً في حياة العراق والمنطقة، مُنذُ أوائل القرن العشرين وحتّى صبيحة ذلك اليوم. إنَّ هذا البحث يُسلِّط الضّوء بالتّفاصيل على شخـصيَّة نُـوري السّعيد، ويضعها تحـت التّحليـل والتّمحـيص مُنـذُ دُخُولـه الحيـاة العـسكريَّة في استنابول، مُـرُوراً بحياتـه الـسّياسيَّة، ودوره العـسكري في الثّـورة العَرَبيَّـة عـام 1916، ثُـمَّ دوره الـسّياسي المُهـمُّ في العـراق، الـذي اضـطلع بـه مُتعاونـاً مـع البريطانيّين مُنذُ تكـوين الحُكـم الـوطني عـام 1921، وحتّـى سُـقُوطه مُـضرَّجاً بالدّماء صبيحة 15 تمُّوز عام 1958.

الفصل الأوَّل:

نُشوء العلاقة وتطوُّرها بين بريطانيا ونُوري السَّعيد

تمهيد:

يعود أوَّل اتِّصال لنُوري السَّعيد بالبريطانيِّين إلى شُباط من عام 1909، عندما اعتُقل عزيز علي المصري زعيم جمعيَّة العهد السِّرِّيَّة في استانبول على يد حزب الاتِّحاديِّين الأتراك، وتحرَّك نُوري لإنقاذه، وكان ـ وقتذاك ـ ضابطاً في الجيش العُثماني، وأحد أعضاء الجمعيَّة، فاتَّصل بالسَّكرتير الشَّرقي البريطاني في السَّفارة البريطانيَّة باستنابول؛ لُممارسة الضَّغط على الحُكُومة التُّركيَّة لإطلاق سراحه[1].

وعندما نزلت الحملة العسكريَّة البريطانيَّة المُحتلَّة في الفاو في تشرين الثَّاني عام 1914، كان نُوري يرقد في مُستشفى الإرساليَّة الأمريكيَّة في البصرة؛ لإصابته بمرض التَّدرُّن، ونُقل كأسير حرب عُثماني إلى الهند، رغم أنَّه كان هارباً من الجيش العُثماني[2]، وفي الهند؛ توطَّدت علاقته بالبريطانيِّين، ومُنح راتباً شهريًّاً، وتعلَّم اللُّغة الإنكليزيَّة، بعد أنْ تمتَّع بحُرِّيَّة نسبيَّة، باعتباره من الأسرى[3]، ثُمَّ تطوَّرت العلاقة أثر اشتراكه بثورة الحجاز، التي قادها الشَّريف حُسين بن علي ضدَّ الأتراك عام 1916، وفيها كان رئيساً لأركان الجيش الشَّريفي. ثُمَّ لفت

(1) عبد الرَّزَّاق أحمد النَّصيري : نُوري السَّعيد ودوره في السِّياسة العراقيَّة حتَّى عام 1932، بغداد، 1987، ص87.

(2) مجيد خدوري : المسألة السُّوريَّة ، الموصل، 1934، ص71.

(3) . torrs Orientations, 6th ed. London, 1945, P. 169

انتباه البريطانيّيْن بعد انتصار الثّورة، وعندما انتهت الحرب العالميّة الأُولى بانتصار الحُلفاء، كان نُوري في سُوريا، بعد أنْ ساهم في تحريرها من الأتراك، فشغل منصب رئيس مُرافقي الأمير فيصل، الذي أصبح ملكاً على سُوريا. ولمَّا أُعلن عن تشكيل الحُكم الوطني في العراق عام 1920، عاد مع بقيَّة الضُّبَّاط العراقيّيْن الشّريفيّيْن، وانخرط في الحُكُومة الجديدة، وعُيِّن مُديراً للشّرطة العامّة، ثُمَّ رئيساً لأركان الجيش، ثُمَّ أصبح وزيراً للدّفاع لأوّل مرّة في وزارة عبد المُحسن السّعدون الأُولى، التي تشكَّلت في 25 تشرين الأوّل عام 1923[1].

ولمَّا كان نُوري قد أبدى طاقة وذكاءً حادَّيْن، فقد لفت انتباه البريطانيّيْن مُنذُ قُدُومه للعراق، ومن بينهم المس بيل، السّكرتيرة الشّرقيّة لدار الاعتماد البريطاني، التي قالت عنه ـ عندما قدم إلى العراق، وشاهدته ـ لأوّل مرّة : (إنَّنا نقف وجهاً لوجه أمام قُوَّة قهَّارة مطواعة، ينبغي علينا إمَّا أنْ نعمل يداً بيد معها، أو نشتبك وإيَّاها في صراع عنيف، يصعب إحراز النّصر فيه).[2] أمّا الجنرال كلبرت كلايتون رئيس المكتب العَرَبي في القاهرة، فقد وصفه (بأنّه من أذكى الرّجال في العراق)[3] ووصفه الميجر يُونك ضابط المُستعمرات البريطاني ومبعوث الحُكُومة البريطانيّة للملك فيصل الأوّل عام 1921، بأنّه : (الأمل الأخير لبريطانيا)[4] وفعلاً؛ صدقت نُبُوءته فيما بعد. كما وصفه آخرون بأنّه : كالقرد، كثير الحيل، وطموح، مُتعطِّش للسُّلطة[5] (وأنّه واحد من أفضل المُساومين، وذكي

---

(1) عبد الرَّزّاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقيّة ، ج1 ، الأبجديّة للطّباعة والنّشر، بيروت، 1982 ، الطّبعة السّادسة ، ص151.

(2) المس بيل : العراق في رسائل المس بيل ، بغداد ، وزارة الإعلام، 1977، ص67.

(3) عبد الرَّزّاق النّصيري : نُوري السّعيد ودوره السّياسي ، المصدر السّابق ، ص 87.

(4) From Nuri Al Said to India Office, 1.9.1920 –Fo. 371/5228.

(5) عبد الرَّزّاق النّصيري : نُوري السّعيد ودوره السّياسي ، مصدر سابق ، ص 89 .

جدّاً في التّخطيط إلى درجة يصعب معها أنْ يثق أحد به تماماً، وذُو طاقة في الأعصاب كاملة)[1].فوثقوا به، واعتبروه أحد الرّجال الذي تعتمد عليهم بريطانيا في العراق والمنطقة، ومُنذُ البداية؛ اقتنع أنَّ بريطانيا مع حُلفائها هي التي تُقرّر مصير الأحداث في المنطقة والعالم، وقد دفعته قناعته واستقراؤه للمُستقبل للتّعاون معها مُنذُ وقت مُبكّر، فاحتضنته ـ بالمُقابل ـ ووثقت به، ففتحت له الأبواب، وتحوّل نُوري إلى أحد أبرز العناصر المُؤثّرة في السّياسة العراقيّة مُنذُ عام 1921. وشهد العراق ومنطقة الشّرق الأوسط خلال فترة العشرينات والثّلاثينات أحداثاً ساخنة، كان لنُوري السّعيد دور مُؤثّر فيها، منها إبعاد طالب النّقيب السّياسي العراقي إلى منفاه في الهند، ومقتل وزير الدّاخليّة توفيق الخالدي[2]، وقاد المُفاوضات مع بريطانيا مطلع الثّلاثينات، التي أفضت لعقد مُعاهدة عام 1930 الشّهيرة، كما أنّه تعرَّض لمُطاردة الفريق بكر صدقي قائد الانقلاب الشّهير عام 1936، وكان وراء عمليّة اغتيال وزير الماليّة رُستُم حيدر في كانون الثّاني عام 1940[3]، وكان طرفاً رئيساً إلى جانب الوصي عبد الإله في الصّراع الذي وقع في مايس عام 1941، بين التّيّار القومي بقيادة رشيد عالي الكيلاني والعُقداء الأربعة من جهة، وبين الوصي عبد الإله من جهة أُخرى، والتي أدّت إلى قيام الحرب بين العراق وبريطانيا، بسبب الموقف من المُتحاربين في الحرب العالميّة الثّانية بين بريطانيا وحُلفائها من جهة وألمانيا من جهة ثانية، وكذلك التّفسير القانوني لمُعاهدة عام 1930. وبعد عودة القُوّات البريطانيّة إلى

(1) تحسين العسكري: مُذكّراتي عن الثّورة العَرَبيّة الكُبرى، بغداد، 1936، ص15، كذلك جيرالد دي غُوري: ثلاث مُلُوك في العراق، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، 1983،ص 42.

(2) عبد الرّزّاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقيّة، ج1، مصدر سابق، 142 ـ 196

(3) سُعاد رؤوف شير: نُوري السّعيد ودوره السّياسي حتّى عام 1945، بغداد 1988، ص 84ـ87.

العراق ومعها الأمير عبد الإله ونُوري السّعيد، فقد ساهم الأخيران ـ بقدر كبير ـ بتصفية العناصر القوميَّة المُشاركة في الحركـة، وهيَّـأ الجـوَّ المُلائـم لبريطانيـا لكـي تتحرَّك بحُرِّيَّة، وبما يخدم مصالحها في العراق والمنطقة، ويُحافظ على وُجُودها التي تقتضيه مصلحتها، وهي تخوض حربها ضدَّ ألمانيا[1] وفي وقتها؛ أعلن بأنَّه: (لو كان يعتقد أنَّ بريطانيا ستنهار في الحرب فإنَّـه أوَّل مَـنْ سـيُطلق النّـار عليهـا)[2] وقـد صدقت نُبُوءتـه، وانتـصرت بريطانيـا وحُلفاؤهـا في الحـرب ، وخـرج مُبتهجـاً، يتفاخر بانتصارها، وراح يصول ويجول في السّاحة السّياسيَّة، لكنَّـه تحمَّـل نقـداً كبيراً، وصارت بريطانيا تُوكل إليه المهامَّ الجسام كما سـنرى ذلـك. وبعـد انتهـاء الحرب العالميَّة الثّانيـة كـان نُـوري قـد بلـغ مـن النُّـضج الـسّياسي مبلغـاً عاليـاً، وتضاعف دوره السّياسي، وأصبحت بريطانيا تُعوِّل عليه كثيراً في رَسْـم سياسـتها الجديدة بالمنطقة، وخاصَّة؛ بعد ظُهُور الخطر الشُّيُوعي، الذي بات يُهدِّد مـصالحها في المنطقة، وراح نُوري يتبنَّى مُخطَّطاتها واسـتراتيجيَّتها الجديـدة لما بعـد الحـرب، ويدعو لتعزيز التّحالف معهـا، وبـات يُطلَـق عليـه رجـل بريطانيـا القـوي. أمَّـا الحُكُومة البريطانيَّة؛ فقد راحت تعمل لترتيب وَضْـعها الـدّاخلي، تمهيـداً لوَضْـع استراتيجيَّتها موضع التّنفيذ، بعد إخضاعها للدّراسة الدّقيقة. وفعلاً؛ بعـد انتهـاء الحرب رَسْمياً، واستكمال ترتيب البيت الدّاخلي البريطـاني؛ حيـثُ أخفـق الـسّير ونـستون تـشرشل، الـذي قـاد بلـده للنّـصر في الحـرب العالميَّـة الثّانيـة بـالفوز بالانتخابات العامَّة؛ ليتخلَّى لزميلـه العُمَّالي كليمنـت اتـلي، الـذي أصـبح رئيـساً للوُزراء من 1945 ـ 1951، وفي الوقت الذي تولَّى (اتلي) مهمَّة إدارة موضـوع

---

(1) مُحَمَّد حمدي الجعفري : بريطانيا والعراق 1914 ـ 1958 : حقبة من الصّراع ، دار الشُّؤُون الثّقافيَّة ، 2000، بغداد ، ص 116 ـ128.

(2) سُعاد رؤوف شير : نُوري السّعيد ودوره السّياسي حتَّى عام 1945 ، مصدر سابق ، ص 82.

استقلال جوهرة التّاج (الهند) وإنشاء مُنظَّمة الكُومونولث، فقد ترك مشاكل الشّرق الأوسط والقضيّة الفلسطينيّة لوزير خارجيّته آرنست بيفن. ولغرض رَسْم السّياسة البريطانيّة الجديدة لهذه المنطقة، فقد دعا الأخير مُمثّلي حُكُومة صاحب الجلالة العاملين في منطقة الشّرق الأوسط لعقد مُؤتمر بمُشاركة مُمثّلين عن القيادات العسكريّة فيها، فضلاً عن مُشاركة مُمثّلي الوزارات المعنيّة. وقد انعقد هذا المُؤتمر في آب 1945، في العاصمة لندن. لقد أيّد المُؤتمر مُعظم النّتائج التي توصّلت لها الدّراسات، التي نوّهنا عنها أعلاه، ويظهر ذلك في القرارات التي توصّل إليها المُؤتمرون؛ حيثُ أقرّ المُؤتمر أنّ منطقة الشّرق الأوسط باتت تأتي بالمرتبة الثّانية من حيثُ الأهمّيّة بعد الجزيرة البريطانيّة ذاتها. لما تتمتّع به من موقع استراتيجي مُهمّ يربط بين ثلاث قارّات من جهة، وكذلك كونه ممرّاً برّيّاً بحريّاً جوّيّاً بين الشّرق والغرب، كما عزّز الاستراتيجي المرموق (ليدل هارت) هذه الأهمّيّة عندما عدّ - في دراسة خاصّة له - أنّ منطقة المشرق العَرَبي درع واقٍ للمصالح البريطانيّة المُهمّة في القارّة الإفريقيّة ضدّ رياح (الشُّيُوعيّة) التي يُلوّح بها الدُّبُّ الرُّوسي ، درع ليس من مصلحة بريطانيا أنْ تتركه يسقط من يدَيْها مُطلقاً. وشدّد المُؤتمر على أنّ المنطقة لا مجال للتّخلّي عنها حتّى إلى دولة صديقة أو حليفة مثل (الولايات المُتّحدة)، مادامت لا تُوجد هُنالك إمكانيّات لمثل هذه الدّولة لتحلّ محلّها. ومادام حليف الأمس وعدوُّ اليوم (الاتّحاد السُّوفيتي) مُستمرّاً بالتّطلّع للوُصُول إلى المياه الدّافئة (الخليج العَرَبي)، فإنّ (المسؤوليّة الأخلاقيّة) تستدعي إبقاء الجُيُوش والقواعد العسكريّة لصاحب الجلالة البريطانيّة في هذه المنطقة، والدّفاع وعدم التّخلّي عنها أبداً ، وكان النّفط - باعتباره سلعة المُستقبل - سبباً مُهمّاً في صياغة هذه المسؤوليّة الأخلاقيّة، ومادام النّفط هُو في الأرض،

ويتطلّب نقله إلى موانئ تمرُّ ـ أحياناً ـ عبر العديد من الدُّوَل، لـذا؛ يتوجّـب الأمـر استمرار هذه العمليّة بعيدة عن أيّة مُؤثّرات تُعرقل انسياب هـذا الـسّائل الـذّهبي للعالم الحُرّ، ويقع من هذا الوصف الحاجـة إلى إبقـاء الملاحـة الدُّوَليَّـة والممـرّات البحريّة المُهمَّة كقناة السّويس ومضيق هرمز تحت السّيطرة البريطانيّة.[1]

إنَّ المصاعب التي واجهت بريطانيا ـ آنذاك ـ في المشرق العَرَبي لم تكن مُريحـة للنّظر البريطاني للأسباب التّالية:

أوّلاً: لأنَّ سُـكّان المـشرق العَـرَبي ـ كـما أوضـح المُـؤتمر ـ شُـعُوب تحمـل مُقوّمات التّخلُّف، خُصُوصاً الطّبقة الوُسطى التي تشهد حالة من الحماس القومي والوطني باتّجاه تحقيق استقلالها الوطني، وتنشد الأماني لتحقيق الوحـدة القوميّـة، فإذا ما انطلقت لا يُمكن إيقافها.

ثانياً: إنَّ المنطقة في حالة تخلُّف عامّ يُشجّع قيام الحركات الرّاديكاليّة، الأمـر الذي يستوجب السّعي لرفع المُستوى المعاشي للسُّكان، تفاديـاً لظُهُـور مثـل هـذه الحركات، ومنعاً للتّغلغـل الـشُّيُوعي فيهـا. إلاّ أنَّ المُـشكلة التـي تُواجـه المملكـة المُتّحدة هُو أنّها أنهكتها الحرب الأخيرة، وعليـه؛ فإنّهـا غـير مُـستعدّة لأنْ تُـسخّر شيئاً، ولابُدَّ من تشجيع الولايات المُتّحدة الأمريكيّة لكي تتحمّـل شـيئاً مـن هـذا الجانب، مثلما تفعل ـ الآن ـ مع أوروبا من خلال مشروع (مارشال)، ولكـنْ؛ لا يجوز أنْ يكون ذلك على حساب المصالح العُليا البريطانيّة.

ثالثاً: إنَّ لبريطانيا اتّفاقيّات تحالف ثُنائيّة، سبق لها وأنْ أبرمتهـا مـع بعـض دُول المنطقة مثل العراق 1930، مصر 1936. ولم يكن هُناك اتّفاق مع إيران، في حـين يـتمّ

---

(1) د. مُؤيّد إبراهيم الونداوي: العلاقات العراقيّة البريطانيّة 1945 ـ 1958، بحث غير منشور.

تهيئة الأتراك للاشتراك في الحلف المُقترح ناتو. في حين ظهرت دُول أُخرى مُستقلّة لم ترتبط بأيّ مُعاهدة مع دولة غربيّة مثل سُوريا، ولُبنان، وهذه الاتّفاقيّات يتوجّب الحفاظ عليها انسجاماً ليس مع مطلب الدُّوَل العَرَبيّة في تعديلها، وإنّما - أيضاً - انسجاماً مع ميثاق المُنظّمة الدُّوَليّة الجديدة (U.N) هذه الاتّفاقيّات إذا ما تَمّ تعديلها، فإنّه يتوجّب عدم المساس بالمصالح الاستراتيجيّة البريطانيّة. ولا مجال للأخذ بالأصوات التي تُنادي بصياغة نظام أمن إقليمي عَرَبي ينسجم مع ميثاق الجامعة العَرَبيّة تكون بريطانيا طرفاً فيه؛ حيثُ ليس بالإمكان تحقيق ذلك.

رابعاً: إنّ حُكُومات أقطار المنطقة هي حُكُومات وإدارات باتت معروفة بالفساد الإداري، ومُكروهة من قبَل شُعُوبها، الأمر الذي يستوجب معه فسح المجال للجيل الجديد ممّن هُم مُؤمنون بالتّحالف مع الغرب باستلام المسؤولة السّياسيّة فيها.

وعلى قدر تعلّق الأمر بالعراق، فقد كانت بريطانيا قد عزّزت نُفُوذها في هذه البلاد، بعدما استطاعت تحطيم جانب مُهمّ في الحركة الوطنيّة العراقيّة، وهُو (التّيّار القومي) خلال مايس عام 1941، التي أدّت إلى (الحرب العراقيّة - البريطانيّة)، أو ما يُسمّى (بحركة رشيد عالي الكيلاني)، وأعادت الأمير عبد الإله؛ حيثُ هرب عند عمّه الملك عبد الله أمير شرق الأُردن، فاستقرّ في قصره الملكي؛ لتُعيد له وصايته على عرش ابن شقيقه الملك القاصر، فيصل بن غازي، وكذلك نُوري السّعيد الذي تعتمد عليه في رَسْم سياستها في المنطقة، وبذلك؛ حصلت بريطانيا على نُفُوذ أكبر في العراق، وتمسّك بها البلاط الملكي العراقي حتّى نهايته في تمّوز عام 1958.[1]

---

(1) الونداوي: المصدر السّابق أعلاه.

1- نُوري السّعيد: النّشـأة والتّكوين:

لقد اختلفت المصادر التّاريخيَّة في تحديد أصل نُـوري السّعيد، فمـنهم مَـنْ ذكر أنَّه ابن مُحاسب من مدينة المُوصل[1]،ومصادر أُخرى تـذكر أنَّ أسرتـه كانـت تسكن منطقة طوز خرماتو أو كفري[2]ويـذهب آخـرون بـأنَّ أجـداد نُـوري مـن سَكَنَة بغداد، وأنَّ جدَّه الأكبر الذي كان يُدعى مله لولو قد سكن مدينة بغداد مُنذُ ثلاثمائة سنة ونيِّف. ومع ذلك؛ فإنَّ العديـد مـن المُـؤرِّخين لم يتَّفقـوا عـلى تحديـد أُصُوله، فمنهم مَنْ ذكر أنَّه من القوميَّـة الكُرديَّـة، ومـنهم مـن عـدَّه مـن عـشيرة القرغول البغداديَّة، وآخرون ذكروا أنَّه من قبيلة شُمَّر المعروفة، وذكـرت مـصادر أُخرى أنَّه تُركيٌّ الأصل. ويذكر ولدمان غالمان السّفير الأمريكي في بغـداد خـلال الخمسينات أنَّ نُوري كُردي المولد، تُركيٌّ الثّقافة، عراقيٌّ المهنة[3]، ورغم كُلِّ ذلك التّباين في الآراء لم يحسم نُوري موضوع انتسابه أو أصله، لا في حـديث صُـحُفيّ، ولا في جلسات خاصَّة، حتَّى إنَّه لم يذكر لقبه في هُويَّته الشّخصيَّة، وبقي موضـوع انتسابه غامضاً على الكُتَّاب والمُؤرِّخين.

وُلد نُوري السّعيد ببغداد عام 1888، في المنطقـة المُجـاورة لـساحة الميـدان حاليّاً، في جانب الرّصافة، ويحمل اسماً مُركَّباً مُحَمَّد نُوري، وكان والده سـعيد بـن صالح طه مُوظَّفاً بسيطاً في دائرة الأوقاف ببغداد في العهـد العُـثماني. أمَّـا والدتـه؛ فهي فاطمة بنت عبد الرَّزَّاق. وأنجبت أربع بنات إلى جانب نُوري، وقـد عاشـت هذه الأسرة في جوٍّ دينيٍّ، عُرف بتمسُّكه بالشّعائر الدِّينيَّة. وكان جـدَّه صـالح طـه

(1) نجدة فتحي صفوت: العراق في الوثائق البريطانيَّة سنة 1936، البصرة، 1983، ص 73.
(2) توفيق السّويدي: وُجُوه عراقيَّة، بيروت، لُبنان، ص 12.
(3) ولدمار غولمان: عراق نُوري السّعيد، مُؤسَّسة الإنتاج الطّباعي، بيروت، 1965، ص 32.

من خُطباء جامع الأحمديَّة قُرب الميـدان، والأسرة تتخاطـب ـ فـيما بينهـا ـ باللُّغـة التُّركيَّة، كما هُو حال الأُسر التي هي من أُصُول تُركيَّة. وهذا تأكيد على صـحَّة مـا تدَّعيه بعض المصادر من أنَّ نُوري من أُصُول تُركيَّة. وقـد أثَّـر ذلـك عـلى كفـاءة نُوري في تعاملـه مـع اللُّغـة العَرَبيَّـة في الخُطـب والمُحـاضرات التـي كـان يُلقيهـا نُوري[1] وفي هذا الجوِّ المضطرب نشأ نُوري، وقضى طُفُولتـه التـي كانـت تـشوبها أجواء الانغلاق، وعكست هذه البيئة أوضاعها عـلى شخـصيَّة نُـوري فـيما بعـد. ويذكر توفيق السُّويدي في كتابـه وُجُـوه عراقيَّـة (إنَّ نُـوري نـشأ في بيئـة إقليميَّـة محدودة، لم يستطع التَّخلُّص من مُؤثِّراته، رغم الزّمن الطّويل الذي عاش فيه وهُو مُتَّصل بكبار الطّبقات من أجانب وشرقيّيْن).[2]

قضى نُوري شـطراً مـن حياتـه المُبكِّـرة بمحلّتـه في سـاحة الميـدان، يُـشارك أصدقاءه الصّبيان ألعابهم ومُشاكساتهم، فعلقت بذهنه، وظـلَّ يتـذكَّرها، ويعتـزُّ بها، ولم ينسها حتَّى آخر يوم في حياته.[3] وهـي مـن ميِّـزات نُـوري بعـدم نـسيان الماضي، حتَّى ولو كان في سنٍّ مُبكِّرة من حياته. وتُؤكِّد العديد من الـشّواهد عـلى صحَّة ذلك. ففي أواخر عام 1950، وعند اشتداد المرض على الملكة عالية زوجـة الملك غازي، والدة الملك فيصل الثّاني، وكانت ـ وقتذاك ـ راقدة في قصر الزُّهُور، ويُشرف على علاجها الدُّكتُور كمال السّامرَّائي والدُّكتُور الإنكليزي دكسن فرث، وفي إحدى اللّيالي التي كانا يقضيانها في القصر بالقُرب من الملكة المريـضة، حـضر نُوري السّعيد كعادته، وجلس يتجاذب الحديث معهما عن تاريخ بغداد في العهـد العُثماني، وعن الطِّبِّ والأطبَّاء في تلك الحقبة، وقال نُوري الـسّعيد ـ فـيما قالـه إلى

(1) عبد الرَّزَّاق أحمد النّصيري : نُوري السّعيد ، مصدر سابق ، ص 17 ـ 19 .
(2) توفيق السُّويدي، وُجُوه عراقيَّة ، بيروت ، مصدر سابق ، ص 13 .
(3) طالب مُشتاق ، أوراق أيّامي 1900 ـ 1958 ، ج1 ، بغداد ، 1989 ، ص 518 .

الطّبيبَيْن الجالسَيْن معهُ، وهُو يتذكّر طُفُولته - إنّه في صغره أصيب بحُمّى طالت بدنه بضعة أسابيع، فاستدعى له أهله الدُّكتُور يانقو، والدُّكتُور مُظفّر بك، وهُما تُركيّا الأصل، وكانا أشهر طبيبَيْن في بغداد، فلـمّا عجزا عن إبرائه من الحُمّى؛ التجأت أمُّه إلى عجوز من محلّة الطّوب تستشيرها، فنصحتها هذه العجوز (بشُربة بول أُمّ البنت). كان نُوري مُستغرقاً في الحديث باللُّغة الإنكليزيّة لكي يفهم الرّواية للدُّكتُور الإنكليزي دكسن فرث، وبينما كان نُوري يضحك وهُو يسرد روايته عن وصفة البول، سأله الدُّكتُور دكسن مُتعجّباً: وهل شربتَ ذلك البول يا باشا؟ فأجابه نُوري السّعيد ضاحكاً: لم أعرف أنّي شربتُ بولاً إلاّ بعد أيّام تالية، حين اختفت عنّي الحُمّى نهائيّاً. وانقطع عن الضّحك فجأة حين دخل وزير الشُّؤون الاجتماعيّة - آنذاك - مُصطفى ماجد.[1]

ولمّا شبَّ نُوري؛ أدخله أهله في أحد كتاتيب بغداد ليتعلّم القراءة والكتابة وحفظ القُرآن، فتعلّم مبادئ الخطّ والإنشاء والحساب وقراءة القُرآن. ولمّا بلغ الثّامنة من عُمره، وبعد تردُّد دخل المدرسة الرّشديّة العسكريّة بتشجيع من الجنرال رجب باشا قائد الفرقة السّادسة العُثمانيّة ببغداد. وقضى فيها أربع سنوات، تعلّم - خلالها - مُختلفة العُلُوم عن اللُّغات، فضلاً عن اللُّغات العَرَبيّة والتُّركيّة والفرنسيّة.[2] ولمّا أكمل الدّراسة في المدرسة الرّشديّة، دخل الإعداديّة العسكريّة ببغداد سنة 1899، وتخرّج فيها عام 1902، توجّه إلى استنبول للدّراسة في الكُلّيّة الحربيّة، فكانت تلك فُرصته التي نقلته نوعيّاً إلى وَضع جديد، ومُنذُ ذلك الوقت؛ أيْ بعد تخرُّجه من الكُلّيّة بدأت تتوضّح ملامح

---

(1) مجلّة آفاق عَرَبيّة: العدد الثّامن، آب 1987، ص30، مُقابلة مع الدُّكتُور كمال السّامرّائي.

(2) عبّاس العزّاوي، تاريخ العراق بين احتلالّين، ج8، شركة التّجارة للطّباعة، بغداد، 1956، ص 172.

شخصيّته، ويبرز نُبُوغه ومواهبه. ومَنْ كان يرى نُوري السّعيد لا يُمكن أنْ يُنكر ذكاءه وفطنته وبساطته ووفاءه وكرمه، فضلاً عن قُوَّة ذاكرته، وثقته العالية بنفسه، ورُوحه المرحة. لقد عُرف عن نُوري السّعيد حُبَّه للنُّكَات، وأنّه لطيف المشعر، وأنيس، الأمر الذي جعل من شخصيَّته محبوبة بين أصدقائه ومعارفه. وقد استقطب أنظار العديد من الصُّحُفيِّيْن والسّياسيِّيْن.[1] ففي عام 1932، كتبت عنه مجلَّة النّير اسيت اللّندنيَّة أنَّ (نكاته مُحبَّبة وعابثة؛ بحيثُ يجد فيه الجليس رفيقاً أنيساً).[2]

لقد عُرف عن نُوري السّعيد ـ أيضاً ـ أنَّه كان حسَّاساً بدرجة كبيرة، وعندما كان يتأثَّر في بعض المواقف تنهمر الدُّمُوع من عينَيْه، وكان حادَّ المزاج، سريع الانفعال إلى حدِّ التّهوُّر، كما ذكر العديد من المُقرَّبين منه، ومع ذلك؛ كان ـ في أحيان كثيرة ـ صبوراً يتحمَّل النّقد اللاّذع، وقلما تحمَّل حاكم شرقيٌّ ـ تمتَّع بنُفُوذه وموقعه السّياسي ـ ما كان يتحمَّله. ويبدو مظهره جادَّاً وحازماً، بل وفي أحيان أُخرى قاسياً عندما تقتضي الضّرورة، حتَّى إنَّه كان يميل إلى استخدام الضَّرْب مع جُنُوده عندما كان ضابطاً في الجيش العُثماني كوسيلة تأديبيَّة، وانعكست كُلُّ هذه الصّفات على سياسته الدّاخليَّة عندما أصبح مسؤولاً كبيراً في السُّلطة بعد ذاك. أمّا شجاعته وإقدامه؛ فلم يختلف الجميع عليها.[3] وقد وصف شجاعته تلك السّياسي البريطاني لُورنس قائلاً (إنَّما تحلَّى به من شجاعة وثقة ورباطة جأش هي التي جعلته زعيماً مثاليّاً مُتميِّزاً).[4] كان نُوري بغداديّاً أصيلاً

---

(1) عبد الرَّزّاق النّصيري، نُوري السّعيد، مصدر سابق، ص 20 ـ 22.
(2) صحيفة صدى العهد، تشرين الثّاني، 1932.
(3) عبد الرَّزّاق النّصيري، نُوري السّعيد، مصدر سابق، ص 22 ـ 23.
(4) T.E Lawrence Seven Pillars of Wisdom. 16th ed. London, 1955, P76.

في أُسلوبه وسُلُوكه، وهُو يُمثِّل الثّقافة والأخلاق البغداديَّة العريقة بنفس كريمة، وضيافة قلبيَّة، ورُوح النُّكتة، كما يذكر فاضل الجمالي ، ويُحبُّ اللّهو والمرح حسب الطّريقة الشّرقيَّة، وكان نُوري يعشق الغناء الشّعبي العراقي، وإذا كان خارج العراق ينتهز الفُرص ليستمع إلى المقام العراقي. وفي أحيان كثيرة عندما يكون في بغداد يذهب إلى دار الإذاعة؛ لينفرد في غرفة خاصَّة للاستمتاع بالمقام العراقي. وفي أحيان كثيرة؛ يتدخَّل في توجيه المُطربين باعتباره خبيراً مُطّلعاً.[1] كان نُوري بغداديّاً في مأكله وملبسه ومجلسه، فقد ذُكر عنه أنَّ أسعد لحظات حياته كانت عندما يخلع حذاءه، ويلبس الخُفَّ العراقي، ويجلس إلى مائدة الطّعام ليأكل بيدَيْه، دُون حاجة إلى استعمال الشّوكة والسّكّين. ويُشير بعض المُقرَّبين منه أنّه يتعاطى الخمر ، والرّاجح أنّه بدا يتعاطيها مُنذُ سنين دراسته في اسطنبول. وقد سجَّلت المس بيل عنه المُلاحظات التّالية التي وردت في رسالتها المُؤرَّخة في 11/ أيلول/ 1923، قائلة (إنَّه يشرب ويتصرَّف بحماقة في كثير من الأحيان)[2] ولمَّا كان ميَّالاً للاستماع إلى المقام العراقي، وشُرب الخمر، وللجلسات البغداديَّة الخاصَّة، فقد كان يتردَّد ليلاً ـ في أغلب الأحيان ـ إلى دار السَّيِّد جميل عبد الوهَّاب (الوزير) السّاكن في منطقة العيواضيَّة المُطلَّة على نهر دجلة في جانب الرّصافة التي تُقابلها في الجانب الآخر منطقة الكرخ المعروفة ببغداد، وكان يطيب أنْ يُقدَّم له في الجلسة مشروبه الخاصّ (العَرَق البغدادي) والأكلة العراقيَّة المشهورة (الباجة)، أو التّشريب، أو كباب الكرخ، ولمَّا كان ميَّالاً للاستماع إلى المقام العراقي في مثل تلك الجلسات، فقد كان يأمر بإحضار أحد قُرَّاء المقام المغمورين بقارب نهري من

(1) عبد الرّزّاق النّصيري، نُوري السّعيد ، مصدر سابق ، ص 24 ـ 25.

(2) المس بيل : العراق في رسائل المس بيل ، مصدر سابق ، ص 297.

منطقة الكرخ المُقابلة من الجانب الآخر لنهر دجلة وهُو ضرير وصاحب صوت قوي وجميل، وعندما كان نُوري يُسأل عن سبب إحضاره أنا لهذا الشّخص الضّرير في الوقت الذي بإمكانه إحضار أكبر قُرّاء المقامات في العراق، كان يُجيب قائلاً: إنَّ هذا الشّخص الضّرير يتمتَّع بصوت جميل، وإذا أراد أنْ يتحدَّث للنّاس عن هذه الجلسة التي أحضرها أنا سوف لن يُصدِّقه أحد، وهذا هُو قصدي من وراء إحضاره وتفضيله على الآخرين[1].

ومن هوايات نُوري ـ أيضاً ـ أنَّه كان يُحبُّ السّفر والتّنقُّل من مكان إلى آخر، ومن دولة إلى أُخرى للرّاحة والاستجمام، أو ضمن نشاطه السّياسي. وكان يُحبُّ الأطفال، ويميل إلى مُداعبتهم برُوحه الفكهة الخفيفة، كما أنَّه كان مُحبّاً للحيوانات، ويقتني عدداً من الأنواع في داره. ولم يُسجَّل عليه مأخذ في اكتناز الأموال، أو العقارات، أو المصوغات الذهبيَّة، أو المُجوهرات، كما لم يثبت أنَّ لديه رصيداً في بنك أو مصرف عالمي. وكان يكتفي بحاجته منها، لذلك كان يصفه المُقرَّبين بأنَّه زهد بالمال، نزيه، كريم النّفس، لكنَّه لا يتردَّد في صرف أموال الدَّولة بسخاء، وخاصَّة في رحلاته الخارجيَّة، الأمر الذي جعله عُرضة للانتقاد من قبَل خُصُومه السّياسيِّين، وتذكر بعض المصادر ـ ومنها ما ورد في الوثائق البريطانيَّة ـ (أنَّ نُوري وإنْ لم يكن استولى على الأراضي، ولا جمع ثروة، كما فعل الآخرون، فإنَّه تعوَّد أنْ يعيش على نفقة الحُكُومة برخاء، وقد أصبح ذلك عنده مرضاً). [2]

من المعروف عن نُوري السّعيد، رغم ذكائه وفطنته، أنَّه كان محدود الثّقافة العامَّة، ذلك أنَّه لا يميل للقراءة والمُتابعة، وحتَّى عندما كانت تُعرَض عليه الأضابير

(1) من الأحاديث الشّخصيَّة التي تُروى عن نُوري السّعيد في الأوساط الشّعبيَّة البغداديَّة.
(2) نجدت فتحي صفوت، العراق في الوثائق البريطانيَّة، مصدر سابق، ص 482.

الرَّسْميَّة لم يكن يقرؤها، بل كان يطلب من سكرتيره عرضها بشكل مُختصر. ورغم أنَه كان أوَّل رئيس تحرير لأوَّل مجلَّة عسكريَّة تصدر في العراق بعد قيام الحُكم الوطني عام 1920، وصدر العدد الأوَّل منها في كانون الثَّاني عام 1924، إلاَّ أنَّه لم يكتب حرفاً واحداً فيها؛ لأنَّه كان بعيداً عن ميدان الأدب والفكر. وممَّا يُذكَر بهذا الشَّأن أنَّ سكرتيره أحمد المناصفي كان يتولَّى كتابة خُطبه وكلماته في المُناسبات، وقد اعترف هُو ـ شخصيَّاً ـ في إحدى المُناسبات (أنَّ الشَّهادة والتَّحصيل ، لا يخلقان المزايا والكفاءة، بل إنَّهما يصقلانها.. إنَّ خوض ميدان الكفاح في الحياة العمليَّة هُو أكبر مدرسة تحتوي على أعظم الأدلَّة التي يستنتج منها الإنسان).[1]

وقع نُوري ـ وهُو في بداية حياته الدِّراسيَّة العسكريَّة ـ تحت تأثير بعض أساتذته من القادة، وبالذَّات؛ منهُم الألماني (فُون لُوسُو) الذي كان يُدرِّسه في الكُلِّيَّة الحربيَّة باستنبول. وقد عبَّر نُوري عن إعجابه بأستاذه بالعبارة التَّالية: (إنَّه ترك أعظم تأثير على حياتي.. إذْ كان يقول على المرء أنْ يستعمل عقله وطاقته بما هُو مُتوفِّر بين يدَيْه)، ويُضيف نُوري قائلاً : (إنَّ ذلك أعطاني فكرة اتَّبعتُها طوال حياتي. وهي أنْ أكون عمليَّاً، لا مثاليَّاً)، ولم يكن نُوري قارئاً نهماً، ذلك أنَّ قراءاته شحيحة، ولم يُعرف عنه أنَّه كان قارئاً جيِّداً سوى أنَّه ذكر في أحد أحاديثه الصُحُفيَّة عندما كان في استنبول أنَّه قرأ لكافور رائد الوحدة الإيطاليَّة في القرن التَّاسع عشر[2]، وهُو من بين الذي أُعجبوا بسعد زغلول الزَّعيم الوطني المصري. وكذلك بالرَّئيس التُّركي كمال أتاتورك، وقد وصفه بأنَّه من الرِّجال النَّادرين، وفلتة من فلتات التَّاريخ، لا يجود الزَّمان بمثله بسُهُولة.[3]

---

(1) عبد الرَّزَّاق النَّصيري، نُوري السَّعيد، مصدر سابق، ص 26 ـ 28.
(2) Time, The weekly news magazine , Jun 17 , 1957,P.24 .
(3) جريدة الزَّمان البغداديَّة ، 11 أيلول، 1930، وكذلك جريدة صدى العهد : 12 أيلول، 1930.

عندما تخرَّج نُوري في الكُلِّيَّة الحربيَّة باستنبول عام 1906، عُيِّن في وحدة مُشاة تابعة للجيش العُثماني السّادس ببغداد، وكان من واجبات هذه الوحدة جباية الضّرائب المفروضة على مواشي القبائل الرُّحّل في المنطقة. ورغم نجاحه اللاّمع في عمله، فقد أكسبته تجربة غنيَّة، واستطاع أنْ يُقيم علاقات جيِّدة ووطيدة مع رُؤساء العشائر، مكَّنته من استخدام الدُّبلوماسيَّة والحوار والعقل في تعامله معهُم، وقد ظلَّت صلة نُوري بالعشائر سمة مُميَّزة في حياته الوظيفيَّة حتَّى وفاته. وقد عُرف عنه أنَّه من أكثر رجال السّياسة في العراق تأثيراً بالأوساط العشائريَّة، وكان شُيُوخ العشائر ـ وهي القُوَّة التي استند عليها النّظام الملكي في العراق ـ سنداً له. وفي عام 1911، دخل كُلِّيَّة الأركان، حتَّى إنَّه عُرف بين زُملائه باسم (نُوري أركان)، ثُمَّ (نُوري بغداد) بعد أنْ استقرَّ فيها. إنَّ المُحاضرات التي تلقَّاها في الكُلِّيَّة على أيدي الأساتذة الألمان ـ وبالذّات في التّاريخ والاستراتيجيَّة ـ ساعدته على توسيع مداركه. كما ساعدته مُشاركته مع كُلِّيَّة الأركان بالتّدريب في منطقة سكوبيا اليُوغسلافيَّة، وفي السُّهُول المُحيطة بمدينة أدرنه التُّركيَّة، على كسب المزيد من الخبرة في الميدانَيْن السّياسي والعسكري، فضلاً عن مُشاركته في الحرب البلقانيَّة كضابط في الجيش العُثماني. كما شارك ـ فيما بعد ـ في معارك الثّورة العَرَبيَّة الكُبرى عام 1916، في الحجاز التي كانت بداية احتكاكه بالتّيَّار القومي العَرَبي قُبيل الحرب العالميَّة الأُولى ؛ إذ انخرط فيها عدد كبير من الضُّبَّاط العَرَب النّاقمين على السّياسة التُّركيَّة العُنصُريَّة ضدَّ العَرَب.[1]

(1) عبد الرَّزّاق النّصيري، نُوري السّعيد، مصدر سابق، ص 31 ـ 33.

2 - اتّصال نُوري السّعيد بالسّاسة البريطانيِّين:

كان دُخُوله الكُلِّيَّة الحربيَّة باستنبول عام 1903، واحتكاكه بالطَّلَبَة العَرَب القادمين من دمشق وبغداد وغيرها من المُدُن العَرَبيَّة، تُعدُّ مرحلة حاسمة في حياته، فقد كان العَرَب - يومذاك - يُعانون من سياسة التّفرقة العُنصُريَّة، التي وجدت طريقها إلى الشّباب التُّركي، وغالبيَّتهم من زُملائه في الدّراسة. إنَّ سياسة الاتّحاديِّين المُتخلِّفة، الذين وصلوا إلى السُّلطة بثورة عام 1908، في تُركيا ضدَّ السُّلطان العُثماني، قد وعدوا العَرَب بتحقيق المُساواة بين القوميَّات التي تنضوي تحت لواء الدَّولة العُثمانيَّة، غير أنّهم نكثوا بوُعُودهم تلك، ولجؤوا إلى سياسة التّتريك العُنصُريَّة، فكان ردُّ الفعل الأوَّل لدى الطَّلَبَة العَرَب هُو تشكيل مُنظَّمات سرِّيَّة تُطالب بحُقُوق العَرَب[1]، وفعلاً؛ تأسَّست أوَّل جمعيَّة سرِّيَّة في استنبول عام 1913، وهي (جمعيَّة العهد) التي أسَّسها الضّابط المصري (عزيز علي المصري)، فكان نُوري وزوجته نعيمة العسكري من أوائل المُنضمِّين إليها، وأدّيا يمين القَسَم للانتماء إلى الجمعيَّة. ونشطت الجمعيَّة بين صُفُوف الضُّبَّاط العَرَب في استانبول، وكان نُوري في مُقدِّمة الضُّبَّاط الذين حقَّقوا اتّصالاً بالطُّلاَّب العَرَب في الكُلِّيَّة الحربيَّة، يحثُّهم على استلهام الأفكار القوميَّة، حتَّى إنَّ إدارة الكُلِّيَّة اتّخذت قراراً بمنع اتّصاله بالطَّلَبَة الجُدُد[2].

وعندما اعتُقل زعيم الجمعيَّة عزيز علي المصري، من قبَل السُّلطات العُثمانيَّة، سعى نُوري بكُلِّ طاقته، وحاول بكافَّة الوسائل لإطلاق سراحه، حتَّى إنَّه اتَّصل بالسِّفارة البريطانيَّة والبعثات الدُّبلوماسيَّة الأُخرى في استنبول لإخلاء سبيله، لكي تقوم من جانبها بالضّغط على الحُكُومة التُّركيَّة لإطلاقه. ولم يهدأ له

(1) جريدة البلاد البغداديَّة، 20 شباط، 1938.
(2) سُليمان فيضي في غمرة النّضال، ط2، بيروت، 1974، ص 167.

بال حتّى أطلق سراح عزيز علي المصري في 21 نيسان من العام نفسه.[1] فغادر إلى القاهرة، ممّا جعل نُوري يقوم بمهمّة البديل له في استكمال نشاطه السّياسي، وكانت مهمّة شاقّة وصعبة، لأنّه وُضع تحت رقابة الأجهزة الحُكُوميّة التُّركيّة، وخشية من اكتشافه؛ فقد اضطرَّ للاختفاء ومُغادرة استانبول، خاصّة وأنَّ نُذُر الحرب العالميّة الأُولى قد بدأت تلوح في الأُفُق، ما بين ألمانيا والدَّولة العثمانيّة من جهة، وبريطانيا وحُلفائها من جهة ثانية، وتوقَّع أنْ يكون الانتصار لبريطانيا في هذه الحرب. فقرَّر أنْ تكون وُجهته إلى الحجاز؛ حيثُ ينشط قادة الحركة القوميّة العَرَبيّة فيها، ومن هُناك؛ يُمكن مُمارسة الضّغط للمُطالبة بالحُقُوق العَرَبيّة من الإمبراطُوريّة العُثمانيّة [2]، وقد هرب خفية من ميناء استانبول مُتوجِّهاً إلى القاهرة، فالتقى عزيز المصري، واتَّفقا على أنْ يكون مطلبهما هُو ذاته في الحُصُول على الحُقُوق العَرَبيّة، ثُمَّ تابع مسيره إلى البصرة على متن سفينة بريطانيّة، ثُمَّ إلى بغداد، فالتقى بعض الشَّخصيَّات العراقيّة، منهم طالب النّقيب، والشّيخ سعيد النّقشبندي، وعبد الوهاب النّائب، وحمدي الباجه جي، وآخرون، ثُمَّ غادر مع نُشُوب الحرب العالميّة إلى مسقط بدعوة من السُّلطان تيمور بن فيصل، بغرض مُساعدته في إنشاء جيش حديث. ورغم ذلك؛ فكَّر في العودة إلى الجيش العُثماني، غير أنّه سُرعان ما تراجع عن فكرته لعدم ثقته بالأتراك، كما أنّه توقَّع دُخُول البريطانيِّين إلى البصرة، وفعلاً؛ حصل ما توقّعه، فباشر نُوري اتِّصاله بالبريطانيِّين.[3]

وعندما نزلت القُوّات البريطانيّة البصرة في 23 تشرين الثّاني عام 1914، واحتلَّتها، كان نُوري يرقد في المُستشفى الإرسّاليّة الأمريكيّة لإصابته بمرض

(1) إبراهيم الرّاوي: من الثّورة العَرَبيّة الكُبرى الى العراق الحديث، بيروت 1969، ص59.
(2) نُوري السّعيد: مُحاضرات عن الحركات العسكريّة في الحجاز وسُوريا 1916ـ1918، بغداد، 1947، ص6.
(3) توفيق السّويدي: وُجُوه عراقيّة، مصدر سابق، ص 32.

التَّدرُّن الرّئوي، فوقع أسيراً بيد القُوَّات البريطانيَّة، ونُقل كأسير حرب عُثماني إلى الهند، وبقي فيها حتَّى كانون الأوَّل عام 1915. نُقل بعدها إلى مصر ، ثُمَّ غادرها إلى الحجاز للالتحاق بالثّورة العَرَبيَّة الكُبرى، التي أعلنها الشّريف حُسين ضدَّ الدَّولة العُثمانيَّة، بعدما اتَّفق الشّريف حُسين وهنري مكماهون، والمُعتمد السّامي البريطاني في مصر، على التحاق الضُّبَّاط الأسرى العَرَب لدعم حركة العَرَب[1].

وقد شجَّعه البريطانيُّون للسّفر إلى الحجاز، وفعلاً؛ توجَّه في أواخر تمُّوز من عام 1916، إلى الحجاز، يُرافقه بعض الضُّبَّاط؛ منهُم إبراهيم الرّاوي، ومُحَمَّد حلمي، من العراق ، وحال وُصُوله جدَّة عُيِّن وكيلاً للقائد العامّ للجيش، لحين وُصُول عزيز علي المصري إلى الحجاز ليشغل المنصب. ثُمَّ سافر إلى مكَّة بناءً على أوامر الشّريف حُسين للالتقاء به والتّباحث في شُؤُون الحرب، ومواقف الدَّولة العُثمانيَّة، وكيفيَّة التّعاون مع الحُلفاء.[2] ولمَّا وصل عزيز علي المصري إلى الحجاز عيَّنه الشّريف حُسين قائد للجيش، وبعثه إلى رابغ، وعلى إثرها عُيِّن نُوري رئيساً لأركان حرب الجيش.[3] وفي ضوء ذلك دبَّ الخلاف بين نُوري وعزيز المصري من أجل المنصب ، غير أنَّ نجم نُوري بات يتصاعد بين صُفُوف الجيش الحجازي، الذي كان إيذاناً بتحديد مصير عزيز علي المصري ، فلم يمضِ عليه سوى ثلاثة أشهر حتَّى غادر المصري إلى القاهرة، ولم يَعُدْ ثانية، ولابُدَّ أنْ نُشير هُنا أنَّ البريطانيِّيْن كانوا لا يرغبون ببقاء عزيز المصري[4]. فأصبح نُوري هُو القائد المُرشَّح لقيادة الجيش، لكنَّه فُوجئ بتعيين ضُبَّاط مصري آخر هُو محمود

---

(1) إبراهيم الرّاوي : من الثّورة العَرَبيَّة ، مصدر سابق ، ص 59 ـ 60.

T.E. Lawrence , OP.cit , P. 76. (2)

(3) إبراهيم الرّاوي : من الثّورة العَرَبيَّة، المصدر السّابق ، ص 105 ـ 106.

(4) سليمان مُوسى: المُراسلات التّاريخيَّة 1914 ـ 1918 ، مُجلَّد (1) عمَّان، 1973، ص 129.

القيسوني، بدلاً من عزيز المصري، وكان هذا كما يصفه علي جودة الأيوبي (بأنّه أداة بيد البريطانيّين)[1] والذي أثار نوري، فأشاع بأنّه ضابط ذُو رُتبة صغيرة، ولم يدرس الأركان، ثُمَّ رفض العمل تحت قيادة القيسوني. فاضطرَّ الشّريف حُسين لنقله إلى الجيش الشّرقي، تحت قيادة الأمير عبد الله، الذي رحَّب بمقدم نُوري، وعيَّنه رئيساً لأركان جيشه، ومنحه لقب باشا.[2]

باشر نُوري عمله ، ولم تمضِ سوى فترة قصيرة حتَّى نُقل إلى الجيش الشّمالي، تحت قيادة الأمير فيصل برفقة صهره جعفر العسكري، قائد القُوَّات فيها، فعُيِّن نُوري رئيساً لأركان الجيش الفيصلي، وحقَّق هُناك نجاحات كُبرى؛ حيثُ وصفه لُورنس بأنَّ حركات نُوري باشا العسكريَّة هي القاضية على الأتراك قضاءً نهائيّاً، ممَّا حمل البريطانيّين على منحه وسامَيْن تقديراً لجُهُوده الحربيَّة. بعدها؛ أخذ نجم نُوري يلمع في الميدان العسكري، وتتوطَّد علاقاته بالقادة العسكريّيْن والسّياسيّيْن العَرَب منهُم والبريطانيّيْن، فأصبح أحد العناصر المُؤثِّرة في سير الأحداث، ونجح في قيادة الجيش، ودخل مع الأمير فيصل بن الحُسين إلى مدينة دمشق ذات الموقع الاستراتيجي، وبعد أنْ أصبح الأمير فيصل ملكاً على سُوريا جعله مسؤولاً في إعداد التّرتيبات الإداريَّة والأمنيَّة في دمشق، ونجح نجاحاً فائقاً؛ لدرجة أنَّ الأمير فيصل جعله من المسؤولين المُقرَّبين إليه خلال فترة سُلطته في سُوريا، ولم يتوقَّف عند هذا الحدِّ، بل رشَّحه للاشتراك في مُؤتمر باريس للصُّلح عام 1919م، وتولَّى في المُؤتمر مسؤوليَّات كبيرة؛ باعتباره مسؤولاً عَرَبيّاً لامعاً، ومُمثِّل الشّريف حُسين، ونيابة عنه، ممَّا مكَّنه لأنْ يأخذ مكانة رفيعة بعد انتهاء

---

(1) علي جودت الأيُوبي : ذكريات 1900 ـ 1958، بيروت، 1967، ص44.
(2) إبراهيم الرّاوي : من الثّورة العَرَبيَّة ، المصدر السّابق ، ص 106.

الثّورة والحرب العالميّة الأُولى، وعند تشكيل حُكُومة سُوريا العَرَبيّة وحُكُومة العراق الوطنيّة عام 1920.[1]

3 - نُوري وحُكُومة سُوريا العَرَبيَّة:

عندما دخل جيش الأمير فيصل إلى دمشق الذي كان نُوري يتولّى قيادته بنفسه أثناء الثّورة العَرَبيّة الكُبرى، في الأوّل من تشرين الأوّل عام 1918، وضع إجراءات أمنيّة وإداريّة وتنظيميّة للمدينة، وأشرف عليها شخصيًّا، وحقّق نجاحاً لامعاً في إجراءاته تلك. كما شارك في مُؤتمر الصُّلح بباريس في كانون الثّاني من عام 1919، بصفته مُمثّلاً لشريف مكّة، وليس لسُوريا ، ومُساعداً في إحدى لجان المُؤتمر، وبقي في باريس لمُدّة ثلاثة أشهر، ثُمّ عاد إلى دمشق لمُتابعة مهامّ أُخرى، أرسله إليها الأمير فيصل بن الحُسين، وظلّ يتنقّل ما بين باريس ودمشق ، وعندما أخذ الموقف يتأزّم مع الفرنسيّيْن بقي على اتّصال مع البريطانيّيْن. وفي السّادس من آذار عام 1920، انعقد المُؤتمر السُّوري، وبعد يومَيْن؛ أُعلن عن استقلال سُوريا، واختيار فيصل ملكاً عليها، وعُيّن نُوري مُستشار الملك فيصل. وكان ذلك يجري في إطار التّفاوض حول قُبُول الانتداب الفرنسي على سُوريا. وخلال هذه الفترة كان نُوري قد أجهد نفسه في التّفاوض مع الفرنسيّيْن، ومع الملك فيصل، والوطنيّيْن السُّوريّيْن ، غير أنّ ذلك لم يفض إلى نتيجة إيجابيّة لصالح السُّوريّيْن، الذين كانوا يُطالبون بالاستقلال، فقد تأزّمت الحالة بعد الإنذار الذي قدّمه الجنرال الفرنسي غُورُو إلى حُكُومة سُوريا، الذي رفضته الجماهير السُّوريّة، ممّا حمل الجنرال غُورُو للدُّخُول إلى دمشق، والاصطدام بالجيش العَرَبي السُّوري

P.E. Lawrence , OP. Cit , P. 268. (1)

في معركة ميسلون يوم 24 تمّوز عـام 1920، الـذي استُشهد فيـه وزيـر الـدّفاع السُّوري يُوسف العظمة، وبعد المعركة؛ تحدَّد مصير الملك فيصل، ومعه مُستشاره نُوري السّعيد، وانتقلا إلى أوروبا لمُتابعة القضايا العَرَبيَّة مع السّاسة البريطـانيّيْن. غير أنَّ نُوري ظلَّ على صلة بالأحداث ، وخلالها؛ برزت القضيَّة العراقيَّة.[1]

4 - نُوري والحُكُومة العراقيَّة المُؤقَّتة عام 1920:

عندما وقع العراق تحـت الـسّيطرة البريطانيَّـة بعـد انتهـاء الحـرب العالميَّـة الأُولى، أواخر 1918، بدأت سلسلة من المُفاوضات مع البريطـانيّيْن، ذلـك لأنَّ العراق بات تحـت سُـلطة الإدارة العـسكريَّة البريطانيَّـة المُبـاشرة التـي لا يرغبهـا الشّعب، وكانت الرّغبـة لـدى عُمُـوم الـسُّكّان هـي الحُـصُول عـلى الاسـتقلال، بمُوجب الاتّفاق الذي جرى بـين الـشّريف حُسين والبريطـانيّيْن، غـير أنَّ قـرار مجلس عصبة الأُمم القاضي بوَضْع العراق تحت الانتداب البريطاني، أشـعل فتيـل الثّورة عند العراقيّيْن، فضلاً عن مقتهم للسّيطرة العـسكريَّة البريطانيَّـة المُبـاشرة، فاشتعلت الثّورة في صُفُوف العراقيّيْن ضدَّ الاحتلال البريطاني في 30 حُزيران عام 1920 ، استمرَّت لمُدَّة خمسة أشـهر، ولم تهـدأ حتّـى بعـد وُصُـول الـسّير بـرسي كُوكس، الذي عُيِّن مندوباً سامياً لبريطانيا في العراق، رغـم أنَّ القُوّات العـسكريَّة التي أرسلتها بريطانيا إلى العراق لإخمادها كان مصدرها فلسطين وإيـران والهنـد. وعند وُصُول كُوكس أعلن عن عزمـه لإنـشاء حُكـم عَـرَبي في العـراق، يترأسـه حاكم عَرَبي بمشورة بريطانيَّة[2]، كان نُوري ـ طيلة تلك الفترة ـ يُجري مُفاوضات مع السّاسة البريطانيّيْن حـول شـكل الإدارة البريطانيَّـة للعـراق، التـي انتقـدها،

---

(1) عبد الرّزّاق النّصيري : نُوري السّعيد ، مصدر سابق ، ص 65 ـ 73.

(2) مُحمَّد حمدي الجعفري : بريطانيا والعراق ، حُقبة من الصّراع 1914 ـ 1958، بغداد، 2000 ، ص22.

مُطالباً السّاسة البريطانيِّيْن بقيام حُكُومة من أهل البلاد، مُذكِّراً إيَّاهم إنَّما جرى في العراق من حوادث كان واحدة من أهمِّ أسباب الثّورة هُو وُجُود القُوَّات البريطانيَّة المُحتلَّة، فضلاً عن موقف الضُّبَّاط البريطانيِّيْن في العراق، الذين كانوا ينظرون لشعب العراق بأنَّه شعب مُتخلِّف غير قادر على حُكم نفسه. وأجرى نُوري السّعيد مع الميجر يُونك، ضابط المُستعمرات البريطاني، نقاشاً حول الموضوع، ورغم أنَّه لقي تفهُّماً من البعض منهُم، ووصفوا طرُوحاته بأنَّها تستند إلى أساس واقعي، إلاَّ أنَّ ذلك لم يُؤدِّ إلى نتيجة. وكان ـ قبل ذلك ـ قد شارك في المُؤتمر العراقي المُنعقد في سُوريا عام 1920، لمُناقشة قضيَّة العراق، الذي عُقد أيَّام حُكم الملك فيصل لسُوريا، وشارك فيه ـ أيضاً ـ العديد من الضُّبَّاط العراقيِّيْن السّابقين في الجيش العُثماني والثّورة العَرَبيَّة في الحجاز، وناقش المُؤتمرون شُؤُون العراق، وأُعلن استقلاله، ومُبايعة الأمير عبد الله بن الحُسين ملكاً عليه.[1] ولمَّا كان نُوري قد حضر المُؤتمر، وناقش قراراته، فإنَّه عندما سافر إلى لندن استغلَّت الخارجيَّة البريطانيَّة فُرصة مجيئه، وناقشت معه قرارات المُؤتمر. وفي لقاءاته بالمسؤولين في لندن أثنى نُوري على أهمِّيَّة ترشيح الأمير عبد الله بن الحُسين لعرش العراق، وأكَّد لهُم بأنَّه سيلقى قُبُولاً من العراقيِّيْن، وشدَّد معهُم بأنَّه سيكون الأمل الوحيد والوسيلة الأفضل التي تحظى بدعم الشّعب وولائه[2]. رغم أنَّه استعان برأي المُواطنين العراقيِّيْن والضُّبَّاط العراقيِّيْن في سُوريا حول التّصريح البريطاني، بشأن تأسيس حُكُومة وطنيَّة في العراق، وكان رأيهم سلبيّاً، وحذَّروه من الإنكليز، وأكَّدوا له أنَّ بريطانيا ليس عندها غير الخداع والمكر، ممَّا يجعل أمر المُطالبة الشّديدة بالاستقلال من

---

(1) F.O. 371/5033-3992, The Times ,March 16. 1920.

(2) سُليمان مُوسى : المُراسلات ، المُجلَّد الثّالث ، مصدر سابق ، ص 72.

قبَل العراقيِّيْن مسألة بالغة الضّرورة.[1] غير أنَّ الأحداث جرت بشكل آخـر، فقـد تَـمَّ اختيار الأمير فيصل بن الحُسين ملكاً على العراق، ونُودي به في مُـؤتمر القـاهرة المُنعقـد في آذار عام 1921، بحُضُور وزير المُستعمرات البريطاني ونستون تشرشل. أمّا الملـك فيصل؛ فقد جرى تتويجه في بغداد، في آب، 1921.[2]

كان تتـويج الملـك فيـصل خُطـوة مُهمَّـة بالنّسبة لُمستقبل نُـوري الـسّعيد السّياسي، فهُو يُعدُّ ساعد الأمير فيصل الأيمن وصديقه الوفي مُنـذُ أنْ كـان يعمـل معه في قيادة الثّورة العَرَبيَّة في الحجاز، وكذلك مُستشاره الأمين عندما كـان ملكـاً على سُوريا. وفي أوّل خُطـوة، فقـد عيَّنـه الملـك فيـصل مُـديراً للـشّرطة العـامّ في الحُكُومة العراقيَّة، ولاشكَّ أنَّ هذا المنصب مُهمٌّ، لأنّه لم يكن للحُكُومـة ـ آنـذاك ـ وُجُود فعلي ، فقام نُوري السّعيد بترتيب الوَضْع الأمني الدّاخلي في العراق، وقـدَّم نموذجاً حديثاً لسياقات وعمـل الأجهـزة الإداريَّـة وتنظيماتهـا في جهـاز الـشّرطة العامّ. ولا شكَّ أيضاً، فإنَّ هذا المنصب كان مُهمّاً جدّاً، فقد كانت أجـواء الثّـورة ضدَّ المُستعمرين البريطانيِّيْن مازالت سارية في أوصال المُجتمـع العراقـي، وذلـك يُحتِّم على الحُكُومة الجديدة ترتيب الوَضْع الدّاخلي. ثُمَّ أصبح نُوري السّعيد رئيساً لأركان الجيش العراقي، وأدّى واجبه بشكل جيِّد، مُعتمـداً عـلى خبرتـه الطّويلـة أثناء عمله في الجيش العُثماني، ومُـشاركته في الثّـورة العَرَبيَّـة الكُـبرى التـي قادهـا الشّريف حُسين ابن علي في الحجاز.[3]

اعتمد الملك فيصل الأوّل على نُوري السّعيد في مُنتصف العشرينات لتنفيـذ سياسته، وأوكل إليه مهامّ صعبة وحسَّاسة في مُواجهـة المُعـضلات الكبـيرة التـي

---

(1) صحيفة صدى الأحرار : 7 ـ 14 آذار، 1953.
(2) مُحَمَّد حمدي الجعفري : بريطانيا والعراق ، مصدر سابق ، ص 34.
(3) النّصيري : نُوري السّعيد : مصدر سابق، ص 99.

واجهته بعد تولّيه العرش ، حتّى قيل إنّـه أصـبح يـدْ فيـصل اليُمنـى في مُنتـصف العشرينات، ممّا دفعه إزاءْ هذه المسؤوليّات الجسام لتعيينه وزيـراً للـدّفاع في وزارة السّعدون الأُولى التي تشكّلت في عام 1923.[1]

كان نُوري السّعيد قد وصل بغداد في 18 شباط 1921، كما هُو حال الـضُّبّاط الذين عادوا إلى بغداد للمُشاركة في تأسيس الحُكم الجديد، وكان ـ آنـذاك ـ في مدينـة جنوا بإيطاليا لمُتابعة شُؤون القضيّة العراقيّة بأوروبا، وعنـد عودتـه؛ مـرَّ بطريقـه إلى القاهرة، والتقى بعض الضُّبّاط المصريّيْن الذي يرتبط معهُم بصداقة مُنذُ أنْ كـانوا في الجيش العُثماني؛ وفي مُقـدِّمتهم عزيـز المـصري رئـيس جمعيّـة العهـد الـسّرّيّة ، وكذلك التقى بعض السّاسة البريطانيّيْن العاملين في المكتب البريطاني في القـاهرة. وعندما استقرَّ في بغداد سكن في محلّة خُضر إلياس بجانب الكرخ[2].

وحالما وصل بغداد دخل مُعترك الحياة السّياسيّة العراقيّة ، وبسُرعة كبـيرة؛ استقطب أنظار السّاسة العراقيّيْن والمسؤولين البريطـانيّيْن مُحمّـلاً بخـبرة في مجـال الجيش والسّياسة. وبعد أوّل لقاء له مع المس بيل السّكرتيرة الشّرقيّة لدار الاعـتماد البريطاني ببغداد، كتبت عنده تقـول : (إنّنـا نقـف وجهـاً لوجـه أمـام قُـوّة قهّـارة مطواعة، ينبغي علينا إمّا أنْ نعمل يداً بيد معها، أو نشتبك وإيّاهـا في صراع عنيـف يصعب إحراز النّصر فيه).[3] كما وصـفه رئـيس الحُكومـة العراقيّـة عبـد الـرّحمن النّقيب بأنّه الأبرع سياسة بين السّاسة العراقيّيْن.[4] ووصـفه الميجـر يُونـك ضـابط المُستعمرات البريطانيّة بأنّه الأمل الأخير للبريطانيّيْن في العراق[5]، وفي وقت مُبكّر،

---

(1) عبد الرّزّاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقيّة ، ج1 ، مصدر سابق ، ص 42.
(2) جريدة العراق : 21 شباط، 1921.
(3) المس بيل : العراق في رسائل المس بيل ، مصدر سابق ، ص 188.
(4) توفيق السّويدي : وُجُوه عراقيّة ، مصدر سابق ، ص 13.
(5) H. YOUNG , THE INDEPENDENT ARAB, LONDON, 1933,P. 158.

يعود إلى أيلول 1919، أشار الجنرال كلبرت كلايتون رئيس المكتب البريطاني في القاهرة أنَّ أشخاصاً ثلاثة سيكون لَهُم شأن كبير في العراق هُم : ياسين الهاشمي، وجعفر العسكري، وزوج أُخته نُوري باشا. وأضافت ـ بعد ذلك، المس بيل ـ بأنَّ نُوري السّعيد سيكون أحسن الثّلاثة، فهُو على جانب يسير من الذّكاء[1].

عوَّل الملك فيصل الأوَّل على نُوري السّعيد كثيراً، بالنّظر لما يتمتَّع به من مواهب وذكاء وخبرة في الميدان العسكري والسّياسي ، ففي العراق كان يعتمد عليه للحدِّ من نُفُوذ السّياسيِّيْن الآخرين أمثال ياسين الهاشمي، وعبد المُحسن السّعدون، وغيرهما، وعندما اشتدَّت أزمة الموصل، انتدبه الملك فيصل للاشتراك مع السّفير البريطاني لُمفاوضة الأتراك، ونجح في مهمَّته، عندما اقترح أنْ تتنازل تُركيا عن استحقاقها من حصَّة العراق في شركة النّفط التُّركيَّة. وفي أواخر الثّلاثينيَّات؛ تفاهمت الحُكُومة البريطانيَّة والحُكُومة العراقيَّة على الدُّخُول في مُفاوضات لترشيح العراق إلى عُضويَّة مجلس عُصبة الأُمم، ومنحه الاستقلال. ففي تمُّوز من عام 1929، وبعد وُصُول حزب العُمّال البريطاني للسُّلطة، أوعزت الحُكُومة البريطانيَّة إلى المندوب السّامي البريطاني في بغداد أنْ يُبلِّغ الحُكُومة العراقيَّة عن عزمها لإنهاء الانتداب البريطاني، وترشيح العراق لعُصبة الأُمم، وطلبت إليه فتح المُفاوضات مع الحُكُومة العراقيَّة لعقد مُعاهدة تُحدِّد العلاقة بينهما، والحقيقة كانت لضمان مصالحها الكاملة في العراق من خلال هذه المُعاهدة[2]، وفي 23 آذار من عام 1930، ألَّف نُوري السّعيد وزارته الأُولى، مدعوماً من قبَل الملك فيصل الأوَّل لقيادة المُفاوضات مع الجانب البريطاني، وقاد

---

(1) المس بيل : العراق في رسائل المس بيل ، مصدر سابق ، ص .101

(2) مجيد خدوري : نظام الحكم في العراق ، ترجمة فيصل نجم الدّين الأطرقجي ، مطبعة ، المعارف ، بغداد 196، ص 15 ـ 16.

المُفاوضات التي أفضت إلى عقد مُعاهدة عام 1930، الشّهيرة التي ضمنت فيها بريطانيا مصالحها في العراق[1]، وعندما بدأت المُفاوضات بين الجانبَيْن التي رأس الجانب العراقي فيها نُوري السّعيد، ومثّل الجانب البريطاني المندوب السّامي الجديد في العراق السّير فرنسيس هنري همفريز، وعقب انتهاء المُفاوضات؛ تَمَّ التّوقيع على مُعاهدة جديدة بين الطّرفَيْن في 30 حُزيران، عام 1930، سُمّيت بمُعاهدة عام 1930، وكانت هذه المُعاهدة سبباً مُهمّاً لكافّة الاضطرابات السّياسيَّة التي وقعت في البلاد حتّى عام 1958، كونها كانت تُمثّل قيداً جديداً كبّل الشّعب والحُكُومة العراقيَّة طيلة هذه الفترة، لما تضمَّنته من موادّ وبُنُود مُجحفة للعراق ، فقد تضمَّنت إحدى عشرة مادَّة مع مُلحق عسكري ومُلحق مالي، وعدد من الرّسائل التي تبادلها الطّرفان. ثُمَّ إنَّ مواد المُعاهدة وملاحقها، يُمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام هي :

- موادّ عامَّة.

- تعهُّدات مُشتركة بريطانيَّة عراقيَّة.

- تعهُّدات عراقيَّة لبريطانيا.

- تعهُّدات بريطانيا للعراق ، وعدَّت النُّقطة التي مُنحت فيها بريطانيا حقَّ إنشاء مطارَيْن بريطانيَّيْن في العراق إخلالاً بالسّيادة الوطنيَّة[2].

وخُلاصة القول؛ فإنَّ نُوري السّعيد قدَّم خدمة كبيرة لبريطانيا من خلال المُعاهدة، وهي خدمة أكثر ممَّا كانت تتمنَّاها بريطانيا، لأنَّه ضمن كافَّة مصالحها في

---

(1) مُحَمَّد حمدي الجعفري : بريطانيا والعراق ، مصدر سابق ، ص 46.

(2) انظر عبد الرَّزَّاق الحسني : العراق في ظلِّ المُعاهدات.

العراق، لذلك؛ شنَّت الأحزاب المُعارضة ضدَّها حملة كبيرة، وحمل عليها قادة تلك الأحزاب؛ في المُقدِّمة منهم ياسين الهاشمي، وكذلك الصُّحُف الوطنيَّة[1]، وتحت وطأة المُعارضة حلَّ المجلس النّيابي في تمُّوز عام 1930، وتمكَّن نُوري السّعيد ببراعته المعهودة ـ مُستعيناً بحزب العهد الذي أنشأه وبدعم من البلاط، وبعد أنْ نظَّم عمله جيِّداً ـ أنْ يُجري انتخابات، بُغية ضمان وُصُول مجلس جديد، يضمُّ أغلبيَّة تدعم تأييده، لتصديق المُعاهدة، ونجح في خُطوته تلك[2]، وخلال عقد الثّلاثينيَّات، وبعد وفاة الملك فيصل الأوّل عام 1933، وتولِّي ابنه الأمير غازي العرش خلفاً له، لعب نُوري السّعيد دوراً مُهمَّاً في الحياة السّياسيَّة الدّاخليَّة، فعندما وقع انقلاب الفريق بكر صدقي عام 1936، الذي كان من نتيجته مقتل صهره الفريق جعفر العسكري وزير الدّفاع، غادر العراق إلى القاهرة بمُساعدة السِّفارة البريطانيَّة هرباً من مُلاحقة الفريق بكر، ومن هُناك؛ مارس نشاطاً للضّغط من أجل التَّخلُّص من بكر صدقي.[3] ولم يستقرَّ له قرار في القاهرة حتَّى مقتل بكر صدقي على يد الضُّبَّاط القوميِّيْن، عندها؛ عاد إلى العراق، والتفَّ حوله الضُّبَّاط القوميُّون، وشكَّل لهُم عُنصُر قُوَّة، وكان أبرزهم العقيد صلاح الدِّين الصَّبَّاغ، وجماعته العُقداء الآخرين، وأصبحوا تيَّاراً قويَّاً بات يفرض نفسه في السّياسة العراقيَّة، غير أنَّهم سُرعان ما اختلفوا معه عندما بدأت الحرب العالميَّة الثّانيَّة عام 1939، فانضمُّوا إلى جانب رشيد عالي الكيلاني، وكان نُوري

(1) مجيد خدوري: تحرُّر العراق من الانتداب، مطبعة العهد، بغداد، 1935، ص 14.
(2) د. كاظم النّعمة: الملك فيصل الأوّل والإنكليز والاستقلال، الدّار العَرَبيَّة للموسوعات، بيروت، لُبنان، 1988، ص 297.
(3) جيرالد دي غُوري: ثلاثة مُلُوك حكموا بغداد، ترجمة سليم طه التّكريتي، مكتبة النّهضة العَرَبيَّة، بغداد، 1983، ص 157.

ـ وقتذاك ـ يدعو لانضمام العراق إلى جانب بريطانيا في الحرب، وقطع العلاقات مع عدوَّتها ألمانيا، والدُّخُول في الحرب إلى جانب بريطانيا وحليفاتها؛ عن طريق إرسال فرقتَيْن من الجيش العراقي للقتال إمَّا في الصّحراء اللّيبيَّة أو في منطقة البلقان حسبما يقتضيه الموقف العسكري ، مُبرِّراً موقفه هذا للسّاسة العراقيِّيْن قائلاً. إنَّه لو كان يعلم أنَّ بريطانيا ستخسر الحرب، فإنَّه سيكون أوَّل شخص يُطلق النّار عليها ممَّا أحدث قلقاً في الأوساط السّياسيَّة والعسكريَّة العراقيَّة [1] أدَّى لوُقُوع انشقاق بين طرفَيْن، الأوَّل يدعو إلى إسناد مقترح نُوري السّعيد، والثّاني يُؤكِّد على ضرورة التزام الحياد، لأنَّ العراق ليس له مصلحة من وراء الوُقُوف إلى جانب بريطانيا. فتطوَّر الموقف، بعد أنْ اتَّخذ نُوري إجراءات ضدَّ السّفارة الألمانيَّة في بغداد بطَرْد غرُوبا الوزير المُفوَّض الألماني [2] وتعرَّض نُوري لانتقادات من البرلمان العراقي وبعض السّاسة الآخرين. وخلال هذه الفترة؛ بدأ نُوري يميل إلى الكيلاني؛ لكي تُسنَد إليه وزارة الدّفاع، مُستخدماً أسلوب الإقناع مع البلاط، وفعلاً؛ نجح في مسعاه ، ولمَّا جاء الكيلاني كان مُستنداً على قُوَّة العُقداء الأربعة الذين كانوا يُشكِّلون قُوَّة كبيرة لا يُستهان بها ، استطاعت ـ بثقة ـ من إزاحة الكُتل العسكريَّة المُنافسة لها في الجيش. وفي أوائل عام 1941، كان الكيلاني مُرشَّحاً ساخناً لرئاسة الحُكُومة، بعد تراجع نُوري طيلة السّنة الأخيرة التي أفقدته جانباً كبيراً من نُفُوذه السّياسي، وبقي يُراقب تطوُّر الأحداث عن كثب، وبالذّات؛ بعد تكليف طه الهاشمي برئاسة الحُكُومة الذي كان ضعيفاً، فأدَّى هذا الضّعف إلى وُقُوع خلاف بينه وبين الضُّبَّاط الأربعة الذين صدر أمر

---

(1) العقيد صلاح الدِّين الصَّبَّاغ : فُرسان العُرُوبة ، بيروت ، 1956 ،ط1، ص 91 ـ 100.
(2) ناجي شوكت : سيرة وذكريات ، ثمانين عاماً 1894 ـ 1974 ، بيروت ، 1977، ص 82.

نقلهم إلى خارج بغداد ، فرفض العُقداء الأربعة أمر النّقل، وأجبروا الهاشمي على الاستقالة، وإسنادها إلى الكيلاني ، وفي ضوء ذلك؛ هـرب الـوصي عبـد الإلـه إلى البصرة، ونُوري إلى عمّان، ووقعت الأزمة التي سُمّيت بحركة مـايس، التـي كـان من نتيجتها تدخُّل الجيش البريطاني، فاصطدم بـالجيش العراقـي، وأسـفرت عـن دُخُول الجيش البريطاني المُحتلّ إلى العراق من جديـد، ومعـه الـوصي عبـد الإلـه ونُـوري الـسّعيد. وبـدأت مرحلـة جديـدة مـن الاعتقـالات وتـصفية الجـيش، وتقليصه، وإحالة المُشاركين في الحركة إلى المحاكم، وتنفيذ حُكـم الإعـدام بقـادة الحركة، ممّا اعتبرها الجيش إهانة كبيرة وُجّهت له، لم يستطع نسيانها طيلـة عقـدَيْن من الزّمن حتّى سُقُوط النّظام صبيحة 14 تمُّوز عام 1958. وخلال تلـك الفـترة؛ كانت الحرب العالميّة الثّانية في عُنفوانهـا، فأصـدرت الحُكُومـة العراقيّـة قـرارات ومراسيم من بينها القرار الذي أضحى بمُوجبه العراق حليفاً لبريطانيا في الحرب، ويُساندها في أوقات الحرب والسِّلْم. وجرت السّياسة العراقيّة التـي كـان يُـديرها نُوري السّعيد طيلة سنوات الحرب بما يخدم المـصالح البريطانيّـة، في حـين كانـت قُوّاتها العسكريّة المُحتلّة قد جعلت من العـراق مُعـسكراً لمُرُورهـا بالاتّجـاه الـذي يخدمها أثناء سير المعارك، ولم يتغيّر الحـال إلاّ بعـد انتهـاء الحـرب العالميّـة الثّانيـة أواخر عام 1945؛ حيثُ غادرت القُـوّات العـسكريّة البريطانيّـة مُعـسكراتها في العراق، وبقيت قُوّات رمزيّة تُساند الوُجُود البريطاني ، لتبدأ مرحلـة جديـدة مـن تاريخ العراق الحديث ، فقد عادت القوى السّياسيّة الوطنيّة تُطالـب بالاسـتقلال وإلغاء الامتيازات البريطانيّة في العراق، التـي منحتهـا لهـا مُعاهـدة عـام 1930، تماشياً مع الوَضْع العالمي الجديد، الذي يـدعو إلى ترسـيخ المفـاهيم الدّيمقراطيّـة،

ومنح الحُرِّيَّات لكافَّة الشُّعُوب[1]، وتصاعدت مطالب الشّعب العراقي والقوى السّياسيَّة الوطنيَّة بضرورة تحسين الأوضاع السّياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة المُتردِّية، وكانت الحُكُومة قد عجزت عن إيجاد حُلُول مُرضية تُخفِّف وطأة العيش وكبت الحُرِّيَّات والقهر السّياسي التي يُعاني منها المُواطن، في حين كان القادة السّياسيُّون غارقين في نزاعات شخصيَّة ومُنافسات عقيمة ، وبالذّات؛ نُوري السّعيد ومُنافسيه الآخرين ، أمَّا الوصي عبد الإله؛ فقد كان يعيش هاجس الخوف من الجيش الذي انتفض ضدَّه وضدَّ النُّفُوذ البريطاني في مايس عام 1941. في حين تحرَّكت القوى السّياسيَّة الوطنيَّة بعد أنْ شعرت أنَّ العالم الحُرَّ الذي خرج من الحرب العالميَّة الثّانية مُنتصراً بات يُشيع للحُكُومات بضرورة منح الحُرِّيَّات للشُّعُوب؛ لكي تُمارس دورها في الحياة، حتَّى لا يفسح المجال للقُوَّة الجديدة المُنافسة له، وهي الاتِّحاد السّوفيتي والمُعسكر الاشتراكي لاستغلال الأوضاع السَّيِّئة، وينفذ من خلالها، فيُصبح قُوَّة فعَّالة يصعب إزاحتها. أمَّا بريطانيا؛ فقد اعتمدت هذا المنهج السّياسي خوفاً على مصالحها في الشّرق الأوسط، لذلك باتت تحثُّ حُكُومات هذه الدُّوَل لتحسين الأوضاع الدّاخليَّة لبُلدانها، ومن ثَمَّ؛ تعزيز ارتباطها مع هذه الحُكُومات للحفاظ على مصالحها الحيويَّة في المنطقة، ثُمَّ أخذت تُفكِّر بوَضْع المشاريع للحيلولة دُون وُصُول الخطر السُّوفيتي للمنطقة ، فظهرت مشاريع الشّرق الأوسط، التي ساهم بترويجها بعض السّاسة في المنطقة، ومنهم نُوري السّعيد، الذي أخذ على عاتقه مهمَّة هذه المسؤوليَّة.[2]

---

(1) مُحَمَّد حمدي الجعفري : الجيش والسّياسة ، مُسوّدة كتاب غير منشور.

(2) مُحَمَّد حمدي الجعفري : انقلاب الوصي في العراق ، 1952 ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 2000، ص 17 ـ 18.

5- نُوري السّعيد ومهمَّة حماية المصالح البريطانيَّة:

إنَّ ظُهُور الاتِّحاد السُّوفيتي كقُوَّة جديدة في العالم بعد انتهاء الحرب العالميَّة الثّانية عام 1945، كان له تأثير على الاستراتيجيَّة العالميَّة وعلى المصالح البريطانيَّة في الشّرق الأوسط، وخاصَّة بعد إعلان الأوَّل عن سياسته الجديدة الرّامية لمُساعدة الشُّعُوب المُضطهدة، ومنها الشّعب العراقي. وشعرت بريطانيا أنَّ مصالحها في الشّرق الأوسط باتت مُهدَّدة، ومصدر تهديدها هُو الاتِّحاد السُّوفيتي، لذلك؛ سعت لاستنفار إمكانيَّاتها، وتحفيز حُلفائها في المنطقة على اتِّباع سياسة أكثر تفهُّماً لواقع شُعُوبها التي تُعاني من التَّخلُّف والأُمِّيَّة وتردِّي المُستوى المعاشي وتضييق الحُرِّيَّات العامَّة. وجاء ذلك على شكل نصائح وتعليمات ولقاءات مع زُعمائها، وحثّهم على اتِّباع سياسة أكثر اعتدالاً ضمن هذا الإطار لقطع الطّريق على الخطر الشُّيُوعي القادم من الشّرق، وكما جاء بتوصيات المُؤتمر الذي عُقد بلندن عام 1945.[1] وكان العراق في مُقدِّمة الدُّوَل التي اهتَمَّت به بريطانيا، باعتباره يحتلُّ موقعاً مُؤثِّراً في المنطقة، ولأجل القيام بمهمَّة تنفيذ هذه السّياسة كان نُوري السّعيد هُو الشّخصيَّة المُؤهَّلة أكثر من غيرها للقيام بهذه المهمَّة، فهُو الشّخص الوحيد الذي يتفهَّم أهمِّيَّة الدّور البريطاني في المنطقة آنذاك، وبالمُقابل؛ كان المسؤولون البريطانيُّون يُدركون أنَّه الوحيد من السّاسة العراقيِّين وساسة المنطقة الذي يُمكن أنْ يلعب هذا الدّور، وقد أدرك المسؤولون البريطانيُّون تلك الحقيقة مُنذُ وقت مُبكِّر يعود إلى فترة الانتداب البريطاني للعراق في العقد الأوَّل من القرن العشرين مُنذُ آذار من عام 1930، عندما تولَّى رئاسة الوزارة في العراق لأوَّل مرَّة،

(1) Fo To Baghdad, 371/5240, 30-8-1945.

وقاد المُفاوضات مع بريطانيا، التي أفضت إلى عقد مُعاهدة التّحالف المعروفة بينهما لسنة 1930 [1]، ومُنذُ ذلك الوقت وحتّى انتهاء الحرب العالميّة الثّانية عام 1945، تولّى نُوري رئاسة الحُكُومة ثماني مرّات، آخرها الوزارة الثّامنة التي شكّلها في 25 كانون الأوّل 1943، واستقالت في 3 حُزيران 1944[2]، وفي كُلّ مرّة يتولّى رئاسة الحُكُومة فيها فإنّه يُكلّف بمهمّة خاصّة، وبعد أنْ يُنجزها فإنّه يعود إلى مكان السّابق إمّا كعُضو في مجلس النُّوّاب أو الأعيان، أو يتفرّغ لحزبه السّياسي، لكنّه في كُلّ الأحوال وإنْ كان خارج السّلطة، فإنّه يُعتبر مرجعاً للبلاط أو للسّاسة الآخرين في كُلّ كبيرة وصغيرة، حتّى إنّ المسؤولين البريطانيّيْن كانوا ـ غالباً ـ ما يتّصلون به عندما يُريدون وَضْع خطّة مُعيّنة، أو التّفاهم على خُطوة مُقبلة من الأهمّيّة بمكان لا يُمكن تجاوز نُوري السّعيد، أو إبعاده عن مُشاوراتهم تلك، لذلك؛ بقي مُؤثّراً في السّياسة العراقيّة لغاية عام 1958، حتّى وإنْ كان خارج السُّلطة ، أمّا مرحلة ما بعد الحرب العالميّة الثّانية؛ فقد أصبحت المهمّة أصعب، لأنّ الموضوع يتعلّق بكيفيّة التّعامل مع الاستراتيجيّة الجديدة، التي أوجدتها حالة الحرب الباردة ما بين المُعسكر الغربي من جهة والاتّحاد السُّوفيتي والكُتلة الاشتراكيّة من جهة أُخرى، وأصبح نُوري السّعيد الشّخصيّة المُؤهّلة لكي تلعب الدّور الأساسي في تنفيذ تلك السّياسة في المنطقة الذي تعول عليه بريطانيا في مُواجهة الاتّحاد السُّوفيتي، فوجد نُوري نفسه إزاء مسؤوليّة إقليميّة عالميّة جديدة، وأنّ هذه المسؤوليّة تختلف عن السّابق، التي كانت تنحصر في إطار بلده العراق ، لقد بات ـ الآن ـ يبحث عن حُلفاء في المنطقة، ويتحاور معهم

---

(1) عبد الرّزّاق النّصيري: نُوري السّعيد ودوره السّياسي ، مصدر سابق ، ص 187 ـ 194 .

(2) عبد الرّزّاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقيّة ، ج3 ، ج5 ، ج7 ، مصدر سابق. .

لوَضع الاستراتيجيَّة البريطانيَّة الجديدة موضع التّنفيذ؛ إذْ كان ـ هُو الآخر ـ مُقتنعاً أنَّ الشُّيُوعيَّة تُشكِّل خطراً كبيراً على العَرَب والمُسلمين، بما تحمله من أفكار لا تنسجم والقيَم العَرَبيَّة والإسلاميَّة، فقاد حملة قويَّة ضدَّ الأحزاب والتَّيارات التي تقف بالضِّدَّ من السُّلطة أو التي تتعاطف مع الاتِّحاد السُّوفيتي، حتَّى إنَّه أصبح لا يُفرِّق بين الشُّيُوعي وغير الشُّيُوعي، لأنَّه يعتبرهم ينطلقون نحو هدف هُو إخراج بريطانيا من المنطقة، والقضاء على أصدقائها، ومن بينهم المسؤولون العراقيُّون ، لذلك؛ عندما أعلن رئيس الحُكُومة العراقيَّة توفيق السّويدي في آذار 1946، أنَّ حُكُومته قدَّمت طلباً للحُكُومة البريطانيَّة لغرض تعديل مُعاهدة 1930، ثارت ثائرته، وراح يُناصب حُكُومة السّويدي العداء، ولم يهنأ له بال حتَّى سقطت الوزارة في أواخر مايس 1946 ، لأنَّه شعر أنَّ أمر إلغاء أو تعديل الاتِّفاقيَّة من شأنه خلخلة النّظام الملكي الذي سيُعرِّضه للخطر.[1] وعندما رغبت بريطانيا بتعديل مُعاهدة 1930 في آب من عام 1946، وأبلغت الجمالي ـ وهُو في لندن ـ عن تلك الرّغبة. كان هناك رجلان ـ فقط ـ في العراق قادرَيْن على التّفاهم مع بريطانيا لتنقيح المُعاهدة، أوَّلهما نُوري السّعيد، وثانيهما الأمير عبد الإله ، وفي ذلك الوقت كان نُوري السّعيد خارج السُّلطة ، لذلك كُلِّف بتشكيل الوزارة بعد استقالة أرشد العمري ليُمهِّد الطّريق للمهمَّة الجديدة[2]وفي 21 تشرين الثّاني 1946، شكَّل نُوري السّعيد وزارته، وقبل موعد استيزاره بيومَيْن وفي 19 تشرين الثّاني، دُعي الوصي ونُوري لحفلة عشاء في السِّفارة البريطانيَّة ببغداد، وفي هذه الحفلة؛ تَمَّ الاتِّفاق بين الطّرفَيْن على البدء بمُفاوضات لتعديل المُعاهدة.[3] ، وبعد

Stone Hewer-Birde to Bevin , 1.5. 1946, Fo 371/5240. (1)

Bevin to Stone Hewer-Bird , 18.9.1946, Fo 371/5240. 2 . (2)

A.H.O.Iraqi and Persia to air Ministry London 20.11. 1946, Fo 371 / 52402. (3)

انتهاء حفلة العشاء؛ حدَّد الطّرفان النّقاط المُهمَّة لإجراء المُفاوضات، غير أنَّ المُشكلة التي واجهت السّفارة هي أنَّ نُوري كان ـ آنذاك ـ خارج الوزارة، وأنَّ أرشد العمري ليس الرّجل المُناسب لقيادة المُفاوضات، ويجب أنْ يكون نُوري الطّرف الرّئيسي فيها، عند ذلك أرسلت السّفارة برقيَّة إلى وزير الخارجيَّة بيفن تحثّه على تشجيع الوصي لإقصاء العمري وتعيين نُوري رئيساً للحُكُومة بدلاً عنه، ليُهيِّئ الأجواء للمُفاوضات، وفعلاً؛ أُبلغ الوصي بذلك، وفي اليوم التّالي، عُهد إلى نُوري السّعيد بتشكيل الوزارة، وهي الوزارة التّاسعة التي يُشكّلها نُوري، وفي الوقت نفسه؛ تَمَّ الإيعاز للسّفارة للبدء بالمُفاوضات، وأشار بيفن بأنَّ المُفاوضات يجب أنْ تكون ذات صيغة غير رَسْميَّة[1]، ومن الجدير بالذِّكْر أنَّ نُوري عندما شكَّل حُكُومته التّاسعة في 21 تشرين الثّاني عام 1946، كان يرغب بمُشاركة عناصر من مُختلف الاتّجاهات، لذلك؛ فاتح توفيق السّويدي زعيم حزب الأحرار، وكامل الجادرجي زعيم الحزب الوطني الدّيمقراطي، لترشيح أعضاء من حزبَيْهما للانضمام إلى حُكُومته، لأنَّه يُريدها حُكُومة ائتلافيَّة، تضمُّ وزراء من مُختلف الأحزاب. وقد قبل كُلٌّ من السّويدي والجادرجي بعرض نُوري، لكنَّهما اشترطا عليه أنْ يضمن لهُما حُرِّيَّة التّعبير في مجلس النُّوَّاب، وأنْ تقوم الحُكُومة بإجراء انتخابات عامَّة، وعدم التّعامل مع المشاكل بالتّصريحات فقط، وأعلن نُوري مُوافقته على هذه الشُّرُوط، فمثَّل الجادرجي في الوزارة مُحَمَّد حديد، بينما السّويدي السَّيِّد علي مُمتاز الدّفتري.[2] لقد كان مُحَمَّد حديد الذي يدخل الوزارة للمرَّة الأُولى من الطّبقة الثّريَّة التي يُطلق عليها بـ (البُرجوازيَّة)، ويُمثّل الجيل

(1) مُحَمَّد حمدي الجعفري : انقلاب الوصي في العراق عام 1952 ، مصدر سابق ، ص 51.

(2) Al-Windawi, M. Ibrahim, unpublished Thesis Anglo-Iraqi Relations 1945-1958, University of Reading, 1989. P.51.

الجديد من المُثقَّفين، وكانت السِّفارة البريطانيَّة لا ترى فيه شُيُوعيّاً مُتمرِّساً، مثلما كان يُريد الكثير من خُصُومه أنْ يُقنعوا السِّفارة البريطانيَّة بذلك، وكان تشكيل الوزارة بهذه الطّريقة يُعتبر انعطافة جديدة في السّياسة العراقيَّة، لأنَّ أعضاءها يُمثِّلون اتِّجاهات مُختلفة، وقد هنَّأ البريطانيُّون نُوري على هذه التّشكيلة الحُكُوميَّة.[1]

وعندما أعلن عن تشكيلة الوزارة صرَّح نُوري : إنَّ أمن البلاد ومصالحها لهُما الأولويَّة في سياسة الوزارة، وينبغي على العراق أنْ يتحالف مع قُوَّة أو مجموعة قوى، تُساعده في تحقيق أمنه وخاصَّة الأُمم المُحبَّة للسّلام.[2] وهي إشارة واضحة إلى رغبته في تعزيز العلاقة مع بريطانيا، وتمهيداً لقُبُول تعديل صيغة المُعاهدة الجديدة التي تنوي الحُكُومة الدُّخُول بشأنها في مُفاوضات مع بريطانيا، أمّا على صعيد السّياسة الدّاخليَّة، ولكي يكون بمُستطاعة وَضْع سياسته الخارجيَّة موضع التّطبيق دون القيام بخُطوات كبيرة في مجال السّياسة الدّاخليَّة وعلى وجه الخُصُوص الانتخابات القادمة، التي يأمل من خلالها تشكيل برلمان يكون غالبيَّة أعضائه من المُؤيِّدين لسياسته الخارجيَّة؛ أعلن بأنَّ وزارته ستكون انتقاليَّة، ومهمَّتها إجراء انتخابات حُرَّة، وأنَّها لن تستخدم نُفُوذها للتَّدخُّل في الانتخابات.[3] غير أنَّ الأحزاب المُعارضة كانت مُرتابة من تصريحه هذا، وغير واثقة منه، وبدأ نُوري السّعيد عمله الصّعب بإلغاء كافَّة القرارات والإجراءات التي اتَّخذتها حُكُومة أرشد العمري في السّابق ضدَّ السّياسيِّين المُعارضين والصُّحُف الوطنيَّة، ثُمَّ اتَّخذ قراراً بحَلِّ مجلس النُّوَّاب.[4] وباشر باتِّخاذ التّرتيبات اللاّزمة لإجراء

---

(1) Fo to U.K. Delegation to Council of Foreign ministers, 28.11.1946, Fo 371/52403.

(2) stone Hewer-Bired to Attlee, 10.12.1946, Fo 371/52405.

(3) قيس عبد الحُسين الياسري ، الصَّحافة العراقيَّة والحركة الوطنيَّة من نهاية الحرب العالميَّة الثّاني وحتَّى ثورة 14 تمُّوز 1958. دار الحُرِّيَّة ، بغداد، 1978، ص 19.

(4) Stone - Hewer- Birde to Attlee, 10.12.1946, Fo 371/52405.

الانتخابات، بعد أنْ ضمن مُشاركة أحزاب المُعارضة فيها.[1] وعشيّة البدء بإجراء الانتخابات قرّرت الأحزاب السّياسيّة المُشاركة فيها، رغم معرفتهم المُسبقة بسياسة نُوري السّعيد التي لا تُشجّع على المُشاركة بالانتخابات، وبرّرت تلك الأحزاب مُشاركتها بأنّها تسعى لتثبيت حقّ المُواطنين في مُمارسة الانتخابات بحُرّيّة، وكان يتبنّى هذا الرّأي الحزب الوطني الدّيمقراطي.[2] أمّا حزب الاستقلال؛ فقال رأيه بصراحة، وأوضح بأنّ مُشاركته جاءت لكشف التّزوير الذي سيجري على عادة نُوري السّعيد، وأنّ عدم مُشاركته ستفتح الطّريق أمام مَنْ يُريد تزييف إرادة الأمّة.[3] وما إنْ بدأت الانتخابات حتّى ظهرت بوادر التّدخّل الحُكُومي مُنذُ بدايتها، فقد كانت الشّرطة تجوب مناطق الانتخابات وهي مُدجّجة بالسّلاح؛ لإجبار النّاخبين إلى انتخاب مُرشّحي الحُكُومة.[4] في حين عمّم البلاط على كافّة مُتصرّفي الأولوية أسماء مُرشّحيه لضمان فوزهم.[5] وقد أدّت تلك التّدخّلات لاستقالة بعض الوُزراء، فتقدّم على مُمتاز الدّفتري مُمثّل حزب الأحرار باستقالته، وكذلك مُحمّد حديد، الذي مثّل الحزب الوطني الدّيمقراطي[6]. وفي آذار من عام 1947، انتهت الانتخابات بفوز مُرشّحي الحُكُومة بنسبة عالية، وفاز الحزب الوطني الدّيمقراطي بأربعة مقاعد من مجموع 138 مقعداً، وحصل على بقيّة المقاعد مُؤيّدو الحُكُومة والبلاط، وبذلك؛ استطاع نُوري السّعيد -ببراعته المعهودة- أنْ يُنهي الانتخابات بضمان وُصُول أغلبيّة ساحقة من مُرشّحي الحُكُومة إلى المجلس الجديد.[7] فاحتجّت الأحزاب المُعارضة على النّتائج، وطالبت

---

(1) Fo to U.K. Delegation to Council of Foreign Ministers ,28.11.1946 , Fo 371/52405.

(2) فاضل حُسين: تأريخ الحزب الوطني الدّيمقراطي، 1946 - 1958، بغداد، 1963، ص67.

(3) د. عبد الأمير هادي العكّام: تاريخ حزب الاستقلال العراقي، 1946 - 1958، دار الشُّؤُون الثّقافيّة، بغداد، 1986، ط2، ص 204.

(4) الياسري: الصّحافة العراقيّة، مصدر سابق، ص 23.

(5) توفيق السّويدي: مُذكّراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضيّة العربيّة، بيروت، 1969، ص 452.

(6) الحسني: تاريخ الوزارات، ط7، مصدر سابق، ص 137 - ص 141.

(7) الياسري: الصّحافة العراقيّة، مصدر سابق، ص 27.

بحلِّ البرلمان، واعتبرته لا يُمثّل إرادة الأمّة، وقام الحزب الوطني الدّيمقراطي بسحب أعضائه الذين فازوا بالانتخابات بسبب التّدخُّل الحُكومي فيها.[1]

أمّا السّفارة البريطانيّة؛ فقد رحّبت ـ بحرارة ـ بنتائج الانتخابات؛ مُؤكّدة بأنّها جرت بحُرّيّة، وشكّلت انتصاراً كبيراً لأصدقائها الأوفياء ومُمثّليهم في مجلس النُّوّاب المُنتخب حديثاً، وبعد انتهاء الانتخابات، استقالت وزارة نُوري السّعيد في 11 آذار، عام 1947 [2] ويبدو أنّ بريطانيا ـ وعلى حين غرّة ـ ارتأت أنْ يقود مُفاوضات تعديل المُعاهدة صالح جبر ، فقد اعتبره السّاسة البريطانيُّون الخيار الأمثل لبريطانيا، وأمل بريطانيا في العراق، وأفضل خليفة لنُوري السّعيد.[3] ولمّا كان صالح خارج السُّلطة، فقد أعَرَبت السّفارة البريطانيّة ببغداد عن رغبتها أنْ يتولّى بنفسه رئاسة الوزارة، وأنْ يقدِّم نُوري له الدّعم الكامل في مجلس النُّوّاب، وفعلاً؛ أُسندت الوزارة له في 29 آذار من عام 1947 ، وعبّرت السّفارة عن ارتياحها لاختياره، ووصفته بأنّه سيكون قُبطان السّفينة ونُوري أدميرال البحريّة.[4] وجاء وصف نُوري السّعيد على هذه الشّاكلة من باب ذرِّ الرّماد في العُيُون ، لأنّها كانت قد عزمت على جعل صالح جبر هُو خليفة نُوري السّعيد، الذي بدأ عُمره يقترب من السّتّين عاماً. أمّا نُوري؛ فقد أدرك ما يُخبّئ له البريطانيُّون، وظلّ يُراقب الأُمور بعين الحذر ، ومن جانب آخر؛ فإنّه لم يتردّد تجاه دعم ومُساندة صالح جبر مُنافسه الذي ظهر على الواجهة فجأة. فقدّم له الدّعم الذي أرادته بريطانيا في مجلس النُّوّاب، ذلك أنّه بات مُقتنعاً أنّ الحُكُومة البريطانيّة تسعى لأنْ تستغني عنه، بعدما وضعت ثقتها بصالح جبر، الذي وصفته بأنّه أمل بريطانيا في العراق، وأنّه خليفة نُوري الذي أمسى عجوزاً. فلم يُظهر نُوري امتعاضه، أو تذمُّره

(1) فاضل حُسين : تاريخ الحزب الوطني ، مصدر سابق ، ص91.

(2) الحسني : تاريخ الوزارات ، ج 7 ، مصدر سابق ، ص 157.

(3) Minute by Carran, 28. 4.1947, Fo 371/61589.

(4) Stone hewer- Bird to Bevin, 2.4.1947, Fo 371/ 61589.

لهذا الاختيار، وإنّما قبلها على مضض؛ بانتظار ما ستُسفر عنه الأحداث، ومن ثمّ يضرب ضربته عندما تحين الفُرصة. أمّا صالح؛ فقد صرّح حال تسلُّمه المسؤوليّة أنّ شُرُوط تعديل المُعاهدة سيتُمُّ إقرارها بعد دراسة مُستفيضة.[1] وفي أوائل مايس من العام ذاته؛ وصل الوفد المُفاوض البريطاني إلى بغداد، وضمَّ السّير بريان بيكر (Brain Bakeer) وبعض المسؤولين البريطانيّين؛ من بينهم السّكرتير الشّرقي في السّفارة البريطانيّة دُوغلاس بُوسك (D.Busk)، وبدأت سلسلة من المُفاوضات السّرّيّة مع الجانب العراقي، وقد ترأّس الوفد العراقي فيها الوصي عبد الإله، ومعه صالح جبر، ووزير الدّفاع شاكر الوادي، ولم يحضره نُوري السّعيد، ممّا أعطى انطباعاً مُلفتاً للنّظر أنّ بريطانيا سوف تتخلّى عنه، وقد عُقدت الجلسة الأُولى بين الطّرفَيْن في مبنى السّفارة البريطانيّة ببغداد. وعندما بدأت المُفاوضات بين الطّرفَيْن كان الوصيُّ قد شدَّد في لقاءه هذا على ضرورة التّوصُّل إلى اتّفاق سريع مع البريطانيّين، أمّا صالح؛ فقد كان مُهتمّاً بضرورة الوُصُول إلى اتّفاق لا يظهر فيه العراقيُّون أمام العَرَب بأنَّ سيادتهم مُستباحة من قبَل بريطانيا، وأنّهم ليسوا لُعبة بيد البريطانيّين، وإنّما قرارهم سيتّخذونه بأنفسهم، ولم يُدرك كلاهما؛ أيْ الوصي وصالح، أنَّ المصالح البريطانيّة الاستراتيجيّة بعد الحرب العالميّة الثّانية والصّراع الجديد بين الشّرق والغرب اقتضت أنْ يكون العراق رأس الرّمح في استراتيجيّتهم الجديدة، وأنّه يحتلُّ مكانه في استراتيجيّة بريطانيا أكثر من ذي قبل للأسباب التّالية:

أوّلاً : إنَّ العدوَّ الأكبر للمصالح البريطانيّة (الغربيّة عُمُوماً) ـ الآن ـ هُو الاتّحاد السُّوفيتي والعقيدة الماركسيّة، في حين كانت أمس ألمانيا النّازيّة، والاتّحاد السُّوفيتي في موقعه الجُغرافي يُحادي منطقة الشّرق الأوسط ومياهه الدّافئة، ولا يبتعد عن العراق سوى 120 ميلاً من ناحية الشّمال.

---

(1) مُحَمّد حمدي الجعفري : انقلاب الوصي في العراق ، مصدر سابق ، ص55.

ثانياً: لبريطانيا مُعاهدة تحالف مع العراق، وليس لها أو لأيِّ دولة غربيّة مُعاهدة مُماثلة مع جيران العراق؛ على سبيل المثال: إيران أو تُركيا، إلا أنَّ الأخيرة بدأت تسعى سعياً حثيثاً لعقد اتّفاقيّة مع بعض دُول الغرب، وقد نجحت لاحقاً في أنْ تكون الطّرف الشّرقي لحلف النّاتو الجديد (NATO) الذي ظهر بعد ذلك بفترة وجيزة.

ثالثاً: عند اندلاع الحُرُوب مُستقبلاً ستكون للقُوَّة الجوِّيّة والصّواريخ الدّور الفاعل فيها. وإنَّ القواعد الجوِّيّة البريطانيّة في العراق سوف تُسهِّل لبريطانيا وحُلفائها من مُهاجمة الاتِّحاد السُّوفيتي، أو ضرب القُوَّات السُّوفيتيّة المُهاجمة لمنطقة الشّرق الأوسط.

رابعاً: بالنّظر لما يتمتَّع به العراق من إمكانيَّات استراتيجيّة، فإنَّه يُمكن أنْ يكون الموقع الذي تتجمَّع به القُوَّات الحليفة قبل أنْ تنفتح في الجبال الإيرانيّة لصَدِّ الهُجُوم الرُّوسي المُحتمَل.

خامساً: من العراق يُمكن أنْ تنطلق القُوَّات الحليفة لوقف الهجمات الجوِّيّة والأرضيّة الرُّوسيّة على المنابع النّفطيّة في إيران والخليج العَرَبي.

سادساً: إنَّ العراق بلد غنيٌّ بالنّفط، ولا مجال لتركه يقع تحت سيطرة أيّة قُوَّة أُخرى غير صديقة.

سابعاً: في العراق نظام سياسي حليف لبريطانيا، يُؤمن بأهمِّيّة العلاقة مع الغرب، يقف على رأسهم نُوري السّعيد سيِّد السّياسة العراقيّة.[1]

انتهت الجولة الأُولى من المُفاوضات في السّفارة البريطانيّة ببغداد، وانتقلت الجولة الثّانية إلى لندن، ففي 18 آب من ذلك العام، بدأت المُفاوضات، وقاد الجانب العراقي فيها الوصي عبد الإله أيضاً، ومعه نُوري السّعيد هذه المرَّة (ويبدو أنَّ إبعاد

---

(1) د. مُؤيِّد الونداوي : العلاقات العراقيّة ـ البريطانيّة ، مصدر سابق.

نُوري مسألة غير محسوبة، وجرى تصحيحها لغرض إبعاد الأوهام والشُّكُوك التي سوف تُساوره) وجرى ـ خلالها ـ لقاء الوفد العراقي مع المستر بيفن.[1]

ثُمَّ استمرَّت اللّقاءات تُعقد بين الجانبَيْن في بغداد ولندن، حتَّى كانون الثّاني من عام 1948؛ حيثُ عُقد اللّقاء الأخير في بُور تسموت الميناء البريطاني، وكان يرأس الوفد العراقي صالح جبر ، وفي هذا اللّقاء؛ أُعلن بسُرعة أدهشت الجميع عن توصُّل الطّرفَيْن إلى مُعاهدة جديدة، وما إنْ علمت الجماهير في العراق بنبأ توقيع المُعاهدة الجديدة، وكانت تترقَّب النّتائج بانتهاء مُعاهدة 1930، وإذا بها تُفاجَأ بعقد اتِّفاقيَّة جديدة ، فأنزلت الأحزاب السّياسيَّة المُعارضة جماهيرها إلى الشّارع، وعمَّت التّظاهرات شوارع بغداد والمُدُن الأُخرى، وهي تُعلن رفضها للمُعاهدة الجديدة، استمرَّت عدَّة أيّام بدُون توقُّف، بالرّغم من كُلّ وسائل القُوَّة والعُنف التي استخدمتها الحُكُومة ضدَّهم، بما فيها إنزال الشّرطة إلى الشّارع لقمع المُتظاهرين، فوقعت مُواجهات مُسلَّحة بين قُوَّات الشّرطة والمُتظاهرين، سقط من جرَّائها أعداد كبيرة من القتلى والجرحى، ويُقدَّر عدد القتلى في يوم واحد ثلاثمئة قتيل ، وكان المُتظاهرون يُطالبون بسُقُوط حُكُومة صالح جبر، الذي كان حتَّى ذلك الوقت في لندن. أمّا الوصي الذي وجد نفسه وحيداً في بغداد بدُون مُساعديه المُقرَّبين، الذين كانوا ضمن الوفد، فضلاً عن مشاهد القتلى التي ملأت شوارع بغداد؛ فقد أعلن والمُظاهرات ومظاهر التّدمير على أشدِّها الذي شمل الكثير من الدّوائر الأجنبيَّة والعراقيَّة (بأنّه لن يقبل بمُعاهدة لا يرضى عنها الشّعب) ، وحالما سمع المُتظاهرون هذا التّصريح هدأت الحالة، وانسحبوا من الشّوارع، في حين قام البريطانيُّون بتوبيخ الوصي على تصريحه هذا، واعتبروه بمثابة تخاذل. أمّا

P.G. Carrant to D.C. Stapleton, 6.9. 1947/Fo 371/15994. (1)

صالح جبر؛ فقد صرَّح من لندن بأنَّه سيعود إلى بغداد، وسيقطع الرُّؤوس المُحرِّكة لهذه التّظاهرات ، فهاجت الجماهير من جديد، مُتوعِّدة إيَّاه بالقصاص منه، إنْ عاد إلى بغداد، ممَّا استدعى الحُكُومة البريطانيَّة لإرساله على متن طائرة بريطانيَّة خاصَّة هُو والوفد المُرافق له نزلت في مطار الحبَّانيَّة العسكري ، فهرب إلى منطقة الحلَّة عند أصهاره آل الجريان، وقدَّم استقالته من رئاسة الحُكُومة، وباستقالته انتهت المُظاهرات، ولم يَعُدْ هُناك أيُّ نشاط للأحزاب السّياسيَّة المُعارضة ضدَّ الحُكُومة، فأطلق الوطنيُّون على تلك الأحداث بـ ((وثبة كانون الثّاني)). [1]

6 - نُوري السّعيد والموقف البريطاني من قضيَّة فلسطين :

تمهيد :

عندما وُضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني عقب انتهاء الحرب العالميَّة الأُولى باعتبارها من الأراضي التي كانت خاضعة للإمبراطُوريَّة العُثمانيَّة المهزومة في الحرب، كانت الحركة الصّهيونيَّة العالميَّة ـ آنذاك ـ عازمة على إنشاء وطن قوميٍّ لليهود في فلسطين، استناداً لتصريح وزير خارجيَّة بريطانيا (بلفور) الذي أعلنه عام 1917، وقد سعت بريطانيا سعياً حثيثاً لتنفيذ الوعد وإخراجه إلى حيِّز الوُجُود، ساندتها في ذلك الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة. ورغم أنَّ بريطانيا حاولت الإبقاء سريَّاً على موقفها، لأنَّ عكس ذلك سيُعرِّض مصالحها في المنطقة العَرَبيَّة للخطر، فساهمت ـ فيما بعد ـ بقدر كبير في دعم الحركة الصّهيونيَّة من خلال قرارها بالانسحاب من فلسطين، والمُوافقة على قرار تقسيمها، الصّادر من الأُمم المُتَّحدة بعد أنْ ساهمت بصياغته عام 1947، ومنح هذا القرار جُزءاً من الأراضي العَرَبيَّة الفلسطينيَّة لليهود، والذي أدَّى إلى إقامة دولة صهيونيَّة، ثُمَّ

(1) مُحَمَّد حمدي الجعفري : انقلاب الوصي في العراق ، مصدر سابق، ص 122.

شجّعت ـ بالتّعاون مع الولايات المُتّحدة الأمريكيّة ـ الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين من كافّة أنحاء العالم. كانت القضيّة الفلسطينيّة الشُّغل الشّاغل للرّأي العامّ العَرَبي، والعراقي بالذّات ،؛ إذْ إنَّ الأحداث التي وقعت في فلسطين مُنذُ الثّلاثينات قد أجبرت الحُكُومة العراقيّة على الاهتمام بها، رغم أنَّ الملك فيصل الأوّل كان أوّل رئيس عَرَبي يتوصَّل إلى تفاهم مع رئيس الوكالة الصّهيونيّة د. حاييم وايزمان (Weizman) حول التّعايش العَرَبي ـ اليهودي في فلسطين ، عندما اجتمع به قُرب العقبة عام 1919. ولمّا كان صانعو السّياسة البريطانيّة مُؤمنين بضرورة إنشاء دولة يهوديّة في فلسطين، فقد مارسوا ضغطاً على الحُكُومات العَرَبيّة لتنفيذ الفكرة، وكانت الحُكُومة العراقيّة من بين تلك الحُكُومات التي وقعت عليها الضُّغُوط البريطانيّة، وآنذاك؛ كان يشغل بال الحُكُومة العراقيّة هذا الموضوع وإيجاد مخرج مُقنع له. لقد دفعت عوامل عديدة بالحُكُومة العراقيّة للاهتمام بشُؤُون عَرَب فلسطين وكفاحهم ضدَّ إقامة وطن قومي لليهود التي نادت بها بريطانيا، ووعدت به اليهود عام 1917، وهذه العوامل تنحصر بأربعة نقاط رئيسيّة هي :

ـ العلاقات بين بريطانيا والعراق من خلال المُعاهدات.

ـ طُمُوح العائلة الهاشميّة الحاكمة في بغداد للحُصُول على تأييد عَرَبي.

ـ المصالح الاقتصاديّة المُشتركة بين العراق وفلسطين.

ـ العامل الدِّيني والقومي المُشترك الذي يربط العراق بفلسطين.

وحول النُّقطة الأُولى فقد تجسّد ذلك في المُعاهدات التي ترتبط بها الدَّولتان، وآخرها مُعاهدة عام 1930، التي عقدها نُوري السّعيد مع الحُكُومة البريطانيّة، وضمنت فيها الأخيرة كافّة مصالحها في العراق، فضلاً عن العلاقات التّجاريّة

والقوميَّة والدِّينيَّة التي تربط العراق مع فلسطين؛ إذْ إنَّ الشّعبَيْن في القُطرَيْن هُما -في الأساس - شقيقان في الدِّين والقوميَّة، وهُنالك علاقات اقتصاديَّة بين البلدَيْن؛ منها وُجُود أُنبوب النّفط المُمتدّ من كركوك إلى ميناء حيفا الفلسطيني، الذي يطلُّ على البحر الأبيض المُتوسِّط، إضافة إلى كونه ميناء تجاريًّا مُهمًّا للبضائع العراقيَّة المُصدَّرة إلى الخارج، وكذلك منفذاً لاستيراد ما يحتاجه العراق من البضائع.

وهُنالك التّنافس بين العائلتَيْن الهاشميَّة الحاكمة في العراق وعمّان وبين العائلة السُّعُوديَّة الحاكمة في الرّياض، للحُصُول على تأييد عَرَبي واسع لكُلٍّ منهما بسبب العداء المُستحكم بين العائلتَيْن، فمن المعروف أنَّ العائلة السُّعُوديَّة استحوذت على عرش الحجاز الذي يحكمه الهاشميُّون عام 1926، بعد نزاع عسكري مرير، فبات العداء مُستحكماً مُنذُ ذلك الحين. لذلك؛ وضع نُوري السّعيد هذه الاعتبارات نصب عينَيْه وهُو يرسم سياسة العراق الخارجيَّة [1]، وفي السّابق لم يتدخَّل العراق في القضيَّة الفلسطينيَّة بشكل فعَّال ومُؤثِّر خلال فترة الانتداب البريطاني المُمتدَّة من عام 1920 - 1932 بسبب من أنَّ السّياسة الخارجيَّة العراقيَّة كانت تُسيطر عليها السُّلطات البريطانيَّة بصفتها القُوَّة المُنتدبة، وعندما حصل العراق على استقلاله عام 1932، أصبح فاعلاً ومُؤثِّراً في القضيَّة الفلسطينيَّة، وقد أجبرت الأحداث التي وقعت في فلسطين في ربيع عام 1936، على قيام الحُكُومة العراقيَّة التي يرأسها ياسين الهاشمي، بإصدار بيانات مُؤيِّدة للقضيَّة الفلسطينيَّة.

وممَّا يُذكر فإنَّ الملك فيصل عندما كان ملكاً على سُوريا كان مُستعدًّا لغاية وفاته عام 1933، لتقبُّل فكرة إقامة وطني قومي لليهود على أرض صغيرة في فلسطين تقع تحت سُلطته في إمبراطُوريَّة مُتَّحدة، وصرَّح بذلك عند لقائه بـ (د. حاييم وايزمان). وخلال مُناقشاته مع السّاسة البريطانيِّيْن، أو مُمثِّليهم في بغداد ولندن،

From More details on These Factors , see Sami.H. Alkaisi, Palestine and Iraqi Fo: In Policy 1939-1958 . (1)

أعرَب مراراً عن قناعته بأنَّ إنجاز نوع من الدَّولة المُتَّحدة التي تشمل العراق وسُوريا وفلسطين تحت السُّلطة الهاشميَّة يُعطي مُبرِّراً مُقنعاً لموضوع المصالحة بين العَرَب واليهود في فلسطين. وبقيت هذه الأفكار قائمة حتَّى وفاته التي تركت فراغاً سياسيَّاً في البلاد، فقد اضطربت الأوضاع الدّاخليَّة في البلاد، وبات السّاسة يتدخَّلون لإحراز مكسب شخصي، والفوز بمناصب، والاستحواذ عليها، في حين كان نُوري السّعيد يرسم سياسته بهُدُوء، وينسجها بالخفاء مع السّاسة البريطانيِّيْن ، ممَّا زاد من ريبة العراقيِّيْن به، وظهرت كُتلتَان على السّاحة السّياسيَّة تضمُّ المُناصرين للعَرَب (القوميِّيْن)، والثّانية خُصُومهم من العراقيِّيْن السّياسيِّيْن الذين يُريدون الارتباط ببريطانيا، وتقوية العلاقة معها، يقودهم نُوري السّعيد، وبالذّات؛ بعد حادث مقتل الملك غازي عام 1939، في حادث سيَّارة مُدبَّر، مازالت أصابع الاتِّهام تُوجَّه إلى بريطانيا ونُوري السّعيد، وهُو أمر أدَّى إلى قيام الجماعة الأُولى، ومعهم القادة العسكريُّون العُقداء الأربعة: صلاح الصَّبَّاغ،وفهمي سعيد، ومحمود سلمان، وكامل شبيب، بالاصطدام بالبريطانيِّيْن، ووُقُوع حرب بين الجيشَيْن العراقي والبريطاني عام 1941، لم تكن مُتكافئة، رجَّحت الكفَّة للقُوَّات البريطانيَّة، ودخل الجيش البريطاني البلاد، وطُوردت العناصر القوميَّة إمَّا في السّجن أو الإعدام[1]. وفي الفترة ما بين عام 1941 - 1945، حدث تغيُّر خطير في السّياسة العراقيَّة إزاء فلسطين؛ إذْ إنَّ العناصر المُوالية لبريطانيا كانت في السُّلطة، وأبرزهم نُوري السّعيد، الذي عاد للسُّلطة مَزْهُوَّاً بانتصاره، أمَّا المُناهضون لبريطانيا - جماعة الكيلاني والعُقداء الأربعة - فكانوا في السُّجُون، أو نُفِّذ بحقِّهم حُكم الإعدام، أو مُشرَّدون، وكانت البلاد - في الواقع - تحت الاحتلال البريطاني، ونتيجة لذلك فَقَدَ العراق مركزه القيادي

---

(1) د. عبَّاس عطيَّة جبَّار: العراق والقضيَّة الفلسطينيَّة 1932 - 1941، ط1، بغداد، مطبعة الجامعة، عام 1982، ص 137.

العَرَبِي. ومن جانب آخر؛ زادت المصاعب الاقتصاديَّة العراقيَّة بسبب إغلاق خطٍّ أُنبوب كركوك - حيفا النّفطي، المُمتدِّ من العراق إلى البحر الأبيض المُتوسِّط عبر فلسطين؛ بسبب وُقُوعه تحت السّيطرة الصّهيونيَّة، وكذلك أُغلق الطّريق البرِّيّ بغداد - حيفا؛ باعتباره أكبر منفذ تجاري إلى البحر المُتوسِّط أيضاً ؛ إذْ كانت فلسطين رابع أكبر مُصدِّر للبضائع العراقيَّة. وكان أغلب أصدقاء بريطانيا من العراقيِّين يعتقدون أنَّ بريطانيا تقف إلى جانبهم في القضيَّة الفلسطينيَّة، وفي مُقدِّمتهم نُوري السّعيد، لكنَّ الشّئ الذي أقلق نُوري السّعيد والجماعة المُوالية لبريطانيا هُو دُخُول الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة كَطَرَف فيها[1]. أمَّا الدُّوَل العَرَبيَّة، ومعها العراق في الجامعة العَرَبيَّة؛ فكانت غير واضحة في اتِّباع سياسة نموذجيَّة لمَنْع قيام دولة يهوديَّة في فلسطين، إضافة للدّور السّلبي الذي لعبته الدُّوَل العَرَبيَّة في تزايد الانقسامات داخل صُفُوف الحركة الوطنيَّة الفلسطينيَّة. في أيلول عام 1945، استدعت الحُكُومة البريطانيَّة مُمثِّليها في بُلدان الشّرق الأوسط للحُضُور إلى لندن لمُناقشة المُشكلة الفلسطينيَّة، وجرى التّأكيد في المُؤتمر على أنّه من النّاحية الاستراتيجيَّة يجب أنْ تظلَّ فلسطين تحت السّيطرة البريطانيَّة، وأشار المستر إرنست بيفن (Arnist Bievn) إلى أنَّ التَّخلِّي عن الورقة البيضاء التي أصدرتها بريطانيا عام 1939، بخُصُوص مُشكلة فلسطين قد يُلهب الشّرق الأوسط، ويُخاطر بالمصالح البريطانيَّة، لذلك؛ يجب تشجيع العناصر المُعتدلة من كلا الجانبَيْن للتَّوصُّل إلى اتِّفاق مُثمر، ولحين التَّوصُّل إلى هذا الاتِّفاق يجب أنْ تستمرَّ السّيطرة البريطانيَّة.[2] أمّا بُلدان الشّرق الأوسط؛ فقد حذَّرت من أنَّ مُستقبل الوُجُود البريطاني في المنطقة يعتمد على الموقف البريطاني من مُشكلة فلسطين.[3]

---

(1) أظهرت الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة بعد انتهاء الحرب العالميَّة الثّانيَّة تعاطفاً واضحاً مع اليهود، وصرَّح رئيس دولتها هاري ترومان عن سعيه بالسّماح لليهود في أوروبا بالهجرة إلى فلسطين والاستيطان بها، د. عبَّاس عطيَّة جبَّار " العراق والقضيَّة الفلسطينيَّة ، مصدر سابق ، ص 187 ".

(2) paper, post war fssuer in the middle east, C.G 537/3982.

(3) Baocter to W.O., 14. 6. 1944, Fo 371/ 40079.

أمّا صانعو السّياسة البريطانيّة؛ فقد أشاروا إلى أنّه من الأفضل قيام دولة تضمُّ العَرَب واليهود في فلسطين على أساس فكرة التّقسيم التي كان يدعو لها (بيفن)، خاصّة بعد اتّضاح الدَّعْم الأمريكي للصّهاينة، من خلال التّأثير الكبير للمُنظّمات الصّهيونيّة القويّة جدّاً في المُجتمع الأمريكي. وقد اعتبرت الخارجيّة البريطانيّة أنّ الدَّعْم الأمريكي للصّهاينة قد يخلق اضطرابات في البُلدان العَرَبيّة، تنعكس سَلْبَاً على الوُجُود البريطاني.[1] لقد دفع هذا النّهج السّياسي لتشكيل هيئة إنكلو ـ أمريكيّة للاستقصاء، والتي كان هدفها جَمْع المعلومات عن المُشكلة اليهوديّة في أوروبا، والاطّلاع على وُجهة النَّظَر العَرَبيّة بخُصُوص مُستقبل فلسطين، ومن ثمَّ؛ تقديم التّوصيات لكلا الحُكُومتَيْن، فزار بغداد في آذار 1946، ستّة من أعضاء الهيئة، واستقبلهم الدُّكتُور مُحَمَّد فاضل الجمالي، وعرض لهم وُجهة النَّظَر العراقيّة ، وأكّد على الاهتمام العميق الذي يشعر به العراق إزاء مُستقبل فلسطين؛ لأنّها قلب الوطن العَرَبي، وظهر أنّ هُناك حلاً واحداً ـ فقط ـ للمُشكلة؛ هُو أنّ فلسطين يجب أنْ تُدار وُفق المبادئ الدّيمقراطيّة على أساس حُكُومة مُستقلّة، وأنّ هذه المبادئ تستند إلى رُوح ميثاق الأُمم المُتّحدة.[2] وفي نيسان 1946، نشرت الهيئة تقريرها، وأوصت بضرورة أنْ يُسمح لمئة ألف يهودي بالهجرة إلى فلسطين، في الوقت نفسه؛ لم تذكر الهيئة أيَّ شيء بخُصُوص النّزاع بين العَرَب واليهود في فلسطين. لقد شكّل التّقرير صدمة كبيرة للعَرَب والعراقيّيْن بالذّات، وسبّب ردَّ فعل قوي وشديد لدى الشّعب العَرَبي، ففي بغداد؛ احتجَّ مجلس الوُزراء ضدَّ التّقرير، في حين أرسل مجلس الأعيان العراقي

---

(1). Nicolas Bethel, the Palestine Triangle (London, Hazel Watson and Viney, 1959) P. 164

احتجاجه إلى نظيره في بريطانيا والولايات المتّحدة الأمريكيّة والاتّحاد السّوفيتي، واتّهمت الصّحافة والأحزاب السّياسيّة الحُكُومة البريطانيّة بالانحياز إلى جانب الصّهاينة، وغدرهم بحُلفائهم العَرَب، وطالبت أغلب الأحزاب السّياسيّة بإعادة النَّظَر في المُعاهدة العراقيّة ـ البريطانيّة لعام 1930.[1]

أمّا حزب الاستقلال؛ مُناصرو حركة رشيد عالي الكيلاني النّشطين ضدَّ السّياسة البريطانيّة مُنذُ الثّلاثينات، فقد أشاروا بأنَّ سياستهم المُعادية لبريطانيا عادت إلى منهجها، الذي كانت عليه خلال الثّلاثينات، وباتت تُخيِّم على بغداد. وعلى الرّغم من أنَّ الحُكُومة العراقيّة أعلنت أنّها ستقوم بإجراءات ضدَّ المصالح البريطانيّة والأمريكيّة بسبب موقفها من القضيّة الفلسطينيّة، إلاّ أنّها لم تذكر ما هُو طبيعة الفعل الذي ستقوم به تجاه الموقف البريطاني ـ الأمريكي، وكان هُناك إدراك شعبيّ عامّ بأنَّ العراق ليس له القُدرة على تهديد المصالح الإنكلو ـ أمريكيّة في الشّرق الأوسط، وأنَّ الحُكُومة ليس لها الرّغبة في أنْ تفعل ذلك، والحقيقة هي أنَّ نُوري السّعيد والوصي عبد الإله وأغلب السّياسيِّيْن العراقيِّيْن كانوا يستخدمون المُشكلة الفلسطينيّة للفَوْز بدَعْم شعبي شخصي لهُم في البلاد، لكنَّهم بقَدْر اهتمامهم بالسّياسة الخارجيّة كانوا يُواصلون اهتمامهم بمُحادثاتهم مع بريطانيا لإعادة النَّظَر بمُعاهدة 1930.[2]

كان الجمالي الذي ترأس الوفد العراقي إلى مُؤتمر لندن في نيسان عام 1947، فرحاً، ومعه أعضاء الوفد، لإحالة القضيّة إلى الأُمم المُتَّحدة. لم يكن هُنالك اعتراض مبدئي على مُناقشة المُشكلة في الأُمم المُتَّحدة، وهذا شيء كان العراق قد

(1) عبد الرَّزّاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقيّة ، ج 5 ، مصدر سابق ، ص 18
(2) Busk to Bevin, 16.8. 1946, 371/52341.

أكَّده في أكثر من مُناسبة. وفي بغداد؛ توقَّع رئيس الوزراء نُوري السّعيد أنَّ أمريكا رُبَّما تستخدم تأثيرها على الأُمم المُتَّحدة لضمان صُدُور قرار لصالح اليهود. وقام بمُحاولة للضّغط على الأمريكان، ولإحراج العَرَبيَّة السُّعُوديَّة في الوقت نفسه، لذلك؛ أقنع وزارته والبرلمان بدعوة الدُّوَل العَرَبيَّة كُلّها إلى اتِّخاذ موقف مُوحَّد. وإزاء الوَضْع الذي بات مُتردِّياً بسبب الضُّغُوط البريطانيَّة والأمريكيَّة لصالح اليهود، فقد وضعت الحُكُومة العراقيَّة برئاسة نُوري السّعيد شُرُوطاً، وأبلغ الأخيرُ الدُّوَلَ العَرَبيَّةَ بها، طالباً منها الالتزام بها لمُمارسة شيء من الضّغط على الدَّولتَيْن، وطلب منهما الثّبات على قرار يشمل تلك الشُّرُوط، التي نصَّت على:

ـ إشعار الحُكُومتَيْن البريطانيَّة والأمريكيَّة عن مسؤوليَّتهما تجاه الوَضْع المُتوتِّر في فلسطين.

ـ إعلان فلسطين دولة عَرَبيَّة مُستقلَّة ، وفي حالة فشل ذلك، على العَرَب تنفيذ قرارات بلودان السِّرِّيَّة.

ـ يمتنع العَرَب عن تزويد المصانع الصّهيونيَّة في أوروبا بالمواد الأوَّليَّة، وينبغي عليهم مُقاطعة البضائع الصّناعيَّة الصّهيونيَّة.[1]

وعندما كان الجمالي في لندن بطريقه إلى نيويورك لحُضُور الجلسة الخاصَّة لمجلس الأُمم المُتَّحدة، في نيسان 1947، التمس من بريطانيا تقديم دَعْمها إلى العَرَب في الأُمم المُتَّحدة، وأعرَب عن مخاوفه من أنَّ الأمريكان والمال الصّهيوني قد يُؤثِّران على الأعضاء للتّصويت ضدّ العَرَب، وقد أكّدت له الخارجيَّة البريطانيَّة

(1) عبد الرَّزَّاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقيَّة، ج 7 ـ 8، مصدر سابق، ص 172 ـ 173.

بأنَّ الأمريكان والبريطانيِّين سوف لن يتدخَّلوا في ذلك، وأظهرت النّتائج أنَّ الخارجيَّة البريطانيَّة لم تكن صادقة في تأكيدها.[1]

وفي أيّار؛ عُقدت الجلسة الخاصَّة في الأمم المُتَّحدة، وظهرت وقائع الاجتماع ونتائجه مُخيِّبة لآمال العَرَب، الذين كانوا يأملون من هذه المُنظَّمة الدُّوَليَّة أنْ تتوصَّل إلى حلٍّ مقبول ، فاعترض المُمثِّلون العَرَب في الأُمم المُتَّحدة، ومن ضمنهم العراق، وخاصَّة على العبارات التي قدَّمتها الحُكُومة البريطانيَّة في الأُمم المُتَّحدة، لأنَّها تضمَّنت اعترافاً بادِّعاء اليهود بحُقُوقهم في فلسطين، كذلك التمسوا من الأُمم المُتَّحدة اعتبار أنَّ الانتداب البريطاني في فلسطين قد شارف على نهايته، وإعلان فلسطين دولة مُستقلَّة. وفي النّقاشات اللاَّحقة لشهادة اللّجنة الخاصَّة التّابعة للأُمم المُتَّحدة التي كُلِّفت بعرض قضيَّة فلسطين كانت هُنالك إشارات إلى إقرار أوَّلي، كان مُتَّفقاً عليه بين الأمريكان والمجموعات المُؤثِّرة الأُخرى بأحقيَّة اليهود في فلسطين قبل عرض القضيَّة أمام الأُمم المُتَّحدة. وحاول الأعضاء العَرَب الخمسة في الأُمم المُتَّحدة[2]، القيام بمُناورات لتغيير النّتائج، وذلك باتِّخاذ إجراءات تفضي إلى تهديد مصالح أمريكا النّفطيَّة، وإشعار الأمانة العامَّة بأنَّ الانتداب ورثته ـ أساساً ـ من مجلس عُصبة الأُمم، وأنَّ الموضوع يجب أنْ يُعرَض أمام محكمة دُوليَّة. ومع فشل كُلِّ هذه المُناورات؛ أعلنوا بأنَّهم لا يشعرون بالاستفزاز تجاه أيِّ قرار لا يضمن الاستقلال لفلسطين، وقد أُصيب نُوري السّعيد من جرَّاء هذا الموقف بخيبة أمل؛ لأنَّه كان يأمل بموقف بريطاني قوي مُساند للعَرَب في هذا المحفل الدُّوَليّ، في حين حذَّر الجمالي من حُدُوث ما لا تُحمد عُقباه في فلسطين.[3]

---

(1) Fo to Stonehewer-bird , 2.5.1947, Fo 371/61589.

(2) الأعضاء الخمسة في الأُمم المتَّحدة هُم : العراق، ومصر، واليمن، ولُبنان، والعَربيَّة السُّعُوديَّة. (الباحث).

(3) Bevin to Cambell, 13.6.1947, Fo 371 / 61591.

وفي ظلِّ الانتداب البريطاني لفلسطين، وبحماية الجيش البريطاني، توسَّع الوُجُود اليهودي في الأراضي الفلسطينيَّة، نتيجة للتَّدرُّب العسكري البريطاني، فازدادت قُدرتهم، وأصبحوا قُوَّة عسكريَّة مُنظَّمة وقويَّة، إلى حدٍّ كافٍ لمُقاتلة الجُيُوش العَرَبيَّة في مايس من عام 1948.[1] إنَّ القرار البريطاني القاضي بالتَّمسُّك بموقف مُحايد في الأُمم المُتَّحدة كان عاملاً مُهمّاً، قاد الأُمم المُتَّحدة إلى اتِّخاذ قرار تقسيم فلسطين عام 1947، ثُمَّ جاءت الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة بموقف مُساند للصّهاينة، بينما لم تفعل بريطانيا أيَّ شيء لحُلفائها العَرَب في الأُمم المُتَّحدة، علاوةً على ذلك؛ وجدت بريطانيا - حتَّى قبل قرار الأُمم المُتَّحدة - أنَّ إقامة دولة عَرَبيَّة في الأجزاء العَرَبيَّة من فلسطين لم يكن أمراً في صالحها، وتأكَّدت بريطانيا - أيضاً - أنَّ دولة عَرَبيَّة تظهر في فلسطين يُمكن أنْ تُسيطر على دولة يهوديَّة، والتي يعتقد بيفن أنَّها ستقع تحت سيطرة عناصر مُناصرة للرُّوس، ولهذا السَّبب كانت بريطانيا ترغب بإلحاق الجُزء العَرَبي من فلسطين بشرق الأُردن. وإنَّ استراتيجيَّتها بهذا الخُصُوص تتركَّز حول تشجيع الملك عبد الله ملك شرق الأُردن لإلحاق الجُزء العَرَبي من فلسطين بمملكته، وحثُّوا العراق على دَعْم الملك عبد الله بهذا الاتِّجاه، كما قاموا بمُحاولات للحُصُول على دعم الدُّوَل العَرَبيَّة لهذا المُخطَّط.[2]

أمَّا الدُّوَل العَرَبيَّة؛ فقد أجبرتها الأحداث على الإعلان بإرسال جُيُوشها إلى فلسطين، وكانت حُكُوماتها غير مُنسجمة، وعاجزة، ومُنقسمة على نفسها، ولا تستطيع إعاقة أيَّ تحرُّك لتقسيم فلسطين، فقد كانت لُبنان صغيرة وضعيفة،

---

(1) See for instance Luies, the British Empire, part IV.

(2) Avi Shlaim " Britain and The Arab-Isreali War of 1948" Pepar prepared for the Conference on 'British Security Policy 1945-1956 'at King's College, London, 25-26 March 1987.

وجيشها يُعاني من الضّعف مُنذُ رحيل الفرنسيِّيْن عنها، الذين كانوا يُقدِّمون المعونات لها. وكانت مصر مُتورِّطة ـ تماماً ـ بقضيَّة مُعاهدتها مع بريطانيا لعام 1936، وكذلك قضيَّة إقليم السُّودان، الذي كان يُشكِّل جُزءاً منها. ثُمَّ إنَّ العراق كان بعيداً عن الميدان، وكذلك اليمن. واستطاعت المملكة العَرَبيَّة السُّعُوديَّة أنْ تأخذ مكانها في المُواجهة، بعد أنْ أصبح القتال أمراً لا مفرَّ منه، فكان على قُوَّاتها العسكريَّة إنْ شاءت القتال مع الصّهاينة العُبُور من خلال الأُردن، لكنْ؛ بسبب القطيعة العميقة بين العائلتَيْن الحاكمتَيْن السُّعُوديَّة والهاشميَّة كان من المُؤكَّد أنْ يقف الملك عبد الله ضدَّ تلك الفكرة، وأنَّ تبعيَّة السُّعُوديَّة للأمريكان قد قيَّد من دَعْمها العسكري للفلسطينيِّيْن، واقتصرت مُساعداتها لهُم بالمال والدَّعْم المعنوي فقط. وكان نُوري السّعيد يُدرك هذا الوَضْع مُسبقاً، لكنَّ الضّغط الشّعبي كان قويّاً ومُتواصلاً، ولأجل أنْ يكسب المزيد من الصّوت الشّعبي له قرَّر التَّحرُّك لكسب الفُرصة، أمّا في بغداد؛ فقد أقنعت السِّفارةُ الوصيَّ بأنَّ أمر إرسال قطعات عراقيَّة إلى فلسطين لا يخدم مصالح العراق المُشتركة، طالما أنَّ بريطانيا مُستمرَّة بحماية فلسطين حتَّى عام 1948، وأخبروه ـ كذلك ـ أنَّ الشُّعُور السّائد في أوساط الجيش العراقي لا يُفضِّل إرسال قطعات إلى فلسطين. ولذلك وافق الوصي على إرسال نُوري السّعيد إلى القاهرة، وكان آنذاك في لندن[1]. وكان نُوري السّعيد ـ آنذاك ـ فاقداً الشُّعُور، لكنْ؛ بنحو أقلّ من صالح جبر، بعد قرار التّقسيم الذي أصدرته الأُمم المُتَّحدة في نيُو يُورك، وللمرَّة الأُولى؛ يتأكَّد نُوري السّعيد أنَّ الأخطار تُحدق به وبأصدقائه البريطانيِّيْن في العراق، وفي الوطن العَرَبي. وفي طريق عودته من نيُو يُورك توقَّف في لندن؛ حيثُ التقى (د. بيفن، والسّير

---

(1) BMEO in Cairo to Fo , 10.12.1947, Fo 371/61580, and Busk to Bevin, 11.12. 1944 and 12.12.1947, Fo 371/ 61580.

اورم سارجنت (Orme Sargent)، وخلال النّقاش؛ أعَرَب نُوري السّعيد لبيفن عن شُعُوره بخيبة الأمل ببريطانيا على صمتها، الذي مكّن أمريكا ـ بوُضُوح ـ من التّأثير على كثير من أعضاء الأُمم المُتّحدة للتّصويت إلى جانب اليهود، وكان يرغب أنْ تتدخّل بريطانيا لإيجاد حلٍّ مُرْضٍ لمُشكلة فلسطين، في هذا اللّقاء طلب منه بيفن التّأكيد على الحُكّام العَرَب للحَدّ من نشاطات مُفتي القُدس مُحَمَّد أمين الحسيني في فلسطين؛ إذْ كان بيفن يعتقد أنَّ وُقُوع عُنف يقوده الحسيني في فلسطين لا ضرورة له، ممّا يُخاطر بإمكانيّة حلٍّ سلميٍّ. وافق نُوري على التّخلُّص من المُفتي، غير أنّه طالب من بيفن انسحاباً سريعاً للقطعات البريطانيّة من فلسطين؛ لغرض تجنُّب تورُّطها بأيِّ مُواجهة بين العَرَب واليهود[1]، ومن لندن؛ ذهب نُوري إلى القاهرة، وهُو يبحث عن دَعْم شعبي في بلاده، ووجّه لوماً للدُّول العَرَبيّة لعدم اتّخاذها خُطوات أكثر جدِّيّة لحماية فلسطين. وخلال اجتماع الجامعة العَرَبيّة، وتأسيساً على اتّفاقه مع بيفن؛ أعلن نُوري تأييده لرغبة الشّعب الفلسطيني بأنْ لا يكون المُفتي هُو الرّئيس القادم لفلسطين، وبُغية إحراج الملك سُعُود طَلَبَ إليه استخدام تأثيره لدى الأمريكان لتغيير موقفهم من مُشكلة فلسطين.[2]، وإثر مُحادثاته في لندن، وكذلك في اجتماعه بالقاهرة، توصّل نُوري إلى استنتاج هُو أنَّ بريطانيا لا ترغب بمُساعدة العَرَب للوُصُول إلى حلٍّ مُناسب لَهُم بخُصُوص قضيّة فلسطين، وأنّها لم تكن قادرة على التّدخُّل لدى الأمريكان، علاوة على ذلك لم تكن بريطانيا تُعارض مُحاولات الملك عبد الله في إلحاق الجزء العَرَبي من فلسطين إلى مملكته، وأنَّ الدُّوَل العَرَبيّة التي كانت مُستعدّة للدُّخول بأيِّ حرب مُمكنة في فلسطين هي العراق والأُردن فقط، في حين كانت الدُّوَل العَرَبيّة

Conversation with Nuri Pasha, 11.12. 1947, Fo 371/61600 . (1)

Report by Saleh Jabr in Palisten . (2)

الأُخرى ـ ولأسباب محلّيّة ـ ولغرض إعاقة الملك عبد الله من تنفيذ خُطّته، ترغب بإرسال جُيُوشها إلى فلسطين إِنْ لم يتمّ التّوصُّل إلى حلٍّ سلميٍّ. ومُنذُ هذه اللّحظة؛ قرّر نُوري التّركيز على أربع قضايا؛ هي:

أوّلاً: يجب عليه تشجيع البريطانيّين على سحب القطعات العسكريّة البريطانيّة من فلسطين حالما يُمكن ذلك، لأنّه كان مُتأكّداً أنّ اليهود سيستفيدون مُباشرة من وُجُودها.

ثانياً: ينبغي عليه إقناع الحُكُومة البريطانيّة بأهمّيّة إيقاف ضَخّ النّفط العراقي إلى البحر المُتوسّط عبر حيفا الميناء الفلسطيني، الذي أصبح تحت السّيطرة اليهوديّة، إنّ هذا الأمر يُساعد على شَلّ وتحديد حركة القُوّات اليهوديّة وآلتهم الاقتصاديّة.

ثالثاً: ينبغي عليه تنفيذ وتوقيع المُعاهدة الإنكلو ـ عراقيّة الجديدة، قبل أنْ تنفلت الأُمُور من يده، وهذا الأمر له علاقة بالأحداث في فلسطين.

رابعاً: سيُحاول إقناع الحُكُومة البريطانيّة بأنّه يجب عليها تزويد الجيش العراقي بمعدّات مُهمّة في التّسليح العسكري، لكنّ نُوري سُرعان ما فشل في تحويل تلك النّقاط الأربعة إلى واقع عملي، ومن القاهرة؛ غادر كُلٌّ من نُوري وصالح جبر مُتوجّهَيْن إلى عمّان، وأفشى نُوري للملك عبد الله ما جرى بينه وبين بيفن في اجتماع لندن، وقد اقترح الملك عبد الله الذي كان يبحث عن الدّعْم العراقي لنفسه، ولكي ينجح بإلحاق الجُزء العَرَبي من فلسطين إلى مملكته، اقترح على ضُيُوفه أنْ يقبلوا فكرة الاتّحاد الفيدرالي بين كُلٍّ من العراق والأُردن لغرض تأمين التّعاون التّام بينهما، إِنْ وقعت الحرب في فلسطين، ومن خلال هذا الاتّحاد

سيكون عبد الله جداراً آمناً بوجه التَّحدِّي المصري والسُّعُودي، وقد رفض كُلٌّ من صالح ونُوري اقتراح الملك عبد الله لثلاثة أسباب؛ هي:

_أَوَّلاً_ : لأنَّ العراق لم يكن في موقف يُمكنه من إعطاء الأُردن مبالغ ماليَّة كبيرة ودَعْم عسكري.

ثانياً : كان الرَّأي العامُّ في العراق مُعارضاً ـ تماماً ـ لأيِّ نوع من الاتِّحاد مع الأُردن، وإنَّ الأحزاب العراقيَّة المُعارضة ليس لها أيّ ثقة بالملك عبد الله؛ لأنَّهم مازالوا يتذكَّرون أنَّ جيشه قاتل إلى جانب البريطانيِّيْن أثناء الحرب العراقيَّة ـ البريطانيَّة عام 1941، وإنَّ الملك عبد الله يُساند خُطَّة التّقسيم.

أمّا السّبب الثّالث، الذي كان وراء رفض اقتراحات عبد الله؛ فيكمن في المُعارضة العراقيَّة القويَّة التي ستأتي من الدُّوَل العَرَبيَّة، إذا ما حدث أيُّ نوع من الاتِّحاد بين العراق والأُردن في ذلك الوقت الحرج [1]، وبذلك بَذَلَ نُوري السّعيد آخر الجُهُود لحَمْل الحُكُومة البريطانيَّة على مُساعدته في اتِّخاذ موقف مُساند وحازم للقضيَّة الفلسطينيَّة، ولكنَّ البريطانيِّيْن رفضوا هذا الطّلب العراقي.[2] ومن جانب اليهود؛ فقد أقاموا سُلطتهم في مناطق من فلسطين، طبقاً لقرار التّقسيم وحصلوا على سلاح وتجربة قتاليَّة عالية ، بينما بقي العَرَب في فلسطين غير مُتأهِّبين للقتال، ممَّا أجبر القادة العَرَب على القيام بتحرُّك سريع لمُعالجة هذا الوَضْع السَّيِّء، وإرسال جُيُوشهم إلى فلسطين ، وحينما بدأ القتال في فلسطين وجد الجيش العراقي الذي كان يُقاتل ـ لأوَّل مرَّة ـ خارج حُدُوده أنَّ عدده قليل جدّاً، وأنَّ

(1) Kirkbride to Bevin, 20.12.1947, Fo 371/61583.

(2) R.D.C.McALpine to N.D Watson, 22.1.1948, Fo 371/ 68365.

إداراتهم ومعدّاتهم غير كافية. ومع تطوُّرات الحرب؛ بدأ الـوصي يُـشاطره نُـوري السّعيد قلقهما من سير العمليّات العسكريّة السّيئة[1]. وفي بغـداد؛ بـدأ المُوظّفـون البريطانيُّون العاملون في العراق يُظهرون علائم الخوف من النّتائج التي آلت اليها الأحداث في فلسطين، وبالذّات نتائج الحرب التي جاءت مُخيِّبـة للآمـال العَرَبيَّـة، وأوضح ذلك نائب القُنصُل البريطاني في السّفارة البريطانيَّة ببغداد في تقريره الذي رفعه إلى الخارجيَّة البريطانيَّة، وبيَّن فيـه أنَّ الجـيش العراقـي أمـسى سـاخطاً عـلى حُكُومته، وحذَّر من استرعاء الانتباه قبل وُقُوع الخطـر.[2]' أمّـا الجـيش العراقـي - الذي عاد إلى وطنه، وهُو يحمـل مـرارة الهزيمـة -؛ فقـد ألقـى تبعيَّـة ذلـك عـلى بريطانيا؛ لأنَّها تواطأت مع اليهود، وقدَّمت لهُم دَعْماً كبيراً، وبالمُقابل؛ امتنعت عن دَعْم حُلفائها العَرَب، وبالـذّات؛ العـراقيِّين، ورفـضت تزويـد الجـيش العراقـي بالسّلاح والذّخيرة.[3]

على أيّة حال؛ شكَّلت تلك النّتـائج خيبـة أمـل لنُـوري الـسّعيد ومُـستقبله السّياسي في العراق؛ لأنَّ بريطانيا خذلته، ولم تُقدِّم له المعونـة والمُـساعدة في قـضيَّة فلسطين بجانبيّها السّياسي والعسكري، ووجد نفسه في وَضْع لا يُحسَد عليـه أمـام شعبه والمسؤولين في الحُكُومة العراقيَّة. وبعـد انتهـاء الحـرب في فلـسطين؛ شـعر نُوري بكثرة المتاعب والمسؤوليّات التي نالت منـه الكثـير، وخاصَّـة التـي يُثيرهـا الوصي عبـد الإلـه بوجهـه، فـاقترح إجبـار الأخـير عـلى التّنـازل عـن العـرش، واستبداله بالأمير زيد؛ إذْ ألقى نُوري السّعيد مسؤوليَّة أحداث كانون الثّاني (وثبة

---

(1) Mack to Bevin, 22,5,1948. Fo 371/68373.

(2) G.C.Little to Charge d'Affaries'in British Embassy in Baghdad, 26.8.1948. Fo 371/. 75127.

(3) Mack to Bevin, 13.7.1948, Fo. 371/ 68450.

كانون الثّاني عام 1948) التي وقعت في بغداد على الوصي شخصيّاً ، وصارح البريطانيّيْن بأنّه سوف يستقيل، ويترك المسؤوليّة، بسبب المتاعب التي يُثيرها الوصي.[1] وخلصت الحُكُومة البريطانيّة لإقناعه، وبعد أحداث عامَيْ 1948 و 1952 ، إلى قناعة بأنّها تُريد حُكُومة عراقيّة تُؤمن بأهمّيّة التّحالف والتّعاون البريطاني العراقي، وأفصحت عن ذلك في أكثر من مُناسبة. وأخيراً؛ استقرّت على أنَّ الشّخص الذي يُمكنه القيام بمسؤوليّة الحُكُومة الجديدة، وقيادة الأوضاع في العراق بحزم وبقُوّة هُو نُوري السّعيد.[2]

Busk to Wright , 30.1.1948, Fo 371/68446. (1)

(2) عبد الرّزّاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقيّة، ج5 ، مصدر سابق.

الفصل الثّاني :

نُوري السّعيد والمهمَّة الإقليميَّة في الخمسينيَّات

مُنذُ أنْ دخل نُوري السّعيد إلى العراق، وارتبط بالمصالح البريطانيَّة، رُسم له دور واضح ومُهمٌّ، ونجح في مهمَّة حماية تلك المصالح، وساهم بتنفيذها شخصيّاً، وكانت أوّل مهمَّة قام بها نُوري السّعيد ـ عندما أصبح ـ لأوّل مرَّة ـ مُديراً للشّرطة العامّ في العراق عام 1921، ومن ثمَّ؛ رئيساً للأركان، ومن ثمَّ؛ وزيراً للدّفاع لأوّل مرَّة في وزارة السّعدون ـ هُو تهيئة الجوِّ المُناسب لأداء أجهزة الدَّولة، التي شكَّلتها بريطانيا في العراق، وتصفية العناصر التي كانت تُعرقل أداءها، وتقف حَجَرَ عَثرة أمام مسيرة الحُكُومة العراقيَّة النّاشئة الجديدة، فمازالت أصابع الاتِّهام تقع على نُوري في مسألة إبعاد طالب النّقيب السّياسي العراقي الوطني الفَذِّ، ومقتل توفيق الخالدي الوزير العراقي الوطني، وغيرها من الشَّخصيَّات الوطنيَّة الكثيرة أمثال رُستُم حيدر وزير الماليَّة، وغيرهم، وليس أدلّ على ذلك من تجسيد واقعيٍّ لخدمة المصالح البريطانيَّة عندما شكَّل الحُكُومة في آذار لأوّل مرَّة عام 1930، وقادها إلى المُفاوضات المُباشرة مع الحُكُومة البريطانيَّة، التي أدَّت إلى إبرام مُعاهدة عام 1930، الشّهيرة سيِّئة الصّيت، التي قُوبلت برَفْض عراقيٍّ شعبيٍّ ورَسْميٍّ، وحقَّق للمصالح البريطانيَّة كافَّة أحلامها وأمانيِّها في العراق. وظلَّت هذه المُعاهدة هي السّبب الرّئيسي لكافَّة المُواجهات العنيفة التي وقعت بعدها بين الشّعب العراقي والنُّخبة الحاكمة، التي تدعمها السّفارة البريطانيَّة في بغداد، حتَّى قيام يوم 14 تمُّوز عام 1958.

1 - مشاريع الدّفاع عن الشّرق الأوسط:

في عـام 1950، عـاش العـراق مخـاوف انـتـشار الحـرب الكَونيَّـة مـن جديـد، خُصُوصاً بعد الانتصارات التي حقَّقتها الشُّيُوعيَّة في كُوريا. ولم يكن أمام الأمـير عبـد الإله ونُوري السّعيد سوى الـضّغط عـلى بريطانيـا لغـرض تـأمين الأسـلحة الكافيـة للعراق، وهُو موضوع أَقْلَقَ الجـانبيْن، ومـن جـانبهم؛ كـان البريطـانيُّون مُقتنعـين أنَّ السّلاح الذي يحصل عليه الجيش العراقي سيُـستخدم ضـدَّهم حـتماً، أو في فلـسطين، ولهذا؛ لم يُزوِّدوا الجيش العراقي بالسّلاح، ولم يجـد الجـيش العراقـي سـوى مـا يكفـي لقتال بضعة أيّام في حرب فلسطين. وأمّا الأمير عبد الإله؛ فقد كان يرى نفـسه مُحرجـاً أمام ضُبَّاط الجيش العراقي وهُم يتذمَّرون لعـدم إمكانيَّـة تـوفير الـسّلاح لهُـم، وكـان يُطالب أصدقاءه البريطانيّيْن دوماً بضرورة توفيره لغرض إلهاء وإقناع الضُّبَّاط به. أمّـا نُوري السّعيد؛ فقد كان يُدرك الخطر السُّوفيتي القادم من الشّرق، لذلك عقـد سلـسلة من الاجتماعات مع قائد القُوّات البريطانيّة العاملة في الشّرق الأوسط الجنـرال بـريمان رُوبرتون Sir Briman Robetson ، بعضها في بغداد، والأُخـرى في مـصر؛ حيـثُ مقـرُّ هذه القُوَّات في (فايد). من جانب آخر؛ كان الجنرال رُوبرتسون قائد هذه القُـوّات قـد طمأن نُوري السّعيد من أنَّ بريطانيـا سـتهُبُّ لنجـدة العـراق في حالـة وُقُـوع هُجُـوم سُوفيتي ضدَّ العراق، ولكنَّ تعليمات حُكُومته السِّرِّيَّة قد أبلغته بأنَّ قرار هيئة الأركـان العامّة للجُيُوش البريطانيَّة هُو أنّه في حالة وُقُـوع الهُجُـوم سـيتُرَك العـراق للـسُّوفيت مُؤقّتاً، ريثما يتمُّ تحشيد القُوّات اللاّزمة للقيام بهُجُوم مُعاكس. ومن جانب آخـر؛ فـإنَّ بريطانيا ـ ولكي لا تتكرَّر تجربة مايس 1941 في العراق ـ فإنَّه يتوجَّب عليها استمرار شَدِّ العراقيّيْن إليها. وقد وعد الجنرال رُوبرتسون الزّعيم العراقي نُوري السّعيد بوُصُـول السّلاح، وبوعده هذا قد دقَّ ناقوس الخطر القادم مـن الـشّرق، فتلقَّفهـا نُـوري بـذكاء،

فأخذ يُجري تحضيراته لنقْل مقرّ الحُكُومة في حالة اندلاع حرب واسعة مع السُّوفيت إلى مدينة الرّمادي؛ مركز مُحافظة الأنبار حاليّاً. غير أنَّ انتهاء الأزمة الكُوريّة لم تُنهِ حاجة البريطانيّين للعراق من جهة، ومن غير المُمكن استبعاد الحركة الوطنيَّة العراقيّة مُتمثِّلة بأحزابها العَلَنيّة والسّرِّيّة، وبالذّات؛ الأحزاب السّرِّيّة الأُخرى، مثل حزب البعث العَرَبي الاشتراكي، والحزب الشُّيُوعي من جهة أُخرى؛ حيثُ إنَّ أكثريّة الأحزاب تدعو للحياد الإيجابي، وعدم الانحياز، وتدعو - أيضاً - إلى تحجيم النُّفُوذ البريطاني في العراق، وإلغاء مُعاهدة 1930، وإجراء إصلاحات اقتصاديّة وسياسيّة واسعة في الدّاخل، واتِّباع نهج قومي في السّياسة الخارجيّة، بعيداً عن تأثير بريطانيا.[1]

ومن جانب آخر؛ واصلت بريطانيا حَثَّ السّياسيّين العراقيّين للاستفادة من الموارد المُتوقَّعة النّاتجة عن بيع النّفط العراقي بكمِّيّات أكبر، بمُوجب التّفاهم الذي تَمَّ مع شركات النّفط العاملة في العراق، وتدخُّل هذه الرّغبة البريطانيّة؛ لكي يُعزِّز السّياسيُّون العراقيُّون وَضْعهم ومكانتهم أمام شعبهم، وعدم فسح المجال للحركة الوطنيّة لإضعاف النّظام. مع العلم أنَّ الموارد الماليّة تقلُّ كثيراً عن حاجة البلاد؛ إذْ إنَّ شركات النّفط البريطانيّة تعمَّدت الإضرار بالعراق من خلال عدم التّوسُّع في إنتاج النّفط العراقي؛ مُقارنة بسياسة التّوسُّع بإنتاج النّفط في حُقُول منطقة الكُويت[2].

لقد نجح السّفير البريطاني في بغداد بإقناع رئيس الحُكُومة العراقيّة نُوري السّعيد لتأسيس مجلس للإعمار؛ لغرض التّخطيط في كيفيّة تنفيذ البرامج الإنمائيّة العراقيّة، التي سيتُمُّ تنفيذها بالاعتماد على الموارد النّفطيّة من قبَل الشّركات البريطانيّة، التي تقرَّر أنْ تحصل على حصَّة الأسد فيها، في حين لم يضغط مكتب

---

(1) Ropert by Robertson to war office , 7.1.1951, Fo 371/91659.

(2) د. مُؤيَّد الونداوي : العلاقات العراقيّة - البريطانيّة ، مصدر سابق.

السّفير البريطاني ببغداد السِّير جُون تروتبيك أو رُؤساؤه في لندن على البلاط الملكي أو نُوري السّعيد لتحسين الوَضْع السّياسي في العراق، وتشجيع الحُرِّيّات العامّة والحزبيّة، بل على العكس؛ استمرَّ الوَضْع على حاله، وبقي السّفير والمسؤولون البريطانيُّون يُقنعون البلاط الملكي ونُوري السّعيد بأنَّ الأحزاب إنَّما هي مجموعة من الأشخاص يُمكن السّيطرة عليهم بصيغ مُختلفة، بما فيها إشباع بعض طُمُوحاتهم الشّخصيَّة حصراً. وانصبَّ اهتمام السُّفراء البريطانيِّيْن تماماً باتِّجاه أنْ يُوحِّد أصدقاؤهم المُخلصون مثل نُوري السّعيد وحزبه الاتِّحاد الدُّستُوري، وصالح جبر، وحزبه الأُمّة الاشتراكي جُهُودهم تحت رعاية الوصي عبد الإله في إدارة شُؤُون البلاد، التي بدأت تشهد توسُّعاً في حجم قواها الوطنيَّة وخُطُورة طُرُوحاتهم السّياسيَّة. ولم يُعط السّفير البريطاني اهتمامه لحالات التّزوير التي كانت تُصاحب الانتخابات العامّة. وأصبحت ظاهرة مُرافقة لها باستمرار، ولم يُعارضها مثلما كان يُعارض ويطلب نَفْي بعض العُمّال (المُشاغبين) على حدِّ تعبيره إلى مناطق نائية. وهُم كانوا يُطالبون بحُقُوقهم المشروعة من شركة نفط (I.P.C)، على العكس من ذلك؛ نجد السّفير البريطاني يحثُّ ويُشجِّع الحُكُومة على اتِّخاذ الإجراءات الحازمة ضدَّ الوطنيِّيْن، الذين كانوا يُطالبون بإجراء إصلاحات عامّة اقتصاديَّة وسياسيَّة واجتماعيَّة من البلاد، كما حدث في صيف عام 1952.[1] بينما أظهرت السُّلطات البريطانيَّة مُعارضتها لقرار المحاكم العراقيَّة بإعدام شفيق عدس، وهُو عراقيٌّ قدَّم العون للدّولة الصّهيونيَّة (إسرائيل) عدوَّة العَرَب، بل وجدنا السّفير البريطاني يقف أمام الأمير عبد الإله، ويطرح أمامه وُجهة نَظَر حُكُومته في كيفيَّة إدارة شُؤُون الدَّولة العراقيَّة، ولعلَّ أغرب ما فيه أنّه جاء طَرْحاً

(1) مُحَمّد حمدي الجعفري، انقلاب الوصي، مصدر سابق، ص 133.

يحمل في ثناياه أُسُس التّقسيم الطّائفي والعِرْقي في العراق، الأمر الذي أثار استغراب الأمير عبد الإله نفسه، فطلب منه إعادة قراءة مُذكَّرة الحُكُومة البريطانيَّة لمرَّتَيْن مُتتاليتَيْن، وهي مُذكَّرة لم يُنصَح تقديمها رَسْمياً، بل تقرَّر قراءتها شَفَويّاً تجنُّباً من سُقُوطها بأيدي الوطنيِّيْن العراقيِّيْن. وأصبح هَمُّ بريطانيا في النّصف الأوَّل من عقد الخمسينيَّات ـ وهي تُواجه تنامي التَّيَّار القومي الذي يُنادي باستقلال العَرَب ووحدتهم ـ هُو كيفيَّة الحفاظ على وُجُودها العسكري في مصر والعراق والمناطق العَرَبيَّة الأُخرى، بما في ذلك منطقة الخليج العَرَبي، لذلك؛ راحت تُروِّج لمشاريع الأمن الجماعي الإقليمي، واعتبرته المظلَّة التي يجمعها مع العَرَب، وهكذا بدأت المنطقة تشهد أصواتاً وأفكاراً ومشاريع تظهر للعيان، تدعو للدّفاع المُشترك تحت اسم (مُنظَّمة الدّفاع عن الشّرق الأوسط). وممَّا زاد المُشكلة البريطانيَّة تعقيداً أنَّ الجيل القديم من السّاسة العراقيِّيْن بات مُجبراً على الاعتراف بعدم إمكانيَّة السّير بذات الأساليب القديمة المُعتمدة في اتِّفاقيَّات عام 1930، مع العراق، وعام 1936 مع مصر، خُصُوصاً؛ وأنَّ مصر استفادت من تجربة العراقيِّيْن في إسقاط مُعاهدة بُور تسموت 1948، وحفَّزت هذه التّجربة المصريِّيْن أكثر نحو التَّشدُّد في مطالبهم بضرورة الجلاء العسكري البريطاني عن التُّراب المصري، ولم تنفع الإغراءات البريطانيَّة والأمريكيَّة والفرنسيَّة التي قُدِّمت للحُكُومة المصريَّة لكي تُشارك مصر في تأسيس مثل هذه المُنظَّمة. وقد ذهب رئيس حزب الوفد المصري النَّحَّاس باشا إلى أبعد ممَّا يعتقده؛ حيثُ ألغى ـ من جانب واحد ـ اتِّفاقيَّة عام 1936، المعقودة مع بريطانيا، وذهبت مصر إلى الأُمم المُتَّحدة لأجل ذلك، ورافقت هذه التَّحرُّكات قيام الفدائيِّيْن المصريِّيْن بعمليَّات ضدَّ الوُجُود العسكري البريطاني في مصر، كانت الحُكُومة المصريَّة تغضُّ النَّظَر

عنها.[1] أمّا في العراق؛ فلم يكن أمام نُوري السّعيد سوى أنْ يُقدِّم الوُعُود للشّعب العراقيّ من خلال وسائل الإعلام بأنّه سوف يتصرَّف باتّجاه إلغاء مُعاهدة 1930، قبل موعد انتهائها عام 1955، لكنّه ـ في الوقت ذاته ـ قطع وعداً على نفسه ـ سرّاً ـ بضرورة البحث عن بدائل، ذلك لأنَّ عقدة نُوري المُلازمة له هي عداؤه للاتّحاد السُّوفيتي، وخوفه الشّديد منه، وفشلت بريطانيا في إقناع العَرَب للدُّخُول في حلف معها، وأقنعت الولايات المُتّحدة الأمريكيّة بأنَّ المنطقة بحاجة لحلف ينبع من داخلها، لا أنْ يُفرَض عليها من الخارج حسبما ذكر وزير خارجيّة الولايات المُتّحدة المستر جُون فُوستر دالاس، بعد انتهاء زيارته للمنطقة عام 1953، التي كانت حُكُومته مُهتمَّة ـ أوّلاً ـ بضرورة إحاطة الاتّحاد السُّوفيتي من بطنه عبر حلف جديد أُطلق عليه (الجدار الشّمالي، أو الحزام الشّمالي) طرفه الغربي تُركيا البلد العُضو في حلف النّاتو (NATO)، وطرفه الشّرقي يمتدُّ إلى الباكستان، ويُمكن أنْ يضمَّ العراق وإيران. لقد شجّعت بريطانيا ـ وبحذر شديد ـ الحُكُومة العراقيّة لقُبُول المُساعدات الماليّة والعسكريّة الأمريكيّة، وكذلك إمكانيّة انضمامها للحلف التُّركي ـ الباكستاني في عام 1954، على أساس أنَّ دُخُول العراق في مثل هذا النّوع من التّجمُّع يُتيح الفُرصة لها للاستفادة من إطالة وُجُودها العسكري في العراق، ولكنْ؛ بأساليب وصيغ جديدة.[2] ولتحقيق هذه الأهداف؛ تَمَّ تشجيع نُوري السّعيد لتنفيذ أفكاره، وقد استخدمت لندنُ السّاسةَ الأتراكَ ـ ومُنذُ عام 1945 ـ لتشجيع إبقاء بغداد قريبة وحليفة للغرب، وفي هذه المرّة؛ أيّدت بريطانيا قرار نُوري في صيف عام 1954، بأنْ يستلم السُّلطة، ويُدير

---

(1) د. مُؤيّد الونداوي : العلاقات العراقيّة ـ البريطانيّة ، مصدر سابق.

(2) مُحَمَّد حمدي الجعفري : انقلاب الوصي ، مصدر سابق ، ص 187.

الأُمور بحزم وقسوة، لم يعرفها العراقيُّون من قبلُ، من أجل تحقيق أهدافه. وقد مهَّدت له بريطانيا الطَّريق، بعد أنْ لطَّفت علاقته بالأمير عبد الإله، الذي تركه يتصرَّف وُفق ما يراه مُفيداً، وهكذا لم تعترض بريطانيا على إجراءات حُكُومة نُوري السّعيد طوال الرُّبع الأخير من عام 1954.[1]

2 - نُوري السّعيد والإصلاح:

عندما شكَّل نُوري السّعيد في 15 أيلول من عام 1950، حُكُومته الحادية عشرة، وضمَّت خمسة أعضاء من حزب الاتِّحاد الدُّستُوري، الذي يتزعَّمه شخصيّاً، لم ينضمّ إليها مُمثِّلون عن الأحزاب الأُخرى؛ حيثُ كان نُوري يأمل مُشاركة كُلٍّ من توفيق السّويدي وصالح جبر فيها، غير أنَّه لم يكن قادراً على التَّوصُّل إلى اتِّفاق معهما بخُصُوص اختيار الوُزراء، لذلك قرَّر ـ وحده ـ تشكيل هيكل الوزارة، ومُنذُ البداية؛ كان موقف نُوري السّياسي غير قويٍّ إلى حدٍّ كافٍ، وأنَّ الكثير من نشاطات حُكُومته محسوبة لتوسيع الثّغرة بينه وبين صالح جبر، وبسبب جُهُوده المُغرضة المُتواصلة فشل نُوري في إقناع أيٍّ من مُعارضيه السّياسيِّيْن التّقليديِّيْن للانضمام إلى الوزارة.[2]

عندما وصل نُوري إلى السُّلطة كان مُتفائلاً ومُفعماً بالحيويَّة والنّشاط، ومُتسلِّحاً بأفكار عَصْريَّة لتطوير البلاد، في مُقدِّمتها القضاء على البطالة، وتحسين الظُّرُوف الاجتماعيَّة، مُؤكِّداً أنَّ حُكُومته ستُركِّز على التّطوير الاقتصادي والإصلاح الإداري. وبعد مُرُور أسابيع قليلة على وُجُوده في السُّلطة؛ شكَّلت

---

(1) د. مُؤيَّد الونداوي : العلاقات العراقيَّة ـ البريطانيَّة ، مصدر سابق.

(2) Mack to Bevin, 6.11.1950, Fo 371/82408.

الحُكُومةُ لجنةَ التّنميّة للغرض ذاته، وعيَّنت السِّير ادرنغتون ميللر (Edrington Miller) بصفة سكرتيراً عامّاً للّجنة. وكان البريطانيُّون قد قضوا قرابة ثلاث سنوات في إقناع النُّخبة الحاكمة في العراق بالحاجة إلى هذه اللّجنة؛ لتحسين الأوضاع المعاشيَّة. إنَّ نجاح نُوري في دفع شركة النّفط العراقيَّة (I.P.C) لرفع ضريبة النّفط قد حصل عليه بمُساعدة المكتب الشّرقي في الخارجيَّة البريطانيَّة، فزدادت ـ بذلك ـ إيرادات النّفط العراقي إلى حوالي (51) مليون دُولار. ولذلك؛ بدأ نُوري يُقدِّم وُعُوداً للشّعب بأنّه يجب وَضع خُطّة لتطوير الأعمال العامَّة والطُّرُق والمدارس والمُستشفيات وغيرها، بمُوجب تلك العائدات الماليَّة. وقد رحَّب المسؤولون البريطانيُّون بخُطَّة نُوري، لكنَّهم كانوا يعتقدون أنّه لا يستطيع الاستمرار بقيادة الحُكُومة الكبيرة بنفسه لوقت طويل جدّاً، وأنَّ كُلّ مُخطَّطاته لن تُنفَّذ، دُون أنْ يتمكَّن من الحُصُول على التّعاون المُشترك مع الوُزراء الأقوياء.[1] وقد أولى المستر إرنست بيفن (Arnist Beiven) وزير الخارجيَّة البريطاني أهمِّيَّة كبيرة لسياسة نُوري؛ إذْ كانت حُكُومته تحرص على إرسال عدد كبير جدّاً من الخُبراء البريطانيِّيْن إلى العراق. وقد ناقش السِّير مايكل رايت (Makil Wright) رئيس قسم المشرق العَرَبي في الخارجيَّة البريطانيَّة نقاط ضعف حُكُومة نُوري مع الوصي عبد الإله، الذي كان ـ آنذاك ـ يقضي إجازة في لندن، ووعد الوصي رايت بمُساعدة نُوري على تقوية حُكُومته.[2]

إنَّ نقاط الضّعف في حُكُومة نُوري الأساسيَّة لم تكن ـ فقط ـ حاجتها لوزراء أقوياء في الدّاخليَّة والماليَّة والخارجيَّة، بل ـ أيضاً ـ كانت تتعرَّض لهُجُوم

Mack to Bevin, 6.10.1950, Fo 371/82408. (1)

Minute by Rhodes, 18.10.1950, Fo 371/82408 . (2)

قوي من جانب أحزاب المُعارضة؛ بسبب اصطفافها مع القوى الغربيَّة، وعدم اتِّخاذها الحياد العالمي، وهُنالك أسباب أُخرى لضعف حُكُومة نُوري؛ أهمُّها خلافاته التّاريخيَّة مع صالح جبر، وهُو أمر لم يكن ضمن القضايا الأساسيَّة في السّياسة، بل كانت ـ و إلى حَدٍّ كبير جدَّاً ـ قضايا شخصيَّة، إلى جانب أنَّها تُجسِّد التّنافس القائم بينهما.[1] إنَّ تأثير المملكة العراقيَّة ـ محلِّيَّاً وخارجيَّاً ـ قد انحدر تدريجيَّاً، وعلى الرّغم من أنَّ انحدارها كان يرجع ـ في جُزء منه ـ إلى تدنِّي مُستوى التّعليم، وتزايد تبعاته في أوساط الرَّأي العامِّ، فإنَّ سببه يرجع ـ أيضاً، بشكل رئيسي ـ إلى فشل الوصي في أنْ يعيش مع آمال ومخاوف الشّعب العراقي، فالوصي لم يكن له ـ أبداً ـ رصيد شعبيٌّ، وكذلك السّياسيُّون الذي كان يثق بهم، وعلي وجه الخُصُوص؛ نُوري السّعيد، الذي كان مُرتبطاً به بروابط الإخلاص للبيت الهاشمي الملكي أكثر من روابط الإخلاص للوصي نفسه، والأخير وجد أنَّ ذلك الأمر أصبح أكثر صُعُوبة عليه في عَزْل رئيس الوُزراء، الذي نجح في سياسته للتّقليل من حُدُوث مشاكل في الانتخابات العامَّة. علي أيّة حال؛ لم يكن الوصي قادراً على أنْ يحمل كُلَّ السّياسيِّيْن على تنفيذ أفكاره. فمثلاً كان غير قادر على إجبار صالح جبر على العمل سويَّة مع مُنافسه نُوري السّعيد، وفي نهاية تشرين الثّاني 1950، وبسبب الضّغط الذي مارسته السِّفارة البريطانيَّة، قام نُوري بإجراء تغييرات في وزارته، الأمر الذي جعلها تبدو ـ على الأقل ـ قويَّة في الورق. فقد عيَّن أربعة وُزراء؛ اثنَيْن منهم كانوا من مُسانديه. وفي الدّاخل؛ كان قادراً على تثبيت الأمن والاستقرار بسبب الأحداث التي وقعت في إيران ومصر، وبسبب ارتفاع أسعار الموادِّ الغذائيَّة. من جانب آخر؛ صعَّدت الأحزاب المُعارضة من

---

(1) Mack to Bevin, 28.11.1950, Fo 371/82408.

مع الحزب الوطني الدّيمقراطي في نشر فكرة الحياد. واتّسعت الـ الجبهـة الـشّعبيّة (U.P.F) بصفتها جمعيّة (للحَرَس القديم) وغالبيّتهم من السّياسيّيْن الحانقين عـلى نجاح نُوري السّعيد في سياسته، الذي يعني لها إقصاءهم من الـوزارة، والمناصـب المُهمّة.

واستمرّت حُكُومة نُوري في مُواجهة الاضطرابات الدّاخليّة المُتزايـدة التـي تُثيرها المُعارضة العراقيّـة، سـاعدت في ذلـك الأحـداث التـي وقعـت في إيـران، وبالذّات مقتل الجنرال رضـا أمـيري (Razmara) في آذار مـن عـام 1951، التـي سبَّبت قلقاً في العراق. وقد قدَّمت مُفاوضات الحُكُومة العراقيَّـة مـع شركـة نفـط العراق حول مُستقبل الصّناعة النّفطيّة العراقيّة فُرصة مُناسـبة لحـزب الاسـتقلال والحزب الوطني الدّيمقراطي ليُطالبوا الحُكُومة بتأميم النّفط العراقـي، ورغـم أنّ نُوري كان شخصيَّة غير شـعبيّة في الـبلاد، لكنّـه كـان قـادراً عـلى الـسّيطرة عـلى الأوضاع في العراق، بالرّغم من النّقد الشّديد، الذي تُقابَل به سياسته.[1]

لذلك؛ نجح في جعل مجلس النُّوّاب العراقي لا يتَّخـذ أيَّ قـرار بخُـصُوص المُقترحات الرّامية لتأميم الصّناعة النّفطيّة، أو قُبُول النّظام الانتخابي الـذي أرادتـه المُعارضة لتغيير نظام المرحلتَيْن من الانتخاب إلى الانتخاب المُبـاشر، فقـد كانـت المُعارضة مُقتنعة ـ تماماً ـ أنّ الانتخاب المُباشر سيـضع علاقـة النّائـب مـع ناخبيـه مُباشرة، وسيكون من الصّعب أنْ يمتـدَّ تـأثير الحُكُومـة عـلى الانتخابـات. كـان المُطالبون الرّئيسيُّون لهذه الأفكار هُم صالح ومجموعتـه، الـذين كـانوا مُـساندين لكُلّ الأحزاب السّياسيّة، ويُعارضون سياسة نُوري السّعيد.[2]

Troutbeck to Morrison, 3.5.1951, Fo 371/91633. (1)

Troutbeck to Fo 3.5.1951, Fo 371/91632. (2)

أمّا بخُصُوص قضيَّة المُعاهدة الأنكلو ـ عراقيَّة؛ فقد أخبر نُوريَ مُعارضو الارتباط البريطاني أنَّ سياسته كانت ترمي إلى تأمين المُعاهدة وجلاء القواعد البريطانيَّة من الأراضي العراقيَّة، وأخبر نُوري السّعيد ـ بشكل سرِّيٍّ ـ السّفيرَ البريطاني الجديد السِّير جُون تروتبيك (Jhon Troutbeck) في مايس 1951، أنَّ مُعاهدة بُورتسموث لعام 1948، تبقى هي فكرته لتسوية مُقنعة بين الطَّرَفَيْن.[1]

3 - نُوري واتّفاقيَّة النّفط:

في آب من عام 1951، أعلن نُوري الفقرات الرّئيسيَّة من الاتّفاقيَّة الجديدة التي توصَّل إليها مع شركة نفط العراق، وأظهر أنَّ السّبب الرّئيسي الذي كان وراء هذه الاتّفاقيَّة هُو تقرير السّفير البريطاني في بغداد في 1951، فقد أشار تروتبيك على لندن أنَّ الأحداث في إيران سببها وُجُود الضّغائن والأحقاد بين الحُكُومة الإيرانيَّة وشركة النّفط. أمّا مُطالبة المُعارضة العراقيَّة بالتّأميم؛ فإنّه سيُؤدّي إلى التّأثير على مصالح بريطانيا النّفطيَّة في العراق إذا لم تتوصَّل شركة نفط العراق إلى اتّفاق مع الحُكُومة العراقيَّة.[2] وفي تمُّوز من العام نفسه كتب تروتبيك ـ ثانية ـ إلى السّير وليم سترانغ (William Strang) مُعاون السّكرتير الدّائم ما يلي:

(إنَّ تعثُّر المُحادثات مع شركة نفط العراق يقود إلى وَضع مُحرج إلى حَدٍّ ما، هُنا وهُناك بمقدار كبير من الرُّعب واليأس في دوائر الحُكُومة. على أيَّة حال؛ قد يكون من غير النّافع النّقاش حول الذي يُمكن أنْ تُوجَّه إليه الملامة في ذلك، لسبب هُو أنّه لم يتمّ التّوصُّل إلى اتّفاق بينهما؛ إذْ لو استمرَّ عدم الاتّفاق لفترة طويلة جدّاً، فإنَّ الوَضع المحلّيَّ سينفجر حتّى قبل أنْ نعرف موقعنا، ورُبَّما نجد

Troutbeck to Morrison , 16.5.1951, Fo 371/91633. (1)

Troutbeck to William Strang, 25.4.1951, Fo 371/9163 .(2)

أنفسنا قد فَقَدْنَا النّفط العراقي كما فَقَدْنَا النّفط الإيراني. وبالطّبع؛ لن يكون الأمر مُجرَّد نفط فَقَدْنَاهُ، بل إنَّ استراتيجيَّتنا تجاه العراق ستُنسَف كُلُّها، لذلك لن تستطيع هذه المُفاوضات أنْ تنظر بمنافع الشّركة حَصْراً، وإنَّما يجب أنْ تأخذ بنَظَر الاعتبار مصالح حُكُومة جلالته المُباشرة في العراق تماماً)[1]. ومن جانبه؛ ساند نُوري آراء تروتبيك عندما أعلم البريطانيِّيْن أنَّه سيستقيل إنْ تردَّدت شركات النّفط في التَّوصُّل إلى اتِّفاقيَّة ناجحة مع الحُكُومة العراقيَّة[2].

وما إنْ تسرَّبت أنباء المُفاوضات مع شركة نفط العراق حتَّى أثارت غضب المُعارضة الشّديد، فعادوا يُطالبون بتأميم الصّناعة النّفطيَّة، وفتح الحزب الوطني الدّيمقراطي والجبهة الشّعبيَّة المُتَّحدة اللّذان يقودهما حزب الاستقلال سلسلة من الهُجُومات الشّديدة في الصَّحافة على الحُكُومة والارتباط ببريطانيا، ساعدها في ذلك تردُّد حُكُومة نُوري السّعيد في دَعْم الحُكُومة المصريَّة، التي كانت قد ألغت مُعاهدة 1936، المعقودة مع بريطانيا. على أيَّة حال؛ لم يفسح نُوري المجال للمُعارضة التي كانت قد قدَّمت مطالبها عَلَنَاً. ففي كانون الثّاني عام 1952، وقَّع الاتِّفاقيَّة الجديدة مع شركة نفط العراق، وصادق عليها مجلس النُّوَّاب. وخلال فترة بقائها في السُّلطة كانت علاقات حُكُومة نُوري السّعيد مع البريطانيِّيْن جيِّدة عُمُوماً، وكان وُجُود الخُبراء البريطانيِّيْن العاملين لدى الحُكُومة العراقيَّة جيِّداً، ويحظى بتقديرها؛ إذْ إنَّ الحُكُومة البريطانيَّة استمرَّت بالاعتماد على المُختصِّين البريطانيِّيْن في كُلّ المجالات، وتزايد عددهم إلى أكثر من 200 شخص. ولمَّا ساءت العلاقات بين العراق

Troutbeck to William Strang, 3.7.1951, Fo 371/91631. (1)

Troutbeck to Fo, 21.7.1951, Fo 371/91631. (2)

وإيران خلال عامَيْ 1951 ـ 1952، وهي فترة قيام الحُكُومة الإيرانيّة بتأميم شركة النّفط الأنكلو ـ إيرانيّة، لم يكن نُوري يتعاطف معها بشكل تامٍّ.[1]

4 - نُوري والتّلويح بالخطر الشُّيُوعي:

كان التّعاون مع بريطانيا في مجال الدّفاع حَسَناً جدّاً، ولقي دَعْماً كبيراً من نُوري السّعيد، ودعا ـ في أكثر من مُناسبة ـ لترويج هذه الأفكار، التي تهدف إلى الحَدِّ من النّشاط الشُّيُوعي، الذي يُهدِّد المنطقة، وهذا يتوافق مع الاستراتيجيّة الغربيّة في المنطقة. وعلى طريق هذا التّعاون زار العراق فريق تدريبي لإلقاء مُحاضرات تثقيفيّة تقنيّة، وإعداد التّحضيرات اللاّزمة لإجراء التّمارين العسكريّة المُشتركة. وزار بغداد في أوائل عام 1951، الجنرال رُوبرتسون قائد قُوّات الشّرق الأوسط البرّيّة، وضغط على نُوري ليقوم بتغيُّرات مُهمّة في القيادة العُليا للجيش العراقي؛ لأنّ بريطانيا كانت تُريد إخراج بعض الضُّبّاط العراقيِّيْن، وأنّ الرّجل الذي أرادت بريطانيا إخراجه من الجيش قبل غيره هُو الفريق صالح صائب الجبوري رئيس الأركان العامّة، وقام الجنرال رُوبربتسون بإبلاغ نُوري السّعيد أنّ المُساعدة البريطانيّة للجيش العراقي تعتمد على عَزْل (الخشب الصّلب) الموجود في القمّة، وخُصُوصاً الفريق الجبوري؛ إذْ إنّ بريطانيا أرادت أنْ يكون الضُّبّاط العراقيُّون الذي تدرَّبوا على الأيدي البريطانيّة هُم القادة الجُدُد للجيش.[2] كما ضغط الجنرال رُوبرتسون والسّفير البريطاني في بغداد وتروتبيك على الوصي ونُوري السّعيد للقيام بكثير من التّغييرات في القيادة العُليا، وإعطاء مواقعهم

The Iraqi oppositions, attitude regarding Nuris support to Britain against Iran was (1) reported in Beeley to Fo, 4.7.1951, Fo 371/91634, and introutbeck to morrison, .18.7.1951, Fo 371/91633.

Report by Robertson to War office, 7.1.1951 Fo. 371/91659. (2)

إلى أولئك الضُّبَّاط الذي أراد القادة البريطانيِّيْن أنْ يكونوا قادة جُدُد للجيش.[1]
وقد نجحت مُحاولات البريطانيِّيْن، وحلَّ اللّواء نُور الدِّين محمود محلَّ الفريق صالح صائب الجبوري، الذي كان وطنيَّاً ومُخلصاً للمملكة. لقد جاء عَزْل الجبوري عندما أخبر البريطانيُّون لكُلٍّ من نُوري والوصي أنَّه ما من مجال لتجهيز العراق بالموادِّ الأساسيَّة في مجال التّسليح إنْ لم تُنظِّم الحُكُومة العراقيَّة - من جديد - القيادة العُليا للجيش.[2]

لم تظهر مشاكل ذات أهمِّيَّة كُبرى بين العراق وبريطانيا، حتَّى إلغاء المُعاهدة المعقودة بين مصر وبريطانيا، وكان نُوري يعتبر أنَّ ردَّ الفعل الشّديد عليها في العراق لا يُشجِّعه بالعودة إلى الشّعب ومُصارحته بشأن مُستقبل العلاقات الأنكلو - عراقيَّة. وطبقاً لذلك؛ أصدر بيانَيْن ذُكر في الأوَّل أنَّه في نهاية عام 1950، كان قد وصف المُعاهدة الأنكلو - عراقيَّة لعام 1930، بأنَّها مُعطَّلة، وأعرَب عن رأيه - وقتذاك - أنَّه لا يُؤيِّد وُجُود قواعد أجنبيَّة على الأراضي العراقيَّة في أوقات السِّلْم، وأضاف أنَّه سيقترح في جلسة البرلمان القادمة إجراء بعض التّحويرات في العلاقات مع بريطانيا. وفي البيان الثّاني؛ أعلن نُوري أنَّه ينوي مُناقشة العلاقات بين العراق وبريطانيا مع القادة السّياسيِّيْن، لكنَّه - في الواقع - لم يُناقش مثل هكذا موضوع إطلاقاً. بينما كان النّزاع الأنكلو - مصري حول مُعاهدة 1936، قد صعَّد من هُجُوم المُعارضة العراقيَّة في الصَّحافة على سياسة بريطانيا عُمُوماً، وعلى الارتباط البريطاني بالعراق خُصُوصاً. والشّئ المُهمُّ هُو أنَّه لم يظهر أيُّ ردٍّ على الأوراق التي تتعلَّق بـ (الحَرَس القديم). وإنَّ هُجُوم الصَّحافة

---

(1) Mack to Bevin, 1.2.1951, Fo 371/91657.

(2) Ibid.

على بريطانيا أجبر سفيرها في بغداد تروتبيك على أنْ يسترعي انتباه القادة السّياسيِّيْن العراقيِّيْن بخطر الحملة التي تقوم بها المُعارضة ، وفي 16 أكتوبر 1951 ، التقى تروتبيك الوصيّ، وأخبره أنّ الهُجُوم المُتطرّف كان غير مسؤول، وإذا ما فُسح الطّريق لهؤلاء الجماعة، فإنّ العراق سيجد نفسه معزولاً تماماً، وبلا أصدقاء، وليس لديه قُدرة دفاع ضدّ الخطر الرُّوسي. وأشار تروتبيك على الوصي أنْ يفعل ما بوُسعه لتجنُّب الضَّرَر الذي سيفعله مُثيرو الفتَن في البلاد. ومن جانبه؛ وافق الوصي على كُلّ ما قاله السّفير البريطاني، إلاّ أنّه ذكَّر السّفير البريطاني أنّ موقفه الشّخصي صعب جدّاً. واتّفق الاثنان على أنّ نُوري السّعيد هُو الرّجل الوحيد في العراق الذي يستطيع التّأثير على المُعارضة، والسّيطرة عليها.[1] وبعد مُرُور أُسبُوع واحد على هذا الاجتماع التقى الوصيُّ السّفيرَ البريطاني ثانية، وأخبره أنّه يُريد أنْ يعزل نُوري من رئاسة الحُكُومة، ويأتي بحُكُومة جديدة ائتلافيّة، وكان يعتقد أنّ أولئك الذين تصرّفوا بلا مسؤوليّة في المُعارضة قد يُصبحون خطرين عليه، إنْ مُنحوا السُّلطة. كانت خُطّة الوصي - وبعد أنْ يُشكّل حُكُومة جديدة باختياره الخاصّ - تهدف إلى زَرْع الخلافات بين هؤلاء السّياسيّيْن، فتفضي إلى صراعات مع بعضهم، فيخرج الوصي مُتمكّناً. لكنّ تروتبيك لم يُساند هذه الخُطّة؛ لأنّه كان مُتأكّداً أنّ العراق - آنذاك - يحتاج إلى حُكُومة قويّة. وحال سماعه هذه الإجابة؛ أخبر الوصيُّ تروتبيكَ أنّه لا يرى أنّ بريطانيا تُساند أصدقائها أبداً، وأكّد على فشل بريطانيا في تزويد العراق بالسّلاح، مُنذُ أنْ أصبح تزويد السّلاح أمراً حيويّاً بالنّسبة له إذا أراد أنْ يسير الجيش معه في الطّريق نفسه مثلما سار زُعماء العشائر. وأضاف أنّه نتيجة لهذا الموقف البريطاني، فإنّ أصدقاءهم لا يُمكنهم أنْ

(1) Troubeck to Morrison, 17.10.1951, Fo 371/91639.

يقتنعوا أنَّ صداقتهم مع بريطانيا قد جلبت لبلدانهم المنافع. وبالنّتيجة؛ فإنَّ كثيراً منهم قد قُتل بسبب تماهل البريطانيّيْن معهم. وأضاف الوصيّ الذي كان مُضطرباً بسبب مقتل عمّه الملك عبد الله أمير شرق الأُردن والرّئيس اللُّبناني رياض الصُّلح في تمّوز من عام 1951، أنَّ تحوُّلاً رئيسيّاً في موقفه رُبّما يحصل قريباً. وقد أنهى الوصيُّ الاجتماع مع تروتبيك عندما أخبره الأخير أنّه لا مجال لاتّخاذ أيّ قرار بهذا الخُصُوص حتّى يتمكّن من معرفة الآراء في لندن[1]. وقد تأكّد للسّفير البريطاني تروتبيك أنَّ المُعارضة في العراق بدأت تكبر، وتُصبح فعّالة، وكان من المُمكن لها - وهي خارج السُّلطة - إعاقة الحُكُومة في تنفيذ سياستها. غير أنَّ مسألتَيْ تأميم النّفط وإلغاء المُعاهدة العراقيّة - البريطانيّة التي تُطالب بها المُعارضة هي من المسائل الخطرة في العراق، التي تضرُّ بالمصالح البريطانيّة، لذلك؛ فإنَّ إدخال وُزراء إلى الحُكُومة يُطالبون بتنفيذ هاتَيْن الخُطوتَيْن هُو أمر يُعرّض تلك المصالح للخطر، لذلك؛ استنتج السّفير أنَّ التّأثير البريطاني في العراق يجب استخدامه للحفاظ على حُكُومة نُوري السّعيد، وبقائها في السُّلطة. وقد أيّدت لندن هذا الرّأي، وأشارت عليه أنْ يبذل مساعيه لتشكيل حُكُومة تضمُّ كُلاً من نُوري السّعيد وصالح جبر، فمثل هذه الحُكُومة تستطيع تأمين الاستقرار في العراق، وتدعم الارتباط ببريطانيا.[2] وفي ضوء ذلك التقى السّفيرُ البريطانيُّ الوصيَّ، وأعلمه أنَّ الوَضع في الشّرق الأوسط يحتاج إلى حُكُومة صارمة في العراق، ولا يجب أنْ تضمَّ أُناساً يُحاولون التّشويش على اتّفاقيّة النّفط، وإضعاف الارتباط العراقي ببريطانيا، وأضاف سوف لن تستجيب بريطانيا للطّلبات العراقيّة الخاصّة

---

(1) Troutbeck to Fo, 24.10.1951 , Fo 371/91639.

(2) Fo to Baghdad, 26.10.1951, Fo 371/91631.

بالتّجهيزات العسكريّة إذا ما كانت هُنالك حُكُومة تتبنّى إلغاء مُعاهدة 1930، أو تُطالب باتّباع سياسة الحياد بين رُوسيا والغرب.[1] تلقّى الوصيُّ هذه التّعليمات دُون تعليق، إلاّ أنّه بقي يعتقد أنّ التّرتيب مع نُوري السّيمد وصالح جبر سوف يستفزُّ المُعارضة، ويُبقيها في حالة غضب شديد.[2] لكنّ الوصيَّ ونُوري أخذا بنصيحة لند، وحاولا تشكيل حُكُومة تضمُّ وُزراء من الجبهة الشّعبيّة المُتّحدة وحزب الاستقلال، لكنّ مُحاولتهما فشلت؛ بسبب إصرار الأحزاب على تأميم النّفط، واتّخاذ موقف حياديٍّ من الصّراع العالمي، وطالبا أنْ تكون هاتّان النُّقطتّان في مُقدِّمة برنامج الحُكُومة المنّوي تشكيلها.[3]

5 - نُوري وتعديل مُعاهدة 1930:

إنّ الأحزاب السّياسيّة العراقيّة التي نشطت في ضوء موقف الحُكُومة المصريّة القوي، التي رفضت أربعة مُقترحات كُبرى صادرة عن قيادة الشّرق الأوسط، قد واصلت هُجُومها ضدّ حُكُومة نُوري السّعيد، مُطالبة بإعادة النَّظَر بالمُعاهدة الأنكلو ـ عراقيّة، فأصبح هذا الموضوع في نهاية عام 1951 ـ القضيّة الأُولى في العراق، ممّا دعا الحُكُومة العراقيّة للإعلان ـ رَسْمياً في أكتوبر من ذلك العام ـ: أنّ نُوري السّعيد كان قد ناقش مع بريطانيا ضرورة إعادة النَّظَر بالعلاقات بينهما على أساس ما جاء في بيانَيْه السّابقَيْن. لقد جاء البيان مُخيّباً لآمال البريطانيّيْن، ومن دُون شكٍّ كانت صياغته مُوجّهة لتهدئة العناصر الوطنيّة في العراق. مع ذلك؛ ففي مُحادثاته مع تروتبيك قال نُوري: إنّه يتوقّع أنّ إلغاء

(1) Troutbeck to Fo, 25.10.1951, Fo 371/91631.
(2) Troutbeck to Fo, 29.10.1951, Fo 371/91631.
(3) Troutbeck to Eden, 19.11.1951, Fo 371/91633.

مُعاهدة 1936، الأنكلو ـ مصريَّة سيزيد من الهياج الشّعبي في العراق عند مُراجعة مُعاهدة 1930، وهُو نفسه كان راغباً بإجراء بعض الاستعدادات لتسليم القواعد الجويَّة للحُكُومة العراقيَّة، إلاَّ أنَّه لم يكن يتمنَّى رُؤية القُوَّة الجويَّة البريطانيَّة وهي تُغادر العراق ـ آنذاك ـ في ظلِّ حالة التَّوتُّر العالمي، كان نُوري يأمل أنْ يُعاد النَّظَر بالمُعاهدة وُفق رُوح مُعاهدة بُورتسموث، وقد أوضح رأيه هذا ـ فيما بعد ـ إلى تروتبيك قائلاً: يجب أنْ تتأسَّس العلاقات الأنكلو ـ عراقيَّة على أساسَيْن أوَّلها: اتِّفاقيَّة خاصَّة تُماثل الاتِّفاقيَّة التي تمَّت بين الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة والعَرَبيَّة السُّعُوديَّة، وثانيها: أنْ تكون هُنالك اتِّفاقيَّات الدّفاع العامّ التي تجعل من الشّرق الأوسط قُوَّة فاعلة.[1]

كان نُوري يعتقد أنَّ عقد اتِّفاقيَّة بين العراق وبريطانيا على غرار الخُطُوط التي احتوتها الاتِّفاقيَّة المعقودة بين أمريكان والسُّعُوديَّة (اتِّفاقيَّة الظّهران)، وَأَمَدُهَا أربع سنين، سيُغطِّي ـ نوعيَّاً ـ حاجة بريطانيا في العراق. في الوقت نفسه، فإنَّ مثل هذه الاتِّفاقيَّة تمنح العراق السُّلطة التَّامَّة والسّيادة على المطارات، وقد تُساعد تلك النّقاط على إرضاء المُعارضة العراقيَّة، وتُقنعهم بالتّراجع عن اعتراضاتهم على الوُجُود البريطاني في العراق[2].

كان هدف بريطانيا الأساسي في ذلك الوقت الحرج هُو إحباط عزيمة العراق في التّفاوض على مُعاهدة جديدة؛ لأنَّ البريطانيِّيْن كانوا مُتأكِّدين أنَّهم رُبَّما لن يحصلوا على التّسهيلات اللاَّزمة في العراق، وكانوا مُتأكِّدين ـ أيضاً ـ أنَّ أيَّ اتِّفاقيَّة جديدة مع العراق لن تأتي من خلال البرلمان أبداً[3].

Troutbeck to Bowker 24.11.1951, Fo 371/91633(1)

Troutbeck to Fo, 10.10.1951, Fo 371/91639(2)

Bowker ot troutbeck, 30.10.1951, Fo 371/91639(3)

ولغرض تجنُّب تجاهل إعادة النَّظَر في المُعاهدة قرَّرت بريطانيا إبلاغ نُوري بأنَّها ترغب بوَضْع المُقترحات العراقيَّة بنَظَر الاعتبار، وتتعاطف معها، ومُستعدَّة تماماً لإعطائها أهمِّيَّة كُبرى. وأعلمت بريطانيا نُوري - أيضاً - أنَّه كان في العراق عناصر همُّها الوحيد توطيد علاقات العراق ببريطانيا، لذلك؛ يجب تشجيعها، ومنع أيِّ شيء يُحطِّم ارتباط العراق مع بريطانيا[1]. وبخُصُوص البُنُود غير العسكريَّة التي تضمَّنتها مُعاهدة بُورتسموث التي لم تأخذ طريقها للمُصادقة، فقد كانت بريطانيا مُستعدَّة للإقلاع عنها، ووافقت على نقل إدارة ميناء البصرة وسكك الحديد إلى العراقيِّين[2].

على أيَّة حال؛ اقتنع نُوري بنصيحة البريطانيِّين، ولذلك لم يُطالب بريطانيا - مرَّة أُخرى - بإعادة النَّظَر بالمُعاهدة؛ لأنَّه كان مشغولاً - تماماً - هذه المرَّة بمسألة دفاع الشَّرق الأوسط، وأصبحت شُغله الشَّاغل.[3] وفي آذار من عام 1952، ضعف موقف نُوري السَّعيد السِّياسي، وأمست المُعارضة قويَّة جدّاً بسبب أحداث منطقة قناة السُّويس، التي وقعت بين المصريِّين والقُوَّات البريطانيَّة؛ إذْ منحت هذه الأحداثُ فُرصةً كبيرة للمُعارضة العراقيَّة للهُجُوم على سياسة حُكُومتها والارتباط ببريطانيا، وجاءت اتِّفاقيَّة النِّفط فُرصة مُناسبة ليفرضوا وُجُودهم في شوارع بغداد، فقامت مُظاهرات كثيرة واضرابات واسعة، انتهى بعضها إلى الصِّدام مع الشّرطة، وكان مجيء الانتخابات العامَّة قد سبَّب بعض الاضطرابات أيضاً، فلم تكن هُناك إشارة إلى اتِّفاق نُوري وصالح حول طبيعة

---

(1) Bowker to troutbeck, 30.10.1951, Fo 371/91639

(2) Furlongo to Troutbeck , 23.10.1951, Fo 371/ 91639

(3) Troutbeck to Fo, 5.11.1951, Fo 371/91639

المجلس الجديد. كان الوَضـع في الـبلاد يحتـاج إلى وزارة مُحايـدة تـستطيع ترتيـب الانتخابات وُفق الخُطُوط التي اتَّفق عليها صالح ونُوري[1]، أمَّا البريطانيُّون الذين تأكَّدوا من الخطر الذي يُسبِّبه عدم الوفاق بين نُوري وصالح؛ فقد بدؤوا يُحـذِّرون القائدَيْن القويَّيْن، وقام تروتبيـك ـ شخـصيّاً ـ بـإبلاغ نُـوري أنَّـه سـتكون هُنـاك اضطرابات في العراق، ورُبَّما يحدث سـفك دمـاء خـلال الانتخابـات، وهُـو أمـر يرجع إلى ضعف العلاقة بينـه وبـين صـالح جـبر، وأضـاف أنَّ أيَّ اتِّفـاق بيـنهما سيدعم الاستقرار في العراق.[2]

في تمُّوز 1952، خطر في بال الـوصي تـشكيل حُكُومـة ائتلافيَّـة، وتكليـف مُصطفى العمري رئيساً لها، كانت المُعارضة ـ أيـضاً ـ تُطالـب بتـشكيل حُكُومـة تُمثِّل كافَّة الأحزاب. أمَّا الـوصيّ؛ فكانـت خُطَّتـه ترمـي إلى تعيـين رئـيس وُزراء قوي، وإلى جانبه وزير داخليَّة قوي؛ إذْ كان يعتقد أنَّ حُكُومة كهذه تستطيع قيـادة الانتخابات التي كان يأمل منها أنْ تُسفر عن فوز نُوري وصالح بعدد مُتـساوٍ مـن المقاعد بصُورة قليلة أم كثيرة مع عدد كبير من المُستقلِّين. إنَّ الوصيّ الـذي نـاقش الوَضع الدّاخلي مع تروتبيك لم يكن ينوي إعطاء الأحزاب الأُخـرى دَعْـمَاً كبـيراً، لأنَّه كان مُتيقِّناً أنَّهم جميعاً أعداء له، ولذلك؛ ارتـأى أنَّـه لا يُوجـد سـبب يـدعوه لدَعْم أُناس سوف يُحطِّمونه متى ما تمكَّنوا منه. على أيَّة حال؛ نجح الـوصيّ في 12 تمُّوز بتشكيل حُكُومة يرأسها مُصطفى العُمري المعروف بقُدراته الإداريَّة، وأحـد المُخلـصين لنُـوري الـسّعيد، واحـتفظ لنفـسه بـوزارة الدّاخليَّـة، وكانـت مهمَّـة الحُكُومة التي دعاها البريطانيُّون بحُكُومة نُـوري الثّانيـة عـشرة هـي حَـلُّ مجلـس

(1) Troutbeck to Eden, 6.3.1952, Fo 371/98734.

(2) Troutbeck to Eden, 13.3.1952, Fo 371/98734.

النُّوَّاب وإجراء انتخابات حُرَّة. وبعد أنْ اطمأنَّ الوصي إلى استقرار الوَضْع الدّاخلي غادر بصُحبة الملك فيصل الثّاني إلى أمريكا وبريطانيا في 16 تمُّوز، وبالوقت نفسه؛ غادر نُوري ـ هُو الآخر ـ إلى لندن ليتمتَّع بإجازته الصّيفيَّة المُعتادة، لكنَّ توقُّعها لم يكن في محلِّه، فقد شهدت المنطقة أحداثاً ساخنة، أوَّلها قيام الثّورة المصريَّة في 23 تمُّوز، التي شجَّعت الرَّأي العامّ والحركة الوطنيَّة في العراق على الاعتقاد بأنَّ الخلاص من النّظام أصبح مُمكناً.[1] فكانت تلك بداية لسلسلة من الأحداث السّاخنة التي شهدتها المنطقة خلال عقد الخمسينات، وأضفت إلى أحداث دراماتيكيَّة غيَّرت وجه المنطقة. ومن هُنا؛ بدأ قَلَقُ العُمري، خاصَّة بعد أنْ حاول كامل الجادرجي زعيم الحزب الوطني إقناع قادة المُعارضة الآخرين بتنظيم إضرابات بعد عودة الوصيّ من الخارج، وفعلاً؛ وبمُجرَّد عودة الأخير واجه عاصفة من الاحتجاجات وهُجُوم الصَّحافة عليه.[2]

في اليوم التّالي؛ حلَّ الوصيُّ البرلمانَ، وفاتت فُرصة المُبادرة على الأحزاب السّياسيَّة، وفي 23 تشرين الأوَّل قام حزب الاستقلال والحزب الوطني الدّيمقراطي بتقديم مُذكَّراتهم للوصيّ؛ مُطالبة بتعديل قانون الانتخاب، واستئصال الفساد، وإلغاء قانون دعاوي العشائر، ومنح الحُرِّيَّة وإعادة النَّظَر بمُعاهدة 1930. وافق الوصيّ على إجراء بعض الإصلاحات، وترك الأُمُور الأُخرى للنَّظَر فيها من قبَل الحُكُومة، لكنَّ ذلك لم يُرضِ المُعارضة، فَحَرَّكَ خَطَرَ الاضطرابات في البلاد.[3] وقد حاول العُمري أنْ يفعل شيئاً بعد أنْ تلقَّى

Belly to Fo, 12.8.1952, Fo 371/98734. (1)

Troutbeck to Eden, 9.10.1952 , Fo 371/89737. (2)

Troutbeck to Fo, 7.11.1952, 371/98733. (3)

توجيهات السّفير البريطاني، لكنّه أخفق[1]. ورغم أنَّ الوصيّ عقد اجتماعاً مع القادة السّياسيّين في البلاط، إلاّ أنّه لم يتوصّل إلى نتيجة لوُقُوع مشادَّة كلاميَّة بينه وبين طه الهاشمي زعيم الجبهة الشّعبيَّة، والأخير غادر الاجتماع مُحتجّاً، فانفضّ على أثرها الاجتماع[2]. غير أنّه سُرعان ما اجتاح الهياج الشّعبي شوارع بغداد، وطافت فيها مُظاهرات صاخبة أفضت إلى استعانة الوصيّ بالجيش، بعد أنْ التقى بالسّفير البريطاني مُنذُ وقت سابق، فشجّعه على المُضيّ في تنفيذ خُطوته لكَسْر شوكة المُعارضة، وتفويت الفُرصة عليها[3]. وفي ظهيرة 23 تشرين الثّاني؛ أُنزلت قُوّات عسكريَّة إلى الشّوارع، وفي المساء؛ أعلن للفريق نُور الدِّين محمود رئيس أركان الجيش من راديو بغداد بأنَّ الوصيّ قد كلَّفه بتشكيل الحُكُومة، وأنّه أخذ على عاتقه مهمَّة حماية النّظام والقانون في البلاد، وفي ذلك المساء؛ أُعلنت الأحكام العُرْفيَّة.[7] وفي غُضُون اليومَيْن التّاليَيْن؛ نجح الفريق محمود من إعادة النّظام، والقبض على أولئك الذين كانوا وراء الاضطرابات، وتقديمهم إلى العدالة، وغالبيَّتهم من أنصار الأحزاب السّياسيَّة المُعارضة.[4]

ثُمَّ أصدر الفريق محمود بعض القرارات الخاصَّة بدَعْم الوَضْع الاقتصادي والمعاشي للمُواطنين، وكذلك دَعْم الجيش ، وأصدر - أيضاً - قراراً بخُصُوص قانون الانتخاب الجديد، وأجرى انتخابات عامَّة مُباشرة. وبعد انتهاء مهمَّته التي كلَّفه بها الوصيّ، واستطاع - من خلالها - فرض النّظام بالقُوَّة، وجد الوصيّ أنَّ

---

(1) Troutbeck to Eden, 8.11.1952 , 371/98737.

(2) Troutbeck to Eden. 11.8.1952, Fo 371/98733.

(3) Fo to Baghdad, 19.11.1952, Fo 371/98735.

(7) Disturbances in Baghdad, Events OF November 22-24, Fo 371/ 98736.

(4) Troutbeck to Eden, 25.11.1952 , Fo 371/98733.

الوقت بات مُناسباً لإعادة الحُكم للمَدَنيِّين، وطلب من رئيس الحُكُومة تقديم الإستقالة، الذي تردَّد أوَّل الأمر، لكنَّ تدخُّل نُوري السّعيد أدَّى إلى اقناعه، وتقديم استقالته، وفعلاً؛ سلَّم استقالته للوصيّ في 23 كانون الثّاني من عام 1953، وتَمَّ تعيننه عُضواً في المجلس الجديد. فوقع اختيار الوصيّ - هذه المرَّة - على جميل المدفعي؛ ليُشكِّل الحُكُومة الجديدة، وبعد أنْ شكَّلها أصرَّ الوصي على أنْ يقوم نُوري بدَعْم الوزارة من الدّاخل، وأنْ يتولَّى - بنفسه - وزارة الدّفاع[1].

كان الجميع يعتقد أنَّ نُوري السّعيد قد يكون هُو الرّئيس الجديد للحُكُومة، لكنَّه كان يُريد من الحُكُومة الجديدة أنْ تكون ائتلافيَّة، وذات برنامج واضح. أمَّا في مجال الشُّؤون الخارجيَّة؛ فكان نُوري يعتقد بأنَّ الحُكُومة الجديدة يجب أنْ تتبنَّى سياسة التّحالف العَرَبي، الذي تَمَّ تعديله ليسمح بمُشاركة بريطانيا والولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة فيه[2].من جانبه؛ انتاب السّفير البريطاني قلق شديداً حول الوَضْع الدّاخلي، أوَّلاً؛ بسبب اضرابات الطُّلاَّب والعُمَّال، ولأنَّ الحُكُومة كانت ضعيفة وعاجزة عن الإصلاح، وثانياً؛ لوُجُود حاجة مُلحَّة لإقامة مُنظَّمة جديدة للدّفاع عن الشّرق الأوسط، التي كانت موضوع المُناقشات التي جرت بينه وبين الوصيّ ونُوري.[3]

Minute by Ross, 4.2.1953 , Fo 371/104665.(1)

Troutbeck to Eden, 24.1.1953 , Fo 371/104665.(2)

Troutbeck to Bowker, 3.4.1953 , Fo 371/167678.(3)

6 - نُوري وسياسة الأحلاف في الخمسينيَّات:

في حُزيران من عـام 1953، اجتمـع نُـوري في لنـدن بالمستر انتـوني آيـدن (Antony Eden) وزير الخارجيَّة البريطاني، وناقش معه ـ في جانب مـن محُادثاتـه ـ تشكيل نوع من الحلف الدّفاعي ضدَّ الرُّوس؛ يضمُّ تُركيا والعراق وإيران، و أكَّد لآيدن ـ في الوقت نفسه ـ أنَّ النّظام في العراق يُسيطر عـلى الوَضْـع الـدّاخلي[1]. في مُنتصف أيلول مـن ذلـك العـام مـنح الملـك فيـصل الثّـاني الـذي تـولَّى سُـلطاته الدُّستُوريَّة في 2 مايس عام 1953، الدُّكتُور مُحَمَّد فاضل الجـمالي فُرصـة لتـشكيل حُكُومة جديدة بعد استقالة حُكُومـة المـدفعي، غـير أنَّ نُـوري أوضـح أنَّـه غـير مُستعدٍّ لدَعْم الحُكُومة الجديدة بأيٍّ شكل من الأشكال، أمَّا جُون تروتبيك السّفير البريطاني؛ فقد تأكَّد بأنَّ الأخطار التـي تُحـدق بحُكُومـة الجـمالي الأُولى مـصدرها موقف نُوري السّلبي منها، ورغم أنَّه طَلَبَ من نُوري دَعْمَ هـذه الحُكُومـة، إلاَّ أنَّ نُوري أهمل اقتراح تروتبيك[2]. وفي 29 نيسان عام 1954، شكَّل أرشـد العمـري وزارته الثّانية على أنقاض وزارة الجمالي الثّانية، وكانـت وزارة العمـري ضروريَّـة لحين استعادة نُوري السّعيد لـصحَّته، وفي الوقـت الـذي كـان يُـشكِّل فيـه هـذه الحُكُومة وافقت حُكُومة بريطانيا على البدء بالمُحادثات مع العراق حول ترتيبـات الدّفاع الجديدة[3]. أمَّا نُوري الذي كان في لندن؛ فقد أظهر نيَّته للبريطانيِّين بأنَّ على العراق أنْ يتحرَّك بقُوَّة نحو باكستان؛ لجَذْبها للدُّخُول في ترتيبات الـدّفاع، وكـان يرى أنَّ تشكيل تجمُّع مُنفصل مع باكستان تُريده بريطانيا، تُؤدِّي فيه دوراً ملموساً

---

(1) Ross to Troutbeck , 10.6.1953 , Fo 371/167678.

(2) Troutbeck to Lord Salisbury , 30.9.1953 , Fo 371/104666.

(3) Troutbeck to Fo, 15.6.1954 , Fo 371/ 111003.

هُو خُطوة مُهمَّة على طريق تنفيذ الفكـرة إلى واقـع فعـلي[1]. كانـت وزارة الجمالي الأُولى من النّوع الـذي أرادتـه بريطانيـا وأمريكـا، لأنَّهـا سـتكون إصـلاحيَّة، إنَّ المُعضلة التي واجهت الوزارة - مُنذُ البداية - هي أنَّها تشكَّلت دُون أنْ يتُمَّ استشارة نُوري السّعيد صاحب الأغلبيَّة في مجلس النُّوَّاب، ولهـذا؛ غـادر العـراق إلى لنـدن لقضاء إجازته الصّيفيَّة، وهُو غاضب من تصرُّف عبد الإله، ولمَّا عـاد بـدأ يُـمارس ضغطاً على الحُكُومـة لمـنْعها مـن استـصدار أيِّ قـرار يـضرُّ بمـصالح أصـدقائه ومُؤيِّديه من الشُّيُوخ وملاَّكي الأراضي. ولأجل كَسْر احتكار نُوري وهيمنته عـلى البرلمان، قام عبد الإله بحَلِّ البرلمان، وإجراء الانتخابات، وكلَّف أرشـد العمـري بإجراء تلك الانتخابات، غير أنَّ نتيجة هذه الانتخابات كـشفت لنُـوري الـسّعيد أنَّه يتمتَّـع بالأغلبيَّـة في المجلـس الجديـد، وفي ضـوء ذلـك أوضـحت الأوضـاع السّياسيَّة في البلاد بأنَّها ستشهد تدهوراً كبيراً شبيهاً بأحداث تشرين الثّاني الماضي، لذلك سافر عبد الإله إلى باريس سرّاً لغـرض المُـصالحة مـع نُـوري، الـذي كـان - آنذاك - في لندن لغرض النّقاهة بعد إجـراء العمليَّـة الجراحيَّـة في معدتـه، وهُـو يحمل اسماً مُستعاراً (العقيد هاشمي) وعندما التقاه جرى حوار بينهما، اعترف فيه عبد الإله بتراجعه، وطلب منه العودة إلى بغداد ليترأس الحُكُومـة، غـير أنَّ نُـوري اشترط عليه أنْ يُطلق يده، ولا يتدخَّل في شُؤُونه، وأنْ يحلَّ البرلمان، والقضاء عـلى المُعارضة. وقد وافق عبد الإله على المُقترحات، وعـاد نُـوري إلى بغـداد في أواخـر تمُّوز من ذلك العام، وشكَّل حُكُومـة جديـدة، وحُـلَّ البرلمـان، ممَّـا شـكَّل نـصراً واضحاً له على وليِّ العهد عبد الإله، كـما حـلَّ حزبـه الاتِّحـاد الدُّسـتُوري بـشكل ظاهري كي تقتدي بقيَّة الأحزاب، وكان يهـدف إلى تفتيـت قُـوَّة المُعارضـة التـي

Slwen Loughd to Hooper, 25.6.1954, Fo 371/ 110992.(1)

تُسمّى بالشُّيُوعيَّة، واستخدامها كَسبب لحلِّ الأحزاب الأُخرى. لقد نجح نُوري في هذه المُناورة من استقطاب أغلب مُناصري صالح جبر إلى جانبه، وحلَّ الحزب الوطني الدّيمقراطي بزعامة الجادرجي، وشدَّد من هُجُومه ضدَّ الشُّيُوعيِّين، والجبهة المُتَّحدة، وكُلُّ هذه الإجراءات جاءت بعد تعيين سعيد قزَّاز المُتشدِّد كوزير للدّاخليَّة ، وهي تلميحات إلى أنَّ نُوري قد قرَّر اتِّباع سياسة صارمة ضدَّ مُعارضيه وتكرسيه للدِّيكتاتوريَّة كمنهج لسياسة حُكُومته التي لا يستطيع أحد أنْ يتحدَّاه. وفي رسالة بعث بها إلى الملك فيصل الثّاني حدَّد فيها إلى نُوري مُستقبل سياسة حُكُومته الخارجيَّة بما يلي:

- انتهاء مُعاهدة عام 1930، الأنكلو - عراقيَّة، والتّعاون المُشترك بين العراق والدُّوَل الأجنبيَّة الأُخرى انسجاماً مع نصِّ المادَّة 51 من ميثاق الأُمم المُتَّحدة.

- ترسيخ العلاقات مع الدُّوَل المُجاورة، وتطوير التّعاون المُشترك بينهما وبين الدُّوَل العَرَبيَّة لصدِّ الخطر الصّهيوني[1].

وبعد عودته من لندن بأُسبُوعَيْن؛ غيَّر نُوري - بنحو تامٍّ - الوَضْع السّياسي في العراق، على الرّغم من تدهور صحَّته، وأمسى الشّخصيَّة الأقوى في الحياة السّياسيَّة، وأكبر مصدر للقُوَّة، وفي آب من عام 1954، كتب هوبر (Hooper) القائم بالأعمال البريطاني في بغداد تقريراً إلى المستر آيدن عن الوَضْع الجديد في العراق قائلاً: من زاوية نَظَر قصيدة المدى يُعتبر هذا الوَضْع مُفضَّلاً بالنّسبة للمصالح البريطانيَّة، ولعلّنا نستطيع الانسجام معه[2]. وكتب تروتبيك - أيضاً -

---

(1) Troutbeck to Fo, 2.8.1954 , Fo 371/ 110990.

(2) Hooper to Eden, 11.8.1954 , Fo 371/ 110990.

تقريراً يقول فيه : إنَّ نُوري أمسى عجوزاً، ورُبَّما يكـون هـذا الأمـر آخـر أيّامـه في رئاسة الحُكُومة، وإلى جانب كُلِّ هـذه الأخطـاء يبقـى رئـيس الحُكُومـة العراقـي الوحيد الذي عرفته يُدبِّر الحُجج في إدارة البلاد، وليس هُنـاك شـخص آخـر مـن نوعه في هذه البلاد، لذلك؛ قد يُثبت هذا الأمـر فُرصـتنا الأخـيرة في إبـرام اتِّفـاق ثُنائي مع العراقيّيْن، يتضمَّن بعض التّرتيبات المعقولة بخُصُوص الدّفاع[1].

ويظهر واضحاً أنَّ تروتبيك يدعم سياسة نُوري في تقريره الذي كتب فيه يقول: إنَّ التّغيير اليومي مُلفت للانتباه، ولا يُمكن لأيِّ شيء إثـارة الاضـطراب ، لأنَّ نُـوري عجوز ومُتعب ومريض، ومع ذلك؛ فقـد شـتَّت ـ خـلال فـترة أسـابيع ـ مُعارضـيه، وأَسْكَتَ أفـواه خُـصُومه، بـل قـد فعـل الكثـير، دُون أنْ يفـرض الأحكـام العُرْفيَّـة. وأضاف تروتبيك أنَّ منهجه لا يُماثل ـ بالطّبع ـ ما يدَّعيه ليبراليُّو القرن التّاسـع عـشر، وأشكّ أنَّ الصّيحة ستظهر قريباً، داعية لأنْ يُصبح العراق دولة فاشـستيَّة. مـع ذلـك؛ أنا مُقتنع ـ تماماً ـ أنَّ وُجُود حُكُومة قويَّة هُو أمر جوهري في العراق، ولم أُخـف وُجهـة نظري أثناء النّقاش حول الوَضْع الرّاهن مع الزُّوَّار العراقيّيْن[2].

وحينما بدأت الحملة الانتخابيَّة قاطعها الحزب الوطني الدّيمقراطي بزعامـة الجادرجي، وفعل صالح جبر الشّيء نفسه، إثـر إخفاقـه بالوُصُـول إلى اتِّفـاق مـع نُوري. وخلال الحملة تعطَّلت عشرون صحيفة ومجلَّة، وعلَّقـت الجبهـة الـشّعبيَّة المُتَّحدة نشاطاتها، وأُعلنت ثلاثة مراسيم تُعطي فيها الحُكُومة لنفسها الحقَّ بتجريد أيِّ عراقيٍّ من جنسيَّته إذا ما تأكَّدت مـن عملـه ضـدَّ مـصالح الـبلاد، وسـحبت إجازة الحزب الوطني الدّيمقراطي، وفي الوقت عينه؛ صدر إجـراء خطـير يقـضي

(1) Troutbeck to Fo, 11.9.1954 , Fo 371/110791

(2) Troutbeck to Eden , 3.9.1954 , Fo 371/110991

بالتّعاون على أساس الاتّفاق رَسْمياً بين الشّرطة العراقيّة والشّرطة البريطانيّة بهدف التّضييق على الطّلَبَة العراقيّيْن الوطنيّيْن الدّارسين في بريطانيا، وتَمَّ الاتّفاق بينهما - أيضاً - على عدم تمديد إجازة إقامتهم في لندن[1]. إنَّ سياسة القهر التي مارستها الحُكُومة العراقيّة كانت تُنفَّذ باسم مُحاربة الشُّيُوعيّيْن ، لكنْ؛ في الحقيقة - وكما كتب تروتبيك - إنَّ كلمة شُيُوعي كانت تُستخدَم ضدَّ كُلِّ الذين يُعارضون حُكُومة نُوري مهما كان اتّجاههم[2].

في 13 أيلول؛ جرت الانتخابات بسلام، ولم يُواجه 133 نائباً أيّة مُعارضة تُذكَر، وشُكِّلت وزارة جديدة يرأسها نُوري، ضمَّت الأغلبيّة منها وُزراء مُوالين لنُوري، وافتتح الملك أعمال الوزارة الجديدة. وعلى صعيد السّياسة الخارجيّة؛ تضمَّن البيان الذي صَدَرَ عن البلاط نفس الخُطُوط التي سارت عليها حُكُومة نُوري ، بمعنى آخر؛ فتحت الطّريق أمام ترتيبات الدّفاع مع بريطانيا وإقامة الأحلاف، كانت بريطانيا مسرورة لأنَّ نُوري عاد - ثانية - إلى السُّلطة، لكنَّها كانت تخشى من نُوري، الذي أوجد لها أعداء كثيرين، ليس - فقط - بين صُفُوف المُتطرِّفين الذين لن يقتنعوا أبداً حتّى يُزيحوا النّظام بأكمله، والتّاج، وكُلَّ شيء، بل - أيضاً - بين صُفُوف السّياسيّيْن الذين أُلغيت أحزابهم، ولم يستثمر خدماتهم. سبب آخر كان وراء خشية بريطانيا هُو أنَّ عدم الرّضا في العراق كان - دائماً - أمراً مُخفيّاً، وأنَّ ظُهُور أيِّ قائد ثوري نشط يتوفَّر أمامه العُنصُر البشري الذي يُساعده في فعله سيكون بمُستطاعه قلب الأوضاع رأساً على عقب[3].في نهاية عام 1954،

---

(1) Troutbeck to Eden, 20.10.1954, Fo 371/110992.

(2) Troutbeck to Eden, 6.10.1954, Fo 371/110992.

(3) Troutbeck to Eden, 16.12.1954 , Fo 371/ 110993.

انتهت مهمَّة تروتبيك السّفير البريطاني في بغداد، وخلفه في منصبه السِّير مايكل رايت، وفي 3 كانون الثّاني من عام 1955، قام نُوري السّعيد بقطع العلاقات الدِّبلوماسيَّة مع الاتِّحاد السُّوفيتي ، وفي 6 كانون الثّاني؛ اتَّفق مع رئيس الحُكُومة التُّركيَّة عدنان مُندريس الذي زار العراق على قيام البلدَيْن بعقد اتِّفاق دفاع مُشترك، على أنْ يكون مفتوحاً لبقيَّة الدُّوَل الصّديقة، ونُواة لتشكيل مُنظَّمة للدّفاع عن منطقة الشّرق الأوسط، وكان ـ في وقت سابق ـ قد ناقش المشروع مع صلاح سالم مبعوث الحُكُومة المصريَّة في مصيف سرسنك العراقي، ثُمَّ مع الرّئيس المصري جمال عبد النّاصر في القاهرة، في أيلول، من عام 1954 ، وأكَّد له المصريُّون، وكذلك بقيَّة العَرَب، بأنَّهم لن يُعارضوه في هذا المشروع، وعندما بدأت المُفاوضات بين الحُكُومتَيْن التُّركيَّة والعراقيَّة لم يكن كلا الطَّرَفَيْن يعرف ماذا يجب أنْ يتضمَّن الاتِّفاق ، لكنَّ الحُكُومة البريطانيَّة كانت مُتلهِّفة لأنْ تجد في الاتِّفاق الجديد ليس ـ فقط ـ ما يضمن انضمام بقيَّة الدُّوَل الصّديقة، وإنَّما ما يُؤدِّي إلى عقد اتِّفاق خاصّ بين بريطانيا والمُوقِّعين؛ بحيثُ تُفضي لعقد اتِّفاق بين بريطانيا والعراق يحِلُّ محلَّ مُعاهدة 1930 . وخلال ذلك؛ استشار نُوري ورئيس الحُكُومة التُّركيَّة ـ بشكل سرِّيٍّ ـ السّفير البريطاني في بغداد كيفيَّة تقديم المُساعدة لهما، ولعب دور الوسيط بينهما، ولضمان إدخال بُنُود جديدة على الاتِّفاق الذي تكون بريطانيا بحاجة إليه. وفي 24 شباط 1955، تَمَّ التّوقيع على الاتِّفاق، وحصل علي مُوافقة البرلمان العراقي، وقد ألزم نُوري نفسه أمام البرلمان أنْ يقوم بإيجاد حلٍّ لموضوع مُعاهدة 1930، أو استبدالها باتِّفاق جديد. ثُمَّ أجرى مُحادثات مُكثَّفة مع الحُكُومة البريطانيَّة ما بين 26 شُباط وحتَّى 3 نيسان ، انتهت المُحادثات بالتّوقيع على الاتِّفاق الخاصّ بينهما في 4 نيسان، الذي جاء تحت ظلٍّ

حلف بغداد، و في ضوء هذا الاتّفاق، أصبح العراق مُسيطراً على قاعدتَيْ الحبانيَّة والشّعيبة الجوِّيَّتَيْن. لقد حاولت تُركيا وإيران جاهدَتَيْن لانضمام دُول أُخرى للحلف من دُول منطقة الشّرق الأوسط، ففي 23 أيلول انضمَّت باكستان، وفي 3 تشرين الثّاني انضمَّت إيران، ورحَّب نُوري بحرارة بقرار الولايات المُتّحدة الأمريكيَّة عزمها على المُشاركة بصفة مُراقب في مجلس الحلف. وفي اجتماعات مُؤتمر مجلس الحلف التي عُقدت في بغداد، تقرَّر أنْ تكون بغداد مقرّاً للحلف، وتشكيل لجنة عسكريَّة، وأُخرى اقتصاديَّة، ولجنة دائميَّة، تضمُّ سُفراء الدُّوَل الأعضاء. لقد أدَّت خُطَّة تأسيس الحلف إلى تصاعد العداء بين العراق والسُّعُوديَّة؛ بسبب غَيْرة آل سُعُود من البيت الهاشمي الحاكم في بغداد، وصُرفت مبالغ سُعُوديَّة كثيرة في أغلب دُول الشّرق الأوسط لرشوة الشَّخصيَّات السّياسيَّة والحُكُومات، بهدف مُعارضة الحُكُومة العراقيَّة. كما قامت مصر بنفس الموقف العدائي، رغم أنَّ نُوري بذل الكثير من الجُهُود لتحسين العلاقة معها[1].

وأصبح نُوري مُقتنعاً أنَّ جمال عبد النّاصر سلَّم نفسه للرُّوس الشُّيُوعيِّين، وأنَّ التّفسير الأكيد لذلك هي الهجمات المُتكرِّرة من حُكُومة ناصر على العراق وحلف بغداد، وتحريضها الشّعب العراقي على الثّورة ضدَّ نُوري وعبد الإله. وفي نهاية تشرين الأوّل 1956، تقدَّمت العلاقات بين العراق وبريطانيا، وتعمَّقت بشكل أكبر، ويعكس ذلك التَّقدُّم زيارة الملك فيصل الثّاني بصُحبة وليِّ العهد عبد الإله ومعه نُوري السّعيد إلى لندن في تمُّوز، وقبل أنْ تنتهي الزّيارة، أعلن عبد النّاصر بأنّه نتيجة لسحب الولايات المُتّحدة وبريطانيا المُساعدة بتحويل مشروع سدِّ أسوان يُعلن تأميم قناة السُّويس[2].

Mr. Rieght to slwen loughd, 30.12.1955.(1)

Mr. Rieght to Loughd , 8.2.1957, Fo 371/110994.(2)

الفصل الثّالث:

أزمة السّويس والتّحالف البريطاني ـ العراقي وإجراءات نُوري السّعيد

كانت سياسة الرّئيس المصري جمال عبد النّاصر القومي الهادفة لتحرير الأُمّة العَرَبيَّة من السّيطرة الأجنبيَّة، ومُحاربته لسياسة الأحلاف التي كانت تُروِّجها الأنظمة المُرتبطة بالغرب في المنطقة، وبالذّات؛ حلف بغداد قد أثارت الأطراف التّالية :

أوّلاً : حُكّام المنطقة العَرَبيَّة المُرتبطين بالنُّفُوذ الغربي.

ثانياً: العالم الغربي، وبالمُقدّمة منهم، حُكُومة بريطانيا صاحبة النُّفُوذ الكبير في منطقة الشّرق الأوسط، ممّا وضعه في صراع مُباشر مع بريطانيا والنّظام الملكي معاً، ثُمَّ تصاعد الصّراع بعد لجُوء عبد النّاصر إلى المعسكر الاشتراكي لتأمين حاجاته العسكريَّة لجيشه من خلال صفقة السّلاح التّشيكيَّة عام 1955 . وبات واضحاً لديها أنَّ استمرار عبد النّاصر بسياسته تلك سيُحرج وَضْعها في المنطقة، ووقفت إلى جانبهم دُول حلف بغداد (إيران ـ تُركيا ـ باكستان ـ ومن ثمَّ؛ الولايات المُتّحدة الأمريكيَّة) [1]، وشعرت بريطانيا ومعها النّظام الملكي العراقي أنَّ عبد النّاصر كان وراء قرار الحُكُومة الأُردنيَّة المُفاجئ بإبعاد قائد جيشها ورئيس أركان الجيش الأُردني الضّابط البريطاني الجنرال كلوب باشا، لذلك لم يكن مُستغرباً أنْ يُطلق رئيس الوُزراء البريطاني السّير انتوني آيدن على عبد النّاصر لقب مُوسليني الجديد، ومن ثمَّ يصيح وهُو في حالة انفعالة شديدة

---

(1) مُحَمَّد حمدي الجعفري: بريطانيا والعراق حقبة من الصّراع 1914 ـ 1958، مصدر سابق، ص 200 .

(إمّا أنا، أو هُو) ويقصد عبد النّاصر، وقد شاطراه في الغضب الأمير عبد الإله ونُوري السّعيد فكلاهما كان خائفاً على مُستقبله، ومُستقبل النّظام في العراق[1].

لقد عجّلت الأحداث التي أدّت إلى تصادم عبد النّاصر مع الغرب إلى وُقُوع مُواجهة مُسلّحة، فقد كان عبد النّاصر يسعى لبناء السَّدِّ العالي، ويحتاج إلى تمويل مالي، تعهّدت الولايات المُتّحدة الأمريكيّة وبريطانيا والبنك الدّوليّ بتقديمه، إلاّ أنّهما نكلتا بالتّعهُّد تحت تبرير أنَّ ذلك التّمويل المالي سيُحمّل الحُكُومة المصريّة مبالغ طائلة، ليست بمُستطاعتها الإيفاء بها، وأنَّ ذلك سيُضيف عبئاً كبيراً على الشّعب المصري، وكانت الدّولتان تهدفان ـ من وراء ذلك الغرض ـ لِفَرْض شُرُوط سياسيّة على الرّئيس عبد النّاصر، لكنّهما أُصيبتا بخيبة أمل عندما لم يحصل ما كانتا تُريدانه، لا، بل إنَّ عبد النّاصر قابلها بردٍّ مُفاجئ وعنيف عندما أعلن في 26 تمُّوز 1956، عن تأميم شركة قناة السُّويس، التي تُديرها الشّركات الأجنبيّة، ومن بينها شركات بريطانيّة وفرنسيّة[2]. وقد لقي القرار تأييداً شعبيّاً كبيراً على الصّعيد العَرَبي، وكان الشّعب العراقي مُؤيِّداً لخُطوة عبد النّاصر، غير أنَّ نُوري السّعيد وقف موقفاً مُعادياً من القرار، وسارع يحثُّ الدُّوَل الغربيّة لمُهاجمته عسكريّاً، وإسقاط نظامه، واعتبر تصرُّفه إخلالاً بالاتّفاقيّات الدّوليّة[3]. وعندما كان عبد النّاصر يُلقي خطاب التّأميم في 26 تمُّوز بميدان المنشيّة بالإسكندريّة، وكان آيدن يتناول العشاء في دوانج ستريت، مقرّ رئيس الحُكُومة البريطانيّة، مع الملك فيصل ونُوري السّعيد والأمير عبد الإله، وكان آيدن قد دعا إلى العشاء

---

(1) د. مُؤيِّد إبراهيم الونداوي: وثائق ثورة تمُّوز 1958، في الوثائق البريطانيّة، بغداد، 1990، ص 14 ـ 15.

(2) حمروش: قصّة ثورة يُوليُو، ج 2، المُؤسّسة العَرَبيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1، 1977، ص 83. ص94.

(3) مُحمّد مهدي كبة: مُذكّراتي في صميم الأحداث، 1918 ـ 1958، دار الطّليعة، بيروت، 1965، ص 368.

عدداً من كبار وُزرائه؛ من بينهم اللُّورد (سالزبوري)، واللُّورد (هيوم) و (سلوين لويد)؛ إذْ كان الوفد العراقي في زيارة رَسْميَّة لبريطانيا، ووصل خبر التّأميم إلى آيدن من سكرتيره الشّخصي، فقام الأخير بإبلاغ الخبر إلى ضُيُوفه[1]. كانت جلسة العشاء فُرصة للجانبَيْن العراقي والبريطاني أنْ يتدارسا كيفيَّة الرَّدِّ على عبد النّاصر، فعُقدت مُحادثات بينهما أُبعد عنها الملك فيصل، واقتصرت على الأمير عبد الإله وليّ العهد ونُوري السّعيد[2].

عندما اجتمع الجانبان العراقي والبريطاني كانا مُصمِّمَيْن على منع عبد النّاصر من الظَّفَر بأيِّ نجاح من وراء هذه الخُطوة، لأنَّ ذلك سيقلب خُططهما وأهدافهما ـ التي عملا طويلاً من أجلها ـ رأساً على عقب. لذلك؛ اتَّفقا على مُقابلة خُطوته تلك بالقُوَّة، ولابُدَّ من إلحاق الهزيمة به، قبل أنْ يستفحل أمره، ويُهدِّد مصالحهما، ويُزعزع أركان النّظام في بغداد، وبهذا الصّدد؛ يُشير آيدن حول ما دار بينهما في الاجتماع، الذي خُصِّص لمُناقشة القرار، الذي اتَّخذه عبد النّاصر، فقد (رأوا فيه ـ بوُضُوح ـ قلباً لكُلِّ الاتِّجاهات والأفكار والآمال التي كُنَّا نتحدَّث فيها)، وأدركوا ـ على الفور ـ أنَّ الكثير يتوقَّف على الهزيمة، التي سيُقابَل بها هذا التَّحدِّي[3].

بدأ آيدن تحرُّكه على أساس استخدام القُوَّة ضدَّ عبد النّاصر، فاتَّصل برقيّاً بالرّئيس الأمريكي دوايت ايزينهاور في اليوم التالي لصُدُور قرار التّأميم، وأوضح له أنَّ الضّغط السّياسي والاقتصادي وحدهما لا يكفيان لرَدْع عبد النّاصر، ولابُدَّ من استخدام القُوَّة، ومن جانبه؛ فقد أرسل الرّئيس الأمريكي مبعوثه رُوبرت

---

(1) حروش : قصّة ثورة 23 يُوليُو، مصدر سابق، ص 94. كذلك : مُحَمَّد حسنين هيكل، ملفّات السُّويس، مصدر سابق، ص 469.
(2) الونداوي، د. مُؤيَّد إبراهيم : وثائق ثورة تمُّوز 1958، مصدر سابق، ص 15.
(3) أنتوني آيدن، المُذكّرات، بيروت، لُبنان، ص 2324.

مُورفي وكيل وزير الخارجيَّة الأمريكي (Robert Morvy) إلى لندن، وقبل أنْ يطير مُورفي إلى لندن؛ سلَّمه ايزونهاور تعليمات، وطلب منه ما يلي:

- أنْ يُعطل الوُصُول إلى أيَّة قرارات قبل أنْ يصل إلى لندن وزير الخارجيَّة (دالاس).

- أنْ يُبلِّغ (آيدن) بعدم الانسياق وراء هذه الهستريا، التي تبدو في التَّصرُّفات البريطانيَّة، فالصُّحُف ووكالات الأنباء والإذاعات ملاىٔ بأخبار صادرة من لندن عن استعدادات عسكريَّة، وعن خُطط، وعن نوايا، ومثل هذا المُناخ سوف يُؤثِّر سلبيَّاً ومُسبقاً على أيَّة قرارات قد نتوصَّل إليها.

- لا ينبغي لأنْ يبدو أيُّ عمل نُقرِّر القيام به وكأنَّه تجمُّع عُدواني من (نادي الثَّلاثة الكبار) ضدَّ ناصر، وبمعنى أصحّ، فإنَّه لا يصحُّ أنْ نتصرَّف وحدنا في الأمر نحنُ الثَّلاثة.

- أنْ يُحذِّر الفرنسيَّيْن من مُحاولة الخَلْط بين استيلاء ناصر على القناة وبين الصّراع العَرَبي - الإسرائيلي.

- لكي تتمكَّن من الوقت بسُهُولة، فَلَكَ أنْ تنقل لهم عنِّي اقتراحاً بدعوة كُلّ الدُّوَل البَحْريَّة التي يهمُّها أمر القناة إلى مُؤتمر مُوسَّع لدراسة مُستقبل القناة[1].

وبعد أنْ طار مُورفي إلى لندن، سافر - بعده - وزير الخارجيَّة (دالاس). أمَّا الحُكُومة البريطانيَّة؛ فقد أُرسلت برقيَّة احتجاج إلى الحُكُومة المصريَّة، مُعتبرة تصرُّف عبد النّاصر بمثابة استيلاء على قناة السُّويس[2]. أمَّا الحُكُومة العراقيَّة

(1) هيكل، مُحَمَّد حسنين، ملفَّات السُّويس، مصدر سابق، ص 476 - 477.

(2) حمروش: قصَّة ثورة 23 تمُّوز، ج2، مصدر سابق، ص 94 - 95.

التي كانت من أكثر الحُكُومات العَرَبيَّة تشدُّداً إزاء قرار التّأميم؛ فقد أبدت استعدادها على لسان رئيس الوُزراء نُوري السّعيد لتيسير حُصُول بريطانيا على تسهيلات عسكريَّة لقُوَّاتها في ليبيا، لتكون نُقطة انطلاق لُمهاجمة مصر، وتَمَّ الاتِّفاق مع الجانب البريطاني على إرسال وزير الخارجيَّة العراقي د. فاضل الجمالي إلى ليبيا لُمقابلة الملك إدريس حول هذا الموضوع. لقد شدَّد نُوري السّعيد على ضرورة تأديب عبد النّاصر بسُرعة، وخلال أسابيع. وبدأ يُحرِّض بريطانيا ضدَّ عبد النّاصر، خُصُوصاً بعد عودته إلى بغداد، فقد طلب من السّفير البريطاني في بغداد - في اجتماعه الذي ضمَّهما - أنْ تقوم حُكُومته بأعمال استفزازيَّة ضدَّ عبد النّاصر، وأوضح له أنَّ إرسال باخرة مُحمَّلة بالأسلحة للعراق عبر قناة السُّويس ستكون فُرصة لقيام الحُكُومات المصريَّة بمُضايقات ضدَّ الباخرة، وعند ذلك؛ سيكون الأمر مُبرِّراً لضَرْب عبد النّاصر[1]، كما أنَّه طلب استبعاد الصّهاينة من المُشاركة بالعمليَّة؛ لأنَّ هذه المُشاركة تستفزُّ العَرَب، أمَّا بريطانيا؛ فلم يكن لديها القُدرة على القيام بعمل عسكري سريع، فضلاً عن ذلك فإنَّ الرّئيس الأمريكي لم يُظهر تعاوناً مع الحُكُومة البريطانيَّة، لذلك؛ بدأ الحلُّ الدُّبلوماسي يظهر للعيان، غير أنَّ بريطانيا وفرنسا لم تتخلَّيا عن الحلِّ العسكري[2].

تقرَّر الدّعوة لعقد مُؤتمر من الدُّوَل البَحْريَّة يوم 16 آب، وتَمَّ تحديد هذه الدُّوَل، وبالذّات التي وقَّعت على مُعاهدة القسطنطينيَّة، غير أنَّ مصر واليُونان اعتذرتا عن الحُضُور، ومع انعقاد المُؤتمر في لندن، أضرب ثمانون مليوناً من العَرَب تأييداً لحقِّ مصر، وفي 22 آب؛ انتهى المُؤتمر إلى قرارات تُؤكِّد على مبدأ

---

(1) الونداوي: وثائق ثورة 14 تمُّوز، مصدر سابق، ص 17.

(2) الونداوي: المصدر السّابق أعلاه.

الإشراف الدّوليّ، والاعتراف بحقّ السّيادة المصريّة على القناة، مع ضمان دخل عادل مُقابل استخدام القناة إلى لجنة تضمُّ مصر وعدداً من الدُّوَل تختارها الدُّوَل المُوقّعة على الاتّفاقيّة، إلاّ أنّ القرار رُفِضَ من قبَل الاتّحاد السُّوفيتي والهند وأندونيسيا وسيلان، واقترحوا تشكيل هيئة استشاريّة بحتة، ليس لها أيّ سُلطة على إدارة القناة. وبناء على بيان الدُّوَل الثّمانية عشر بإرسال لجنة تعرض الأمر على جمال عبد النّاصر. وقد ترأس اللّجنة رئيس وُزراء أستراليا رُوبرت منزيس، ومعه وُزراء خارجيّة إيران وأثيوبيا والسُّويد، ومُمثّل عن الولايات المُتّحدة الأمريكيّة لوي هندرسون، وعند لقائها ناصراً، رفض ـ بشدّة ـ فكرة الإشراف الدّوليّ، ثُمَّ جرت مُحاولات أُخرى فشلت أيضاً. وفي تلك الفترة؛ بدأ الموقف الأمريكي يتغيَّر، عندما بدأت تُنادي بتكوين جمعيّة للمُنتفعين. ثُمَّ إنَّ الموقف السُّوفيتي كان حازماً عندما عُرضت المُشكلة أمام مجلس الأمن. ورغم أنّ النّشاطات الدّبلُوماسيّة في أروقة مجلس الأمن حقّقت تقدُّماً جيِّداً، إلاّ أنّ بريطانيا وفرنسا كانتا تُعدّان العُدَّة للقيام بعمل عسكري كبير ضدَّ مصر، بمُشاركة إسرائيل[1].

1- الاعتداء الثُّلاثي على مصر، وبداية السُّقُوط البريطاني:

في 29 تشرين الأوَّل؛ بدأ العُدوان على الأراضي المصريّة، بهُجُوم قامت به إسرائيل، بعد أنْ تلقَّت إمدادات عسكريّة من بريطانيا وفرنسا، ولغرض تبرير التّدخُّل العسكري، فقد تقدَّمت حُكُومتا بريطانيا وفرنسا بطلب إلى مصر وإسرائيل بسَحْب جُيُوشهما إلى مسافة عشرة أميال من قناة السُّويس، والسّماح لقُوّاتها بالدُّخُول إلى بُور سعيد، والإسكندريّة، والسُّويس. وفي حالة الرَّفْض؛

---

(1) حمروش: قصّة ثورة 23 يُوليُو، مصدر سابق، ج2، ص 96 ـ 99.

ستدخلها جُيُوش الدَّولتَيْن بـالقُوَّة خـلال اثنَتَـيْ عـشرة سـاعة، غـير أنَّ مـصر رفـضت الطّلـب، وحـذَّرتها مـن مغبَّـة التَّـورُّط في مثـل هـذا العمـل، فهاجمـت الطّائرات البريطانيَّة باخرةً مصريَّة في قناة الـسُّويس، فعطَّلـت الملاحـة فيهـا ، ثُـمَّ تبعتها الجُيُوش الفرنسيَّة والبريطانيَّة و الإسرائيليَّة بهُجُوم شامل على المُدُن المصريَّة في الجوِّ والبحر، أمّا الحُكُومة المصريَّة؛ فقد سحبت جُيُوشها من سيناء؛ لتُقاتـل في بُور سعيد قتالاً عنيفاً[1].

لقد جاء الهُجُوم الإسرائيلي بعد أنْ توصَّـلت الأطـراف الثّلاثـة المُعتديـة في مُنتصف شهر تشرين أوَّل إلى اتِّفاق على شَنِّ العُدوان ضدَّ مصر، عقب اجتماعات مُطوَّلة سرِّيَّة، عُقد في (فيلا سيفر) الواقعة في ضواحي العاصمة الفرنسيَّة بباريس، أمّا المستر (آيدن)؛ ولغرض تهدئة حال حُلفائه في العراق، وخُصُوصاً الأمـير عبـد الإله ونُوري السّعيد من مُشاركة الإسرائيليِّيْن في الاعتداء على مصر، فقد أبلغهـما ببرقيَّة مُستعجلة أنَّ ذهاب القُوّات البريطانيَّة إلى مصر هُو بهدف حماية القاهرة من الهُجُوم التي تقوم به القُوّات الإسرائيليَّة نحو العاصمة المصريَّة[2].

كان الغزو البريطاني ـ الفرنسي ـ الإسرائيلي لـلأراضي المـصريَّة مُنـذُ بدايتـه يُشكِّل سُقُوطاً كبيراً لأطرافه، فقد لقي مُعارضة شديدة في أوسـاط الـرّأي العـامّ العالمي، وفي المحافل الدّوليَّة، وفي أروقة الأُمم المُتَّحدة؛ كـان العمـل يُنـاقَش عـلى مُستوى واسع ، ففي يوم 4 تشرين الثّاني 1956، وقف المندوب الأمريكي الـدّائم في وكالة الأُمم المُتَّحدة يُطالب بأعلى صوته في الجمعيَّـة العامَّـة بانـسحاب قُـوّات الدُّوَل الثّلاث المُعتدية، ومعهُ تيّار قويّ واسع في الجمعيَّة العامَّة تتـصدَّره مجموعـة

---

(1) الحسني : الوزارات ، ج10 ، مصدر سابق ، ص 94.

(2) الونداوي : وثائق ثورة 14 تمُّوز 1958، مصدر سابق ، ص17-18.

الدُّوَل الآسيويَّة والأفريقيَّة مُؤيِّدة الدّعوة لإيقاف العُدوان، وسحب الجُيُوش المُعتدية[1]. أمّا الاتّحاد السُّوفيتي؛ فقد تقدَّم بإنذاره الشّهير في 5 تشرين الثّاني ضدَّ الدُّوَل المُعتدية، مُحذِّراً من مخاطر قيام حرب عالمية ثالثة إنْ هي لم تسحب قُوَّاتها العسكريَّة من الأراضي المصريَّة[2]. وصل خطاب الإنذار إلى آيدن رئيس وُزراء بريطانيا ومُوليه رئيس وُزراء فرنسا في 5 تشرين الثّاني، وأثار فزعاً عالميّاً، وفي صباح اليوم التّالي؛ اجتمع مجلس الوُزراء البريطاني، وقرَّر وقف إطلاق النّار[3]. وفي سُوريا؛ قام ضُبَّاط الاستخبارات السُّوريَّة، وبتوجيه من المُقدَّم عبد الحميد السَّرَّاج، مسؤول الشُّعبة الثّانية، الذي دعا أحد ضُبَّاط الهندسة المُقدَّم هيثم الأيُّوبي، وكلَّفه بنَسْف محطَّات ضخِّ أنابيب النّفط المارَّة من العراق عبر الأراضي السُّوريَّة إلى البحر الأبيض المُتوسِّط، فتوقَّف نفط الشّرق الأوسط إلى بريطانيا وأوروبا الغربيَّة[4].

أمّا في العراق، وتحت تحريض من إذاعة القاهرة؛ اندلعت التّظاهرات ضدَّ الحُكُومة العراقيَّة المُؤيِّدة لدُول العُدوان، وضدَّ دُول العُدوان نفسها، واجتاحت التّظاهرات شوارع بغداد، وامتدَّت إلى مُدُن العراق الأُخرى في المُوصل، والنّجف، والبصرة، وغيرها، وأعلنت الحُكُومةُ الأحكامَ العُرفيَّةَ، وهيَّأت الحُكُومة قُوَّات من الجيش لإنزالها إلى الشّوارع لإيقاف المُظاهرات، وكان موقف نُوري السّعيد صارماً جدّاً، وكذلك رئيس أركان الجيش[5]. أمّا السّفارة

---

(1) هيكل، محمّد حسنين: سنوات الغليان، حرب الثّلاثين عاماً 1967، مركز الأهرام للتّرجمة، ج1، 1988، ص 82.

(2) الحسني : الوزارات، ج10، مصدر سابق، ص 95.

(3) حروش : قصّة ثورة 23 يُوليُو، مصدر سابق، ص 115.

(4) هيكل : ملفّات السُّويس، مصدر سابق، ص 549.

(5) د. مُؤيِّد إبراهيم الونداوي : العراق في التّقارير السّنويَّة للسّفارة البريطانيَّة 1944 ـ 1958، دار الشُّؤون الثّقافيَّة، بغداد، 1992، ص 230.

البريطانيَّة في بغداد؛ فقد شعرت بـالخطر الـذي يُهـدِّد النّظـام في العـراق، فأرسـل السِّير مايكل رايت السّفير البريطاني ببغداد تقريراً إلى المستر آيدن يقول فيه: (إنَّـه ما لم يتوقَّف الهُجُوم على مصر بسُرعة، فلن تكون هُناك قُوَّة في الأرض قـادرة عـلى حماية نظام نُوري السّعيد في بغداد؛ لأنَّ مشاعر الشّعب العراقي كُلّها في حالة نقمة ضدَّ بريطانيا،لم يرَ ظاهرة مثلها من قبلُ في تجربته الدّبلُوماسيَّة)[1].

أمّا نُوري السّعيد؛ فقد وجد أنَّ إذاعة صـوت العَـرَب التـي تبـثُّ براجمهـا مـن القاهرة أخذت تُؤثِّر في أوساط الجماهير في العـراق ، فطلـب رَسْـميَّاً مـن بريطانيـا أنْ تُوجِّه ضربة لهذه الإذاعة لغرض إسكاتها[2]. غير أنَّه بعد انكشاف تواطؤ بريطانيـا مـع إسرائيل ضدَّ دولة عَرَبيَّة إسلاميَّة وتحت ضـغط الموقـف الـشّعبي الدّاخلـي والعَـرَبي الذي يشجـب هذا التّواطـؤ اضطرَّت حُكُومة نُوري السّعيد لإصـدار بيـان رَسْمـي تُعلـن فيـه وُقُوفهـا إلى جانـب حُكُومـة مـصر بالـدّفاع عـن كرامتهـا وسـيادتها واسـتقلالها[3].ونتيجـة للـضّغط الـدّولي، ولعـدم حُـصُول دُول العُـدوان عـلى تأييـد الولايات المتَّحدة في عُدوانها العسكري ، إضافة للتّهديد السُّوفيتي ضـدَّ دُول العُـدوان تقرَّر وقف إطلاق النّار، وانسحاب القُوّات المُعتدية مـن الأراضي المـصريَّة. وفي نهايـة الأُسبوع الأوَّل، من تشرين الثّاني 1956 ، ساد وقف إطلاق النّـار في كافَّـة الجبهـات. وُفقاً لقرارات الجمعيَّة العامَّة للأُمم المتَّحدة[4]. وفي شهر كـانون الأوَّل 1956، بـدأت القُوّات المُعتدية تنسحب من الأراضي المصريَّة ، وفي 22 منه انـسحب آخـر فـوج مـن القُوّات المُعتدية، أمّا إسرائيل؛ فقد انسحبت قُوَّاتها في 14 كانون الثّاني 1957 .[5]

---

(1) هيكل : ملفَّات السُّويس ، مصدر سابق ، ص 546.
(2) الونداوي : وثائق ثورة 14 تمُّوز، مصدر سابق ، ص 17 .
(3) الحسني : الوزارات ، ج10 ، مصدر سابق ، ص 97.
(4) هيكل : ملفَّات السُّويس ، مصدر سابق ، ص 568.
(5) حروش : قصَّة ثورة 23 يُوليُو، ج2 ، مصدر سابق ، ص 118.

وعندما وقع الاعتداء الثُّلاثي على مصر عام 1956، تـأثَّرت العلاقـة سـلباً بين العراق وبريطانيا، وضعف التّأثير البريطاني عـلى الحُكُومـة العراقيَّـة والـبلاط الملكي، حتَّى إنَّ السّاسة العراقيِّيْن بـاتوا لا يـتردَّدون عـلى الـسِّفارة البريطانيَّـة في بغداد كما جرت العادة، وتوقَّفت أعمال القُنصُليَّة البريطانيَّة، وشعر المُوظَّفون فيها أنَّ العلاقة المتينة، التي توطَّدت طيلة رُبع قرن مضت بين البلـدَيْن، بـدت وكأنَّهـا ذهبت سُدى. وبدا أنَّ هُناك مُقاطعة لكُلِّ ما هُو بريطاني ببغـداد، فاستُغلَّت هـذه الحالة من الأمريكـان في العـراق، الـذين وطَّـدوا علاقـاتهم، وراحـوا يفرضـون وُجُودهم على العـراقيِّيْن، ويتبـاهون في الوقـت نفـسه، وخاصَّـة رجـال الأعـمال الأمريكان. إنَّ ذلك يُعطي انطباعاً أنَّ هُناك رغبة أمريكيَّة بخُرُوج البريطانيِّيْن مـن الشّرق الأوسط؛ ليحلُّوا محلَّهم، وأنَّهم سُعداء بالوَضْع الجديـد، الـذي قدَّمـه لهُـم البريطانيُّون على طَبَق من ذَهَب. لقد وضعت هـذه الحالـةُ البريطـانيِّيْن في حـرج، وأصبحت مهمَّتهم صعبة في العراق؛ إذْ ظهرت آراء في الأوساط السّياسيَّة تقول: إنَّ العلاقة بين البلاط والحُكُومة العراقيَّة من جهة، وبريطانيـا مـن جهـة أُخـرى، ظهر عليها الاهتزاز، وعدم الثّقة، حتَّى إنَّ مُشاركة بريطانيا عُلِّقَـتْ في اجتماعـات حلف بغداد. ومن جهة أُخرى؛ حـاول نُـوري مـراراً إدخـال أمريكـا في الحلـف كعُضو كامل العُضويَّة لتقوية مركزه السّياسي، ومركـز بـلاده، وكـذلك الحلـف. وما زيارة الملك فيصل الثّاني إلى أمريكا في 16 كانون الثّاني من عـام 1957، التـي استمرَّت شهرَيْن إلاَّ تعبيراً عن ذلك. وفي غيابـه؛ أمـسك نُـوري بالـسُّلطة بقُـوَّة، وفرض الاستقرار والأمن في البلاد، ولم يسمح لأيَّـة جهـة بإقامـة المُظـاهرات، أو إثارة الاضطرابات، غير أنَّ أهمَّ مُشكلة واجهت الحُكُومة كانت قلَّة الموارد التـي جاءت نتيجة لتوقُّف ضخِّ النّفط عبر سُوريا؛ بسبب التّخريب الـذي أصـابه، ممَّـا

أثَّر على خُطط مجلس الإعمار والمُؤسَّسات الحُكوميَّة الأُخرى، لكنْ؛ في الأسابيع الأُولى من عام 1957، طرأ تحسُّن على العلاقة بين بريطانيا والعراق، خاصَّة بعد تقديم شركة نفط العراق قرضاً للحُكُومة العراقيَّة بحُدُود 25 مليون جنيه إسترليني؛ لإسعاف الميزانيَّة التي تأثَّرت بتخريب خطِّ النّفط المارّ عبر سُوريا، ثُمَّ المُساعدة التي قدَّمتها الحُكُومة البريطانيَّة المُتمثِّلة بصفقة طائرات هُوكر هنتر المُتطوِّرة كَهَديَّة إلى القُوَّة الجوِّيَّة العراقيَّة. وجاء إعلان الرّئيس الأمريكي دوايت ايزنهاور في 5 كانون الثّاني الذي دلَّ على استعداد أمريكا بإسناد حلف بغداد لمُواجهة الخطر الشُّيُوعي، وهُو بمثابة شُحنة قويَّة للحُكُومة العراقيَّة والبلاط، اللَّذَيْن كانا ينتظران هذا الخبر بفارغ الصّبر. وفي 6 آذار؛ سمحت الحُكُومة السُّوريَّة بضخِّ النّفط العراقي، في حين واصل عبد النّاصر نشاطه الثّوري ضدَّ العراق، وخُصُوصاً نشاط المُلحقين العسكريِّيْن في الخارج (في ليبيا، وبغداد، والخُرطوم)، التي أعقبتها مُحاولة الاعتداء على الملك سُعُود، والتّآمر لخَلْع الملك حُسين عاهل الأُردن. وهُو أمر صعب على البريطانيِّيْن السُّكُوت عليه، وكان نُوري يَعتبر الفعلَيْن الآخرَيْن من تحريض عبد النّاصر، التي يجب أنْ تُقابل بأفعال عنيفة مُماثلة. وفي حُزيران؛ أعلن نُوري السّعيد إطلاق سراح السّياسيِّيْن المُعارضين، وفي مجلس الإعمار؛ بدأت حركة واضحة يترأسها الدُّكتُور الجليلي، وبإسناد من نائب رئيس المجلس طه الهاشمي للاستغناء عن البريطانيِّيْن العاملين فيه. ورغم كُلِّ ذلك؛ فقد عادت العلاقة مع بريطانيا تتحسَّن من جديد خلال الأشهر الأخيرة، وتواصل الدَّعْم العسكري والاقتصادي البريطاني للعراق[1].

ومن جانب آخر؛ بات الرّئيس عبد النّاصر مصدر قلق للنّظام الملكي في العراق،

Baghdad to Fo, No. 181, 1041/8/57, 11.7.1957, Fo 371/ 128057. (1)

ولحُكُومة نُوري، ومُستقبله الشّخصي، فبات الأخير يُفكّر في كيفيّة التّصدّي للرّئيس عبد النّاصر، بعد أنْ أصبح قائداً يُؤثّر في الجماهير العَرَبيّة في مُختلف الوطن العَرَبي، وكانت الخارجيّة البريطانيّة تُشاطر نُوري السّعيد تفكيره، وبات همُّها الأوّل إسقاط عبد النّاصر، الذي سبَّب لها انتكاسة كبيرة في منطقة الشّرق الأوسط، لم يسبق لأحد أنْ تجرَّأ لمُواجهتها، أو حاول أنْ يتحدّاها ومَنْ فعل ذلك، فإنّه تعرَّض للمُطاردة والاعتقال، أو الإعدام، كما حدث لثُوّار مايس في العراق عام 1941، وقائدهم رشيد عالي الكيلاني، ويبدو أنَّ نُوري السّعيد استُشير بشأن هذه الفكرة؛ أيْ إسقاط عبد النّاصر، لكنّه نَصَحَ البريطانيّيْن بعدم إقحام فرنسا، وبالطّبع؛ إسرائيل، وفضَّل - بإلحاح - أنْ تتولّى الأمرَ بريطانيا وحدها[1].

2- إجراءات حكُومة نُوري السّعيد ومُناوراته خلال العُدوان الثُّلاثي:

ما كادت أنباء تأميم عبد النّاصر لقناة السُّويس تبلغ مسامع المسؤولين العراقيّيْن حتّى هبَّ البعض منهم، وفي المُقدّمة نُوري السّعيد، والأمير عبد الإله، لتحريض بريطانيا ضدَّ عبد النّاصر، وحثّها لضَرْبه؛ لأنَّ خُطوته تلك تُشكّل تحدّياً للمصالح البريطانيّة، ولأصدقائهم في المنطقة. وفي أوّل رَدّ فعل صَدَرَ عن المسؤولين العراقيّيْن حول قرار التّأميم كان من السَّيِّد توفيق المُختار رئيس اللّجنة العسكريّة في مجلس النُّوّاب العراقي. وقد نُشر في جريدة الحُرّيّة لصاحبها قاسم حمُّودي المعروفة بمواقفها الوطنيّة والقوميّة، واعتبر التّأميم حقّاً من حُقُوق الحُكُومة المصريّة، مُذكّراً إنكلترا نفسها بأنّها قد أمّمت المشاريع في بريطانيا، فلماذا هذه الضَّجّة؟. وحذَّر من أنَّ مصر والبلاد العَرَبيّة ستُفاجئ

(1) جريدة الحُرّيّة - الصّادرة بتاريخ 29 تمّوز 1956.

الغرب بقضايا مُهمَّة على حدِّ تصريحه، وكان تحذيره في محلِّه، وفيها يأتي نصُّ التّصريح:

(قام رجال الثّورة في مصر - بعد ثورتهم - بقضيَّتَيْن مُهمَّتَيْن: الأُولى قضيَّة السّلاح، وقضيَّة تأميم السّلاح، وهاتان القضيَّتان - بنَظَري - أهمُّ من الثّورة نفسها، وإنَّ تأميم قناة السُّويس هُو حقٌّ من حُقُوق مصر الطّبيعيَّة والدُّستُوريَّة ، كما أنَّ إنكلترا نفسها سَبَقَ لها أنْ أمّمت المشاريع في بريطانيا، ولم تحدث لها أيَّة ضجَّة كهذه الضَّجَّة الاستعماريَّة ضدَّ مصر العزيزة، وإنِّي آمل إذا استمرَّ الغرب بتطرُّفه لمُساعدة إسرائيل مُساعدات مفضوحة، فإنَّ مصر والبلاد العَرَبيَّة ستُفاجئ الغرب بقضايا مُهمَّة، وذلك لاضطرارها للدّفاع عن حُقُوقها، وبنفس الأسباب التي ذكرها الرّئيس جمال عبد النّاصر بخطابه الأخير عندما أمّم قناة السُّويس) وفي يوم 6 آب من عام 1956، أصدرت الحُكُومة العراقيَّة بياناً أوضحت فيه أنَّ خُطوة التّأميم التي أقدمت عليها الحُكُومة المصريَّة، وأفضت إلى خلاف بينها وبين الحُكُومات الغربيَّة ، يجب أنْ لا تُشغل العَرَب عن إسرائيل التي يراها العراق بأنَّها الخطر الأكبر. وقد أوضح البيان رغبة الحُكُومة العراقيَّة أنْ تسود الحكْمة الأطراف لإزالة الخلاف، وأنَّها ترى أنَّ التّأميم حقٌّ طبيعي للدُّول، وأنَّ الحُكُومة العراقيَّة التي يترأسها نُوري السّعيد قد عبَّرت بهذا التّصريح عن استهانتها بقرار التّأميم، وتحثُّ العَرَب على عدم انشغالهم به؛ لأنَّ إسرائيل هي أهمُّ من قضيَّة تأميم القناة. ويبدو أنَّ نُوري لا يعلم أنَّ التّأميم جُزء من عمليَّة التَّحرُّر الوطني، التي ستقود إلى تحرير فلسطين. وجاء في البيان التي أصدرتْهُ الحُكُومة العراقيَّة ما يلي:

(تابعت الحُكُومة العراقيَّة - باهتمام بالغ - التَّطوُّرات والمُلابسات السّياسيَّة التي رافقت قيام الحُكُومة المصريَّة بتأميم قناة السُّويس ، كما راقبت الحُكُومة

العراقيّة ـ بقلق زائد ـ نشاط إسرائيل بين الحُكُومات الغربيّة لاستغلال هذا الخلاف لصالحها. والعراق الذي يرى في إسرائيل الخطر الأكبر الذي يتهدّد العَرَب في مصيرهم كان ـ ولا يزال ـ يعمل على الحَدِّ من هذا الخطر، ولم يترك العراق فُرصة تمرُّ إلاَّ وأهاب بالعَرَب لينتبهوا إليه، وليعملوا على إفساد خُططها الرّاميّة إلى استغلال الموقف الحرج الرّاهن. ولهذا السّبب؛ فإنَّ اهتمام الرَّأي العامّ العَرَبي بموضوع هذا الخلاف يجب أنْ لا يشغله عن خطر إسرائيل، كما يجب أنْ لا يُمكِّنها من تحقيق مصالحها ومطامعها. إنَّ الحُكُومة العراقيّة ترى أنَّ التّأميم حقٌّ للدُّول أصبح مفروغاً منه، كما وأنَّها ترجو أنْ تسود الحكْمة لإزالة الخلاف، والحُكُومة العراقيّة؛ إذْ ترجو أنْ يتحقَّق ذلك، تُعلن أنَّها إلى جانب مصر فيما يضمن لها كرامتها وسيادتها واستقلالها.

والله وليّ التّوفيق

بغداد، 1 آب، 1956

(مُدير التّوجيه والإذاعة العامّة)[1]

ومن بيروت؛ بعث وزير الخارجيّة السَّيِّد توفيق السّويدي برقيّة إلى وزارة الخارجيّة العراقيّة، يُوضِّح فيها أنَّ إجراء عبد النّاصر قد يُؤدِّي إلى نتائج ضدَّ الدُّوَل العَرَبيّة لا يُحمد عُقباها. وذكر بأنَّ أيَّ مُساعدة يُقدِّمها العراق إلى مصر وللقضيّة العَرَبيّة المُشتركة ستكون سبباً لجَمْع الشَّمْل، وتجاوز الخلافات، لكنَّه أظهر ـ من جانب آخر ـ كُرهاً واضحاً إلى عبد النّاصر، عندما بعث بنُسخة من البرقيّة إلى لندن؛ حيثُ يُقيم نُوري السّعيد هُناك؛ ليُعلمه بآخر تطوُّرات الموقف.

---

(1) الحسني : عبد الرَّزّاق : تاريخ الوزارات العراقيّة ،ج10 ، مصدر سابق، ص 97.

وشدَّد عليه أنْ يترقَّب الوَضْع هُناك، إنْ كان مشحوناً بإجراء استعدادات عسكريَّة فعليَّة ضدَّ الحُكُومة المصريَّة، فلا تفعل شيئاً، بل اترك رأس عبد النّاصر لأعدائه وينال جزاءه على ما أقدم عليه، نتيجة جهله وغطرسته، وفيما يلي نصُّ البرقيَّة التي بعث بها السّويدي، وهُو في بيروت إلى رئيس الوُزراء نُوري السّعيد:

(ما يلي من فخامة السّويدي إلى رئيس الوُزراء. تطوُّرات تأميم القنال لا زالت بين أَخْذ وَرَدٍّ. والظّاهر أنَّ الولايات المُتَّحدة لم تهتمّ بالقضيَّة كما تُريد بريطانيا وفرنسا، فإذا وجدتم أنَّ قضيَّة التّأميم سوف تُحَلُّ وفقاً لرغبة مصر، أرى أنْ تُفاتحوا سفير مصر في لندن، مُبيِّنين له استعدادكم لمُساعدة مصر في محنتها هذه، بالرّغم من قيامها بهذا العمل من دُون استشارة الدُّوَل العَرَبيَّة، واستئثارها بالإجراءات بصُورة مُستعجلة؛ لأنَّ تطوُّر مُشكلة القنال ضدَّ مصر قد يجرُّ إلى نتائج لا تسلم الدُّوَل العَرَبيَّة الأُخرى منها. فأيُّ خدمة يقوم بها العراق لمصر وللقضيَّة العَرَبيَّة المُشتركة تكون سبباً لجَمْع الشَّمْل وتناسي الماضي. هذه أوَّل مرحلة يجب أنْ يقوم بها العراق بصفته دولة عَرَبيَّة وصديقة للحُلفاء الغربيّيْن. أمّا إذا وجدتم الجوَّ مُكهرباً؛ سيتمخَّض عن إجراءات فعليَّة ضدَّ مصر، فاتركوا رأس عبد النّاصر ينكسر، ويحصل على حصاد جهله وغطرسته.

(مُعَنْوَنَة لندن، مُكرَّر خارجيَّة بغداد)[1]

أمّا نُوري السّعيد؛ فلم يكن جوابه أحسن من برقيَّة السّويدي؛ لأنَّه ـ بالأساس ـ كان حاقداً على عبد النّاصر، وصمَّم على إسقاطه عندما تشاور ـ في ذلك ـ مع أصدقائه البريطانيّيْن، ثُمَّ إنَّه أوَّل مَنْ طلب من رئيس الوُزراء البريطاني

(1) وزارة الخارجيَّة، الرَّقم 99 في 2/ 8/ 1956، برقيَّة من السِّفارة البريطانيَّة ـ بيروت، إلى بغداد.

عندما كان في داويت ستريت بلندن على العشاء، بضَرْب عبد النّاصر بقُوَّة؛ لأنّه سيكون خطراً على الوُجُود البريطاني في المنطقة، وعلى أصدقائها، وواصل جوابه للسُّويدي، مُؤكِّداً له أنَّ الجوَّ في الغرب مشحون لضَرْب عبد النّاصر، وأنَّ الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة أيَّدت بريطانيا في دعوتها، وطلب من السّفارة إبلاغ السُّويدي بأنَّه سيكون في بغداد خلال اليومَيْن القادمَيْن. وأكَّد العديد من السّاسة المُقرَّبين أنَّ نُوري لم يكن مُخلصاً في بيانه هذا، وأنَّه يُضمر خلفه شيئاً مُخالفاً لما وَرَدَ فيه. كما أثبتت الأحداث أنَّه كان يعلم بقرار الهُجُوم على مصر مُنذُ وقت سابق[1].

ما يلي من رئيس الوُزراء إشارة لبرقيَّتكم في 2/ 8/ 1956، أخبروا السُّويدي أنَّ الجوَّ مُكهرَب، وأنَّ الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة أيَّدت بريطانيا. سأكون في بغداد يوم 5 الجاري ، أرجو أنْ يتَّصل فخامته بي هُناك للمُداولة. مُعنونة بيروت ، مُكرَّر خارجيَّة بغداد. (انتهى)[2]

وفي إجراء مُفاجئ؛ رفع ثلاثة من أعضاء مجلس النُّوَّاب العراقي، وهُم كُلٌّ من عبد الكريم الأزري، وجمال عُمر نظمي، وحسن عبد الرّحمن، مُذكَّرة إلى مجلس الوُزراء، مُطالبين أنْ يقف العراق إلى جانب مصر، ويُؤيِّدها في خُطوتها التي أقدمت عليها. كما قدَّموا إلى الحُكُومة البريطانيَّة مُذكَّرة أُخرى أوضحوا فيها أنَّ قرار الحُكُومة المصريَّة هُو مُمارسة لحقٍّ من حُقُوق سيادتها. وأنَّ الضَّجَّة التي تفتعلها بريطانيا وفرنسا إنَّما هي ضجَّة باطلة، وليس لها سندٌ قانوني، ويُقصَد من ورائها تشويه حقِّ مصر الواضح. وحذَّروا من استمرار السّياسة البريطانيَّة

---

(1) عبد الرَّزَّاق الحسني : تاريخ الوزارات ، ج10 ، مصدر سابق ، ص 97.

(2) ملفَّات مجلس الوُزراء السِّرِّيَّة ، برقيَّة من السّفارة العراقيَّة في لندن إلى السّفارة العراقيَّة في بيروت في 3/ 8/ 1956.

المُعادية تجاه مصر؛ لأنَّ ذلك سيُعرِّض علاقات العراق معها إلى الأسوأ. وأكَّدوا في المُذكَّرة أنَّ مُؤتمر لندن المُزمَع عقده مع الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة لا علاقة له بالموضوع. وناشدوا الحُكُومة العراقيَّة أنْ يكون موقفها إيجابيّاً أثناء انعقاد اللّجنة السّياسيَّة لجامعة الدُّوَل العَرَبيَّة، وفيما يلي نصُّ المُذكَّرة:

رئاسة مجلس الوُزراء ـ بغداد

تحيَّة واحتراماً..

إنَّ الظَّرْف الذي نشأ عن تأميم قناة السُّويس، يُملي على كُلِّ فرد منّا أنْ يعمل على ما فيه تأييد مصر في الوُصُول إلى حقِّها، فَنَظَراً لأنَّ مجلس الأُمَّة في عُطلته الآن، فقد رأينا رَفْعَ هذه المُذكَّرة إلى مجلس الوُزراء؛ مُوضِّحين ما يجب على العراق القيام به لتأييد مصر في موقفها الرّاهن:

ـ مُنكَّرة إلى الحُكُومة البريطانيَّة:

ـ إنَّ للعراق علاقات معلومة مع بريطانيا؛ منها علاقات سياسيَّة، ومنها اقتصاديَّة. ومن الواضح أنَّ العراق ـ حُكُومة وشعباً ـ لَيَعْتَقد أنَّ مصر مُحقَّة في تأميم شركة قناة السُّويس، وأنَّها قد استعملت حقّاً من حُقُوق السّيادة في تأميمها للشّركة، وأنَّ هذه الضَّجَّة التي أثارتها بريطانيا وفرنسا إنَّما هي ضجَّة باطلة مقصود بها تشويه حقِّ مصر الصّريح.

ـ إنَّ استمرار بريطانيا في اتِّجاهها الخاطئ نحو مصر مِمَّا يُعرِّض العلاقات العراقيَّة البريطانيَّة إلى تأزُّم شديد.

ـ مُؤتمر لندن لا اختصاص له في الموضوع.

ـ وإنَّ الدّعوة لهذا المُؤتمر باطلة ومُنافية لميثاق الأُمم المُتّحدة، وأنَّ الغرض منه إيجاد رأي عدد من الدُّوَل المُوالية لبريطانيا وفرنسا لمُساندة مشروع هذه الدُّوَل ضدَّ حقِّ مصر الصّريح.

ـ اجتماع اللّجنة السّياسيَّة لجامعة الدُّوَل العَرَبيَّة:

إنَّنا نُناشد الحُكُومة العراقيَّة أنْ يكون موقفها في اللّجنة السّياسيَّة لجامعة الدُّوَل العَرَبيَّة الذي سيُعقد لبحث هذا الموضوع موقفاً يتناسب وواجباتها التي أوضحناها أعلاه تجاه مصر وسائر الدُّوَل العَرَبيَّة، ومُنسجماً مع البيان الذي أصدرته في تأييد مصر بتأميمها شركة قناة السُّويس، وأنْ لا تتخلَّف عن مجموع الدُّوَل العَرَبيَّة فيما تعتزم القيام به من إجراءات لتأييد الشّقيقة مصر في موقفها.

حسن عبد الرّحمن	عبد الكريم الأزري	جمال عُمر نظمي
نائب البصرة	نائب بغداد	نائب السُّليمانيَّة [1]

وعلى الصّعيد العَرَبيّ، فقد دعت جامعةُ الدُّوَل العَرَبيَّة اللّجنةَ السّياسيَّةَ للاجتماع لدراسة الوَضْع المُتأزِّم بين مصر وبريطانيا؛ بسبب قيام الحُكُومة المصريَّة بتأميم قناة السُّويس، وقد مثَّل العراق فيها وفد برئاسة توفيق السُّويدي وزير الخارجيَّة ، وعُضو مجلس الأعيان، ويُوسف الكيلاني وكيل وزارة الخارجيَّة العراقيَّة، وتوجَّه الوفد إلى القاهرة في 16/ 9/ 1956، واتّخذت اللّجنة المُقرَّرات التّالية:

ـ استنكار أُسلُوب التّهديد والضّغط السّياسي والاقتصادي والعسكري الذي لجأت إليه كُلٌّ من بريطانيا وفرنسا للوُصُول إلى غايتهما، ممَّا أقلق جميع الدُّوَل العَرَبيَّة.

---

(1) ملفَّات مجلس النُّوَّاب لعام 1956 ، مُذكّرة النُّوَّاب الثّلاثة إلى مجلس الوُزراء.

ـ تأييد دعوة مصر لإيجاد هيئة مُفاوضة ، والمُطالبة بقبُول مبدأ المُفاوضة وحلّ النّزاع بالطُّرُق السّلميّة لميثاق الأُمم المُتّحدة.

ـ الدّعوة إلى التزام الجميع للطُّرُق المنصوص عليها في ميثاق الأُمم المُتّحدة، واستنفاذها في سبيل الوُصُول إلى حلٍّ سلميٍّ.

وعلّق توفيق السّويدي رئيس الوفد العراقي على المُذكّرة ما يأتي :

ممّا يُلاحظ في هذا القرار وُجُود بعض عبارات لم يكن لها ضرورة بالمرّة، لأنّ المفروض فيها أنّها صادرة من وُزراء خارجيّة مارسوا المسؤوليّة، وقدّروا أهمّيّتها في التّعامل الدّوليّ ، إلاّ أنّ اندفاعات وزير خارجيّة سُوريا (يقصد صلاح الدّين البيطار) ومَنْ معه من الخياليّيْن في الوفد السُّوري وضعنا في حال لم نستطع معه إلاّ أنْ نُصحّح ما أمكن تصحيحه، وحذفه من العبارات الرّنّانة، أو الاستفزازيّة، حتّى تمكّنّا من الوُصُول إلى النُّصُوص الأخيرة للقرار[1].

وفي القاهرة؛ التقى السّيّد توفيق السُّويدي رئيسُ الوفد العراقي الرّئيسَ المصريَّ جمال عبد النّاصر، وقدّم تقريراً إلى الحُكُومة العراقيّة عن هذا اللّقاء.

وفيما يلي؛ نصُّ التّقرير الذي رفعه السّويدي عن مُقابلة الرّئيس المصري جمال عبد النّاصر في السّاعة الحادية عشرة وعشرين دقيقة من صباح يوم 18/ 9/ 1956 في القاهرة.

يتناول التّقرير في بدايته تبادل العبارات التّرحيبيّة والمُجاملات ، ثُمَّ يقول السُّويدي :

(سألتُ عبد النّاصر ما إذا كان يعتقد بأنّ الخلاف سينتهي بحَلٍّ سلميٍّ، أو سيُؤدّي إلى استعمال القُوّة والحرب. أجاب بأنّ الأُمُور غير واضحة في الوقت

---

(1) برقيّة وزير الخارجيّة العراقي إلى الخارجيّة العراقيّة / رَقْم 927، في 19/ 9/ 1956.

الحاضر، ولم يحصل رجحان للسِّلْم على الحرب، فَخَطَرُ الحرب مُنتظَرٌ، طالما يستمرُّ الغربيُّون في الإعراب عن إشهار عدائهم وتحكُّمهم بدُون مُبرِّر، فسوف لا يبقى مجال للتّفاهم السِّلْمي.. ثُمَّ سألتُهُ عن حالة مصر الاقتصاديَّة النّاجمة عن أزمة القناة، وأخبرتُهُ أنَّ معلوماتي عن حالة السُّوق غير مُطمئنَّة، وأنَّ التَّذمُّر من قبَل التُّجَّار لا يزال مُتزايداً، فأجابني: نعم، إنَّ هذا الشّئ واقع، لكنَّه لا يُمثِّل البلد، بل يُمثِّل طبقة خاصَّة من المُنتفعين المُستوردين بسبب تجميد أرصدتنا في الخارج، ونحنُ قائمون من تلقاء أنفسنا بتحديد الكمِّيَّات التي تُستَورَد من الخارج؛ لكي تستكفي مصر بمنتوجاتها عن المنتوجات الخارجيَّة.. ثُمَّ قُلتُ له: إنَّكم لا زلتُم مُتمسِّكين بنقاط ترون فيها ـ وحدها ـ حلاً لقضيَّة القناة، دُون أنْ تُظهروا أيَّة مُبادرة باستعدادكم للتّساهل للوُصُول إلى حَلٍّ معقول مع دُول الغرب، فهل ستستمرُّون على هذه الحالة المُؤذية لمصر اقتصادياً؟ فأجاب بأنَّ مصر طلبت المُفاوضة، ولكنَّ الغرب لم يُجب على هذه الدّعوة، كما أنَّ دُول الغرب أرادت إملاء رغباتها علينا بوسائل مُختلفة.. بيَّنتُ له في نهاية الحديث بأنّي لا أزال أعتقد بإمكان إيجاد حُلُول معقولة تُرضي الطَّرَفَيْن، وسأُحاول جُهدي مُدَّة بقائي هُنا أنْ أُجري ما يُحقِّق هذا الأمل..[1]

كانت الحُكُومة العراقيَّة قد وصفت الاعتداء الثُّلاثي على مصر بـ (الإجراءات) ممَّا حمَّل السّاسة والمُعارضين لانتقاد الحُكُومة العراقيَّة، أمّا الاحتجاج الذي تقدَّمت به الحُكُومة؛ فقد كان ساذجاً، لا يُعبِّر عن موقف حازم، ومن جانب آخر؛ فقد قرَّرت الحُكُومة إرسال قُوّات عسكريَّة عراقيَّة إلى الأُردن لحمايته من الاعتداء الإسرائيلي المُحتمل، وفي الحقيقة؛ كان للوُقُوف ضدَّ الحركة الوطنيَّة الأُردنيَّة إذا ما تحرَّكت ضدَّ النّظام. ومن الجدير بالذِّكر؛ فإنَّ الحُكُومة

(1) مجلس الوُزراء العراقي ـ وزارة الخارجيَّة ـ ملفَّات عام 1956 ـ تقرير برَقْم 927، في 19/9/1956.

برئاسة نُوري السّعيد أرسلت اللّواء المُشاة التّاسع عشر بقيادة الزّعيم عبد الكريم قاسم، وقد استقرّ قُرب الحُدُود وفي منطقة H3 العراقيّة، تحسُّباً لأيّ طارئ. وقد قدَّمت الحُكُومة العراقيّة ضمانات للكيان الصّهيوني بأنَّ القُوّات العراقيّة لن تقوم بأيّة خُطوة عُدوانيّة تجاهها. من جانب آخر؛ فقد أبلغت وزارة الخارجيّة العراقيّة سفارتها في واشنطن بالقرار بوُجُوب إشعار الخارجيّة الأمريكيّة، فكان جواب السّفارة العراقيّة في واشنطن: تعتقد الخارجيّة الأمريكيّة أنَّ وُجُود قُوّات عراقيّة في الأُردن سيكون عامل استقرار).

وفيما يلي نصُّ البرقيّة التي بعثتها السّفارة العراقيّة في واشنطن 1956، حول الحُصُول على ضمانات من الكيان الصّهيوني لدُخُول القُوّات العراقيّة إلى الأُردن:

برقيّتكم في 4 الجاري، واجهنا مُساعد وزير الخارجيّة المستر (راونتري) المسؤول عن شُؤُون البلاد العَرَبيّة، وأبلغناه بمضمون ما جاء في البرقيّة، وموقف الحُكُومة الأمريكيّة. أجابنا بأنَّ الحُكُومة الأمريكيّة تعتقد أنَّ وُجُود قُوّات عراقيّة سيكون عاملاً للاستقرار في الأُردن، وأنَّ إسرائيل سوف لا تقوم بأيّ عمل عدائي إذا بقيت القُوّات العراقيّة بعيدة عن الحُدُود، وتجنَّبت الاستفزاز أو الاعتداء على الحُدُود الإسرائيليّة، وأنَّ الولايات المُتّحدة الأمريكيّة تُشارك الحُكُومة البريطانيّة رأيها في هذا الصّدد.. الولايات المُتّحدة الأمريكيّة مُستعدَّة لتزويد العراق بما يطلب على أساس شُرُوط الاتّفاق بينهما، وهي تنصُّ على عدم استعمال الموادّ العسكريّة في الاعتداء على إسرائيل.

(عراقيّة ـ واشنطن 6/ 10 / 1956.)[1]

---

(1) وزارة الخارجيّة: من السّفارة العراقيّة في واشنطن، إلى بغداد 6/ تشرين الأوّل / 1956.

ما إنْ وقع العُدوان الذي قادته بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر حتَّى انفجرت الجماهير الغاضبة على هذا العُدوان، فخرجت تُعلن غضبها ضدَّ الحُكُومة العراقيَّة لموقفها المُتراخي من العُدوان.

وطالبت الحركة الوطنيَّة في العراق المُتمثِّلة بحزب البعث العَرَبي الاشتراكي وحزب الاستقلال والحزب الوطني الدّيمقراطي و الحزب الشُّيُوعي والقوى الوطنيَّة والقوميَّة بتحشيد الجماهير، وفسح المجال للنّشاط الشّعبي، من أجل العمل على نصرة مصر، وفتح أبواب التَّطوُّع للدّفاع عن القوميَّة العَرَبيَّة المُهدَّدة بالعُدوان. وقد أدرك نُوري السّعيد المخاطر التي ستتعرَّض لها حُكُومته من جرَّاء تصاعد النّضال القومي، وتأييد الجماهير الشّعبيَّة لمصر في تأميمها لقناة السُّويس، ولهذا؛ عمد إلى تعديل خُطَّة أمن العاصمة، بما يكفل لقُوّات الشّرطة والأمن السّيطرة على الوَضْع الدّاخلي، ووَضْع خُطَّة مُماثلة للجيش للاستفادة منه عندما تتأزَّم حالة الأمن الدّاخلي، وبهذا؛ أصبحت قُوّات الشّرطة والأمن والجيش على استعداد كامل لمُواجهة احتمالات الموقف. وفي صباح يوم الخميس الأوَّل من تشرين الثّاني، انفجر الوَضْع الأمني في العراق، وتظاهر طَلَبَةُ الكُلّيّات والمعاهد العالية في مُختلف مناطق بغداد، وحدثت مُصادمات بين الشّرطة والمُتظاهرين. وتجدَّدت التّظاهرات صباح يوم السّبت 3 تشرين الثّاني، واتَّسمت بالسّعة والشُّمُول؛ حيثُ اشترك فيها أغلبيَّة طَلَبَة المعاهد والكُلّيّات والمدارس الثّانويَّة والمُتوسِّطة ، فتحوَّلت إلى انتفاضة جماهيريَّة عارمة، شملت مناطق مُتعدِّدة من العراق، وشاركت فيها جماهير واسعة من مُختلف الفئات الشّعبيَّة، واستُشهد اثنان من المُتظاهرين في منطقة باب المُعظَّم برصاص الشّرطة، واستمرَّت المُظاهرات اليوميَّة حتَّى نهاية العام نفسه. وامتدَّت التّظاهرات الجماهيريَّة إلى خارج بغداد، إلى النّجف، وكربلاء، والمُوصل، والبصرة، والعمارة، والحلَّة، وبعقوبة ، شهدت

مدينة النّجف يوماً دامياً في 24 تشرين الثّاني؛ حيثُ استخدمت الشّرطة العيارات النّاريّة لتفريق المُتظاهرين، فأدّى ذلك إلى استشهاد اثنَيْن من المُتظاهرين، ودفع ذلك إلى إرسال القُوّات العسكريّة إلى النّجف لإعادة سيطرة الحُكُومة عليها. وماحدث في النّجف حدث مثله في مدينة الحيّ في ليلة 18 كانون الأوّل؛ حيثُ استطاع المُتظاهرون السّيطرة على المدينة، وقد حُكم على اثنَيْن من المُتظاهرين بالإعدام، ونُفّذ حُكم الإعدام عَلَناً في شوارع الحي. ورافق الإضراب والتّظاهرات في بغداد ومُدُن العراق الأُخرى حملة من المُذكّرات التي قُدِّمت إلى الملك من قبَل الأحزاب السّياسيّة والشّخصيّات الوطنيّة ورجال الدِّين، وكُلُّها تنتقد الحُكُومة لموقفها من العُدوان على مصر، ولإجراءاتها القَمْعيّة القاسية ضدّ الحركة الوطنيّة، التي تعرَّضت قادتها إلى الاعتقال، وقامت الحُكُومة بفَتْح مُعتقل السَّعْديَّة، وأرسلت إلى هذا المُعتقل أفواجاً من الطَّلَبة والأساتذة والمُدرِّسين والمُحامين ومُختلف فئات الشّعب، كما قامت المجالس العُرْفيّة في العراق بمُحاكمة المُشاركين في الانتفاضة الوطنيّة، وإصدار الأحكام الجائرة بحقّهم، وقد ظهر من خلال أسماء المُعتقلين والمحكومين أنّ الأغلبيّة العُظْمَى منهم ينتمون إلى حزب البعث العَرَبي الاشتراكي، وقد تابعت الأجهزة الأمنيّة حوادث الانتفاضة، وقدّمت في تقاريرها السّرّيّة المعلومات التّفصيليّة عن التّظاهرات والاضرابات والهتافات التي ردّدها المُتظاهرون[1].

- تطبيق خُطّة الشّرطة لحماية أمن العاصمة:

وقد وضعت الحُكُومة خُطّة أمن العاصمة موضع التّنفيذ لحمايتها من المُتظاهرين، وكانت الخُطّة قد وُضعت في سنة 1953، وعُدّلت عدّة مرّات، وفي سنة 1956، صدر أمر من وزارة الدّاخليّة بتشكيل لجنة تضمُّ مُمثّلين من مُديريّة

(1) د. جعفر عبّاس حميدي: انتفاضة عام 1956، بيت الحكمة، المطبعة العَرَبيّة، بغداد، 2000، ص32

الشّرطة العامّة، ووزارة الدّفاع، ومُتصرِّفيّة بغداد، وأمر القُوَّة السَّيَّارة، ومُدير شرطة بغداد، فاجتمعت اللّجنة عدَّة مرّات، واستندت في تنظيم الخُطَّة لقانون التَّجمُّعات والقوانين الأُخرى حينذاك، وتتضمَّن الخُطَّة الخُطوات الواجب اتّباعها من قبَل ضُبَّاط الشّرطة في تفريق المُتظاهرات، وبعد وَضْع الخُطَّة أُرسلت إلى وزارة الدّفاع ومُدير الشّرطة العامّة، وبعد تأييدهما؛ صادقت وزارة الدّاخليّة عليها.

وفيما يلي نصّ الخُطَّة :

الغرض :

- تأمين استتباب الأمن في بغداد وضواحيها عند وُقُوع اضطرابات.

- توحيد العمل وتنظيمه لمُعالجة الوَضْع حسب تطوُّره، وتوزيع الأعمال على قطعات الأمن في العاصمة.

الغرض:

يُعتبر مُدير شرطة لواء بغداد أمراً لكافَّة القواطع في العاصمة، ويكون مقرُّه في مركز مُديريّته.

- مراحل التّنفيذ:

تُنفَّذ هذه الخُطَّة بثلاث مراحل : تُسمّى المرحلة الأُولى (حكيم) ، والثّانية (رشيد) ، والثّالثة (سعد).

في المرحلة الأُولى تُوضع كافَّة قُوّات الشّرطة في الإنذار التّامّ، وتُوزَّع الأسلحة ووسائل تفريق المُظاهرات ومُحافظة الأمن على أفراد الشّرطة حسب القياسات المُقرَّرة ، وتُوضع محطَّة لاسلكيَّة ثابتة في مقرّ كُلّ قاطع.

أمّا المرحلة الثّانية؛ فتُنفَّذ عندما يرى المُتصرِّف ظُهُور بوادر اضطرابات مُهمَّة قد تُخلُّ بالأمن العامّ، وتُؤثِّر على السّلامة العامّة، وعند صُدُورها؛ تُوزَّع القُوَّات إلى أماكنها المُخصَّصة، وتُعزَّز الحراسات، وتُضاعف الدَّوريَّات من قبَل أُمراء القواطع في الأماكن الحَيَويَّة.

وعند تنفيذ هذه المرحلة؛ أيْ الخطَّة المُسمَّاة رشيد، ينتقل مُتصرِّف لواء بغداد إلى مقرِّ القيادة في مُديريَّة شرطة لواء بغداد لتوجيه العمل، وإصدار الأوامر المُقتضية لمُعالجة الأمر إذا اقتضى ذلك.

أمّا المرحلة الثّالثة؛ فتُنفَّذ عندما يضطرب الأمن، ويحدث تصادم مع الشّرطة، وذلك بأمر من المُتصرِّف، وهُنا؛ تُوضع قُوَّات الشّرطة السَّيَّارة الباقية في حالة إنذار. ويستخدم طُلاَّب كُلِّيَّة وإعداديَّة الشّرطة لحراسة المدارس، كما يستخدم طُلاَّب دورات الضُّبَّاط العالية والمُفوَّضين وضُبَّاط الصَّفِّ لتقوية قاطع السّراي.

يتَّصل مُتصرِّف بغداد بآمر موقع بغداد عند تنفيذ هذه الخُطَّة، ويُحيطه علماً بالموقف؛ ليتَّخذ الإجراءات اللاَّزمة بشأن المعونة التي يجب الأَخْذ بها لمُعاونة الشّرطة عند اللُّزُوم، مع استمرار الاتِّصال لاطِّلاعه على الموقف بين حين وآخر. ويُطلب إرسال ضابط ارتباط إلى مقرِّ المُتصرِّف.

- ومن وصايا تنفيذ الخُطَّة:

على أُمراء القواطع أنْ يُسلِّحوا أعضاء القُوَّة التي يُرسلونها لتقوية القُوَّات التي تشترك مع المُتظاهرين بأسلحتهم، ماخلا الأحوال التي يُقرِّر فيها المُتصرِّف نوع السّلاح الذي يجب أنْ تحمله تلك القطعات. أمّا أفراد شرطة بغداد الذين

يُرسلون لتفريق المُتظاهرين؛ فيجب أنْ يُسلَّحوا بالمُسدسات والعصي فقط، ماخلا الأحوال التي يقرُّ فيها المُتصرِّف نوع السّلاح الذي يجب أنْ يستعملوه.

تُستعمَل القُوّات في تفريق المُتظاهرين بالوسائل والأسلحة التي تُزوِّدها الجهة الإداريَّة المسؤولة عن الأمن في وقته. وبالأوامر التّحريريَّة، ماخلا الحالات المُستعجلة التي يتطلَّب فيها إصدار الأوامر الفوريَّة، على أنْ تُعزَّز فوراً بتأييد تحريري[1].

- خُطّة أمن العاصمة العسكريَّة لحمايَة بغداد:

قام نُوري السّعيد - بوصفه وزيراً للدّفاع - بوَضْع خُطَّة للجيش مُماثلة لخُطَّة الشّرطة، هدفها حفظ الأمن في مدينة بغداد وضواحيها عند عجز الشّرطة عن إنجاز واجباتها، والمُحافظة على النّظام، ومراحلها هي :

المرحلة الأُولى - مقداد - تُنفَّذ عندما تبدأ الشّرطة بتنفيذ مرحلتها الثّانية - رشيد - فيصدر أمراً إنذاريَّاً للفرقة الأُولى لتهيئة فوج من اللّواء الأوّل في المسيب للحركة إلى بغداد، وتكون جميع القطعات المُنذرة خارج بغداد تحت سيطرة المقرِّ العامِّ (دائرة الأركان العامَّة)، وتتلقَّى منها الأوامر مُباشرة.

المرحلة الثّانية - صقر - تُنفَّذ عند بدء الشّرطة بتنفيذ مرحلتها الثّالثة - سعد - فتُنذر آمريَّة موقع بغداد جميع الوحدات المُرابطة في العاصمة ، ويُمنع مُنتسبوها من الخُرُوج من المُعسكرات ، ويُصدر إلى اللّواء الأوّل بالحركة إلى بغداد، ويُعسكر في المحلّ الذي يُنسبه موقع بغداد.

(1) د. جعفر عبَّاس حميدي : انتفاضة عام 1956، مصدر سابق، ص 35 ـ 37.

المرحلة الثّالثة ـ سعـد ـ وفيها يُستخدَم اللّواء الأوّل، والقطعات التي ستلتحق به، بالإضافة إلى الاحتياط العامّ لحفظ الأمن في بغداد ، وذلك عندما يتعذّر على الشّرطة تأمين ذلك[1].

- اجتمــاع قصر الرّحاب:

عُقد في قصر الرّحاب اجتماع حول الموقف من العُدوان الثّلاثي على مصر لبعض أقطاب النُّخبة الحاكمة؛ في مُقدّمتهم نُوري السّعيد رئيس الحُكُومة، ورُؤساء الوُزراء السّابقين، وأعضاء الوزارة القائمة، حضره الملك فيصل الثّاني وولّي عهده الأمير عبد الإله، يوم الجُمعة المُصادف 9/ 11/ 1956، وتناول الاجتماع مسألة العُدوان على مصر، وإبعاد بريطانيا عن ميثاق حلف بغداد، وقطع العلاقات الدّبلُوماسيّة مع فرنسا، وقدّم نُوري السّعيد عرضاً لاجتماع أعضاء حلف بغداد في طهران، الذي حضرته الدُّوَل الإسلاميّة حصراً، والذين كانوا يُؤيّدون مصر، وكان الاجتماع قد عُقد بدُون حُضُور بريطانيا، الدّولة المُعتدية على مصر[2]، وممّا يُذكَر بهذا الشّأن؛ فقد كان نُوري السّعيد كما يقول السّفير الأمريكي في العراق غُولدمار غُولمان (طُول احتدام أزمة السُّويس في الشُّهُور التّالية كُنتُ أرى نُوري يوميّاً تقريباً، ولم يخطر له ـ قطُّ ـ الدّعوة إلى استخدام القُوّة المُسلّحة ضدّ عبد النّاصر، وحينما شنّ البريطانيُّون والفرنسيُّون والإسرائيليُّون هُجُومهم في تشرين الأوّل وتشرين الثّاني أُصيب نُوري ـ على الرّغم من عدائه الذي استمرّ سنوات لعبد النّاصر ـ بردّة فعل عنيفة، وتجلّى عطفه على مصر كأيّ عَرَبيّ قوميّ أصيل)[3]، أمّا الكاتب الفرنسي نبواميشان؛ فيقول في رسالته (ربيع العَرَب) (يوم

---

(1) حميدي : المصدر السّابق أعلاه ، ص 39.

(2) حميدي : المصدر السّابق ، ص 107 — 120.

(3) غولدمار غولمان: عراق نُوري السّعيد ، مُؤسّسة الإنتاج الطّباعي ، بيروت 1965 ، ص 267.

أمّم عبد النّاصر شركة قناة السُّويس؛ كان نُوري السّعيد في لنـدن، وكـان يتنـاول طعام العشاء مع الملك فيصل الثّاني على مائدة آيـدن، فـما كـاد يطّلـع عـلى أخبـار التّأميم حتّى صاح مُخاطباً مُضيفَيْه (اضربْهُ ـ الآن ـ يا أنطوني آيدن، واضربه بالقُوَّة، وأنا أضمن لكَ العراق لن يتحرَّك)[1] ، وهُنا؛ نتساءل مـا سـبب هـذا التّنـاقض؟ ولعلَّ ذلك يرجع إلى أنَّ نُوري السّعيد قد وجـد أنَّ الغـضب الـشّعبي بلـغ أشـدَّه ضدَّه بسبب موقف حُكُومته، أو أنَّ تعاطف مع الشّعب المصري.

- بيان اجتماعات حلف بغداد للدُّول الإسلاميَّة :

صدر في السّاعة السّادسة من مساء 9 تشرين الثّاني 1956، البيان الرَّسْـمي التّالي:

أوّلاً : مُنـذُ بـدء التَّـدخُّل العـسكري البريطـاني الفرنـسي في مـصر، قامـت الحُكُومة العراقيَّة بمـساع عديـدة ومُتواصـلة ـ بـصُورة مُنفـردة، أو مُجتمعـة، مـع شقيقاتها الدُّوَل العَرَبيَّة، وحليفاتها الدُّوَل الإسلاميَّة الـثّلاث، تُركيـا، وباكـستان، وإيران ـ للتَّوصُّل إلى أحسن الوسائل، التي تضمن سلامة مصر الشّقيقة، وصـيانة استقلالها، وتُؤمّن ـ في الوقت نفسه ـ مصلحة الدُّوَل العَرَبيَّـة والإسـلاميَّة في هـذه المنطقة الحسَّاسة من العالم. وبالرّغم من النّجـاح الـذي أصـابته نتيجـة للمـساعي المذكورة، وإيقـاف بريطانيـا وفرنـسا إطـلاق النّـار عـلى مـصر وتعهُّـد بريطانيـا بالاستجابة إلى مُقرَّرات مُؤتمر طهران الأخير، والتـي مـن ضـمنها قـرار سـحب القُوَّات الأجنبيَّة من الأراضي المصريَّة، وإعـادة القُـوَّات الإسرائيليَّـة إلى مـا وراء خُطُوط الهُدنة. بالرّغم من كُلّ ذلك؛ فـإنَّ الحُكُومـة العراقيَّـة ـ بـالنَّظَر للظُّـرُوف

(1) نبواميشان : ربيع العَرَب ، بيروت، 1959 . "رسالة مُترجمة".

الحاضرة ـ تجد نفسها مُضطرَّة إلى حَضْر اجتماعاتها في ميثاق بغداد على الدُّوَل الإسلاميَّة الثّلاث.

ثانياً : وبالنَّظَر لتمادي فرنسا على تصرُّفاتها التي استمرَّت زمناً طويلاً مع البلاد العَرَبيَّة بشكل لا يتَّفق وحُسن العلاقات ، فقد قرَّر مجلس الوُزراء قَطْعَ العلاقات الدِّبلُوماسيَّة بين العراق وفرنسا، وبُلِّغ هذا القرار ـ بصُورة رَسْميَّة ـ إلى السّفير الفرنسي في بغداد بعد ظُهر هذا اليوم 9/ 11/ 1956، كما أُبلغ إلى السّفير العراقي في باريس لمُغادرة الأراضي الفرنسيَّة مع جميع أعضاء السُّفارة بأقرب وقت مُمكن.

خليل إبــراهيم

مُدير التّــوجيه والإذاعة العامّ[1]

- بيان السّفارة العراقيّة في لندن:

وفي خُطوة هامَّة ومُفاجئة للحُكُومة العراقيَّة، أُوعز إلى السّفارة العراقيَّة في لندن بإصدار بيان، يُوضِّح سياستها، بعد أنْ وجدت أنَّ الرَّأي العامَّ الشّعبي الدّاخلي والعَرَبي مُتعاطف مع مصر عبد النّاصر، ويُوضِّح البيان أنَّ المشاكل الدّوليَّة تُحَلُّ في أروقة الأُمم المتَّحدة، وفيما يلي نصُّ البيان:

ـ العراق يدعو بريطانيا إلى احترام قرارات الأُمم المتَّحدة.

ـ بشأن الانسحاب من مصر.

ـ لندن : أصدرت السّفارة العراقيَّة في لندن بياناً ذكرت فيه أنَّها لا تُشارك وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة رأيها في أنَّ تدخُّل بريطانيا في مصر كانت الغاية منه منع نُشُوب حرب عامَّة في تلك المنطقة.

(1) حميدي : انتفاضة عام 1956، مصدر سابق، ص 128.

وقال البيان: إنَّ العراق ينتظر من بريطانيا أنْ تحترم قرار الأُمم المتَّحدة الذي يدعو إلى انسحاب القُوَّات الأجنبيَّة فوراً من مصر. وقال: إنَّ الأُمم المتَّحدة هي الهيئة الوحيدة ذات الصّلاحيَّة لتسوية قضيَّة فلسطين، أو أيّ مُشكلة أُخرى من مشاكل الشّرق الأوسط. (9/11/1956)[1]

وبهذا الشّأن؛ يذكر توفيق السُّويدي ما يلي: لقد طالب الحاضرين في مجلس الاستشارة في ميثاق حلف بغداد من العراق قَطْع العلاقات السّياسيَّة مع بريطانيا، فأجابت الحُكُومة العراقيَّة التي يرأسها نُوري السّعيد أنَّ هذا القَطْع المُقترَح سيكون كارثة على العراق، بالنَّظَر لارتباطه الاقتصادي وتشابك علاقاته الماليَّة والنَّقْديَّة والتّجاريَّة ببريطانيا[2]، كما تَمَّ قطع العلاقات مع فرنسا بنفس الوقت في اجتماع حلف بغداد، الذي حضرته الدُّوَل الأعضاء المُسلمة، تُركيا، إيران، وباكستان، والعراق، أمّا بريطانيا؛ فلا أحد يستطيع أنْ يقطع العلاقات معها، بل جرى عتابها - فقط - على عملها العُدواني، وتجميد عُضويَّتها في الحلف[3].

تقارير الشّرطة العراقيَّة المرفوعة عن الأحداث في بغداد: كانت الشّرطة العراقيَّة قد كُلِّفت من قبَل مراجعها العُليا مُتابعة ما يجري في الشّارع العراقي من أحداث ساخنة، ومُراقبته بدقَّة، على أنْ يُرفَع بشكل تقرير يومي إلى المراجع، إمَّا وزير الدّاخليَّة، أو مُتصرِّف لواء بغداد، لمعرفة اتِّجاهات الرَّأي العامّ من العُدوان الثُّلاثي، وكذلك موقف الأحزاب السّياسيَّة، ومُجابهته لتلك الأوضاع الحسَّاسة بفعل عنيف؛ لكي لا تفلت الأُمُور من الأجهزة الحُكُوميَّة، وإهانة هيبة الدَّولة، كما سجَّلت هتافات المُتظاهرين، التي تُعبِّر عن موقفها من العُدوان، ورأيها بالأشخاص الذين لهُم علاقة بالعُدوان الثُّلاثي، وفيما يلي نصُّه:

---

(1) حيدي، مصدر سابق، ص 128.
(2) توفيق السّويدي: مُذكّراتي، مصدر سابق، ص 551.
(3) غُولمان: عراق نُوري السّعيد، مصدر سابق، ص 258.

مُديريَّة شرطة لواء بغداد:

الشُّعبــة الخاصَّة:

العدد 5697

التّاريخ 3/ 11/ 1956

إلى مُتصرِّف لواء بغداد:

الموضوع : ضبط الأمن والتّظاهرات:

إنَّ انتشار أنباء الهُجُوم الإسرائيلي على الأراضي المصريَّة وقصف الطّـائرات الإنكليزيَّة والفرنسيَّة للمطارات والمُدُن المصريَّة أدَّى إلى استياء الرَّأي العامّ داخل بغداد، وبهذه المُناسبة؛ فقد توفَّرت المعلومـات لـدينا بـأنَّ الـشُّيُوعيِّيْن والقـوميِّيْن وغيرهم من ذوي المُيُول السّياسيَّة سيستغلُّون هذه الفُرصـة للخُـرُوج بتظـاهرات مع طُلاَّب الكُلِّيَّات، وغيرهم، وانتهازها فُرصة للإخلال بالأمن وإثـارة الـشّعب ضدَّ سياسـة الحُكُومـة الحـاضرة، ولهـذه الأسـباب؛ فقـد نظَّمنـا مـا يقتـضي مـن الاحتياطات والتَّهيُّؤ لإحباط كُلِّ مُحاولة تدعو للإخلال بالأمن، وفعلاً؛ فقد تجمَّع في صــباح يــوم 1/ 11/ 1956، طُــلاَّب كُلِّيَّتَــيْ الطِّــبِّ والأســنان والــصّيدلة والكيمياء والمُوظَّفين الصِّحيِّيْن بداخل كُليَّاتهم، ثُمَّ خرجوا عـلى شـكل مُظـاهرة، والتحق بهم بعض الأهلين، فبلغ عـددهم مـا يُقـارب الخمـسمائة مُتظـاهر، وقـد ساروا من بـاب المُستـشفى الملكـي، مُتَّجهـين نحـو سـاحة بـاب المُعظَّـم، وقبـل وُصُولهم إلى هذه السّاحة؛ تصدَّى لهُم عدد من أفراد شرطة السّراي، وتمكَّنـوا مـن تفريق بعضهم بالقُوَّة، وتراجع البعض الآخر، واحتموا داخل المُستشفى الملكي،

ورشقوا الشّرطة بالحجارة، فأُصيب أحد المُفوَّضين بأذى بسيط في ساقه، ولمّا لم يجدوا سبيلاً للخُرُوج ثانية على شكل مُظاهرة، فقد تفرَّقوا من أبواب المُستشفى الخلفيَّة، بعد أنْ كلَّمهم عميد كُلِّيَّة الطِّبّ، طالباً إليهم إمَّا مُواصلة الدّراسة، وإمَّا مُغادرة الكُلِّيَّة. وفي نفس الوقت؛ خرج طُلاَّب كُلِّيَّة التّجارة ودار المُعلِّمين العالية بشكل تظاهرة صامتة، حتّى وصلوا كُلِّيَّة الحُقُوق، وهُناك؛ أخذوا يهتفون ضدَّ إسرائيل وبريطانيا وفرنسا، فالتحق بهم طُلاَّب كُلِّيَّة الحُقُوق، وعادوا يهتفون بنفس الهتافات، مُتَّجهين نحو السّفارة المصريَّة، فدخلوها، ووزَّع عليهم القائم بأعمال السّفارة المصريَّة أحمد حلمي إبراهيم عدَّة تصاوير كبيرة للرّئيس جمال عبد النّاصر، وقد سجَّل لهم مُوظَّفو السّفارة المصريَّة شريطاً نوطيَّاً مُسجَّلاً لغرض إرساله إلى محطَّة صوت العَرَب لإذاعته. ثُمَّ خرجوا مُتَّجهين نحو كُلِّيَّة الهندسة، وحين وُصُولهم إلى بناية كُلِّيَّة الآداب والعُلُوم والتحاق طُلاَّب وطالبات هذه الكُلِّيَّة بهم؛ تطوَّرت هُتافاتهم ضدَّ سياسة الحُكُومة الحاضرة، ولمَّا حاولوا الاتِّجاه إلى ساحة باب المُعظَّم؛ تصدَّى لهم مُعاون شرطة الوزيريَّة مع عدد أفراد الشّرطة، وقد فرَّقوا التّظاهرة بالقُوَّة، فاتَّجهت فُلُول المُتظاهرين نحو شارع غازي، واعتصم بعضهم داخل كُلِّيَّة الآداب والعُلُوم، وقد تمكَّن مُعاون شرطة الوزيريَّة، ومُعاون شرطة الفضل وأفرادهما، والشُّعبة الخاصَّة، من تفريق فُلُول هذه التّظاهرة، أمَّا المُعتصمون بكُلِّيَّة الآداب والعُلُوم؛ فقد التحق بهم عدد من الشُّيُوعيِّيْن والرُّعاع، وأخذوا يهتفون بهُتافات وشتائم ضدَّ سياسة الحُكُومة، ويرشقون أفراد الشّرطة بالطّابوق، والقناني، وكُلّ ما تقع عليه أيديهم، وقد اتَّخذوا من سيقان كراسي طَلَبَة الكُلِّيَّة، بعد أنْ حطَّموها هراوات لمُقاومة رجال الشّرطة، وقد تَمَّ تفريقهم والقبض على بعضهم في السّاعة 3.20 ب. ظ، بعد بذل عدَّة مُحاولات لهذا

الغرض. وقد تَمَّ القبض على بعض الأشخاص من طُلاَّب، وغيرهم، الذين كانوا يهتفون بالمُتظاهرين، وهُم كُلٌّ من المُحامي بديع عُمر نظمي، والمُحامي عبد الوهَّاب القيسي، والمُحامي ساطع الطّريحي، وسعد عبد الجبَّار علّوش، ووائل ضياء الألوسي، وفاروق مهدي الوادي، وصائب إبراهيم، وحكمت صادق، وعبد الصّاحب كريم مُحَمَّد جواد، وهاني مُحَمَّد يُونُس السّبعاوي ، وعامله بنت حيدر سُليمان، وقاسم مُحَمَّد الشّطب، وكامل سمين سلمان، وحميد مجيد عبد الغني، وفاروق عبد العزيز نجم، وثامر عبَّاس خميس، وناجحة مُصطفى سعيد النّعيمي، وقد أُرسلوا إلى مُديريَّة التّحقيقات الجنائيَّة لاتِّخاذ الإجراءات القانونيَّة بحقِّهم حسب الاختصاص، وقد أُصيب خلال هذه التّظاهرات تسعة ضُبَّاط صفٍّ وأفراد شرطة بإصابات مُختلفة، وأُدخل أحدهم للمُستشفى للاشتباه بوُجُود كسر في عظام يده.

وكان قد رفع ستَّة وسبعون مُحامياً في بغداد من شُيُوعيِّيْن وقوميِّيْن ومُستقلِّين عريضة إلى صاحب الجلالة، وهذا نصُّها (صاحب الجلالة ملك العراق المُعظَّم ـ تقضي الإنسانيَّة والشّرف والعُرُوبة والدِّين بقَطْع العلاقات مع الجهات الاستعماريَّة، من بريطانيا، وفرنسا، أوبالنّسبة للعراق، الخُرُوج حالاً من ميثاق بغداد، والانضمام إلى الميثاق العَرَبي العسكري المُشترَك، وإيقاف ضَخِّ النّفط لئلاّ تستعمله قوى الشَّرِّ على إخواننا العَرَب في مصر العزيزة، نستصرخكم العمل لذلك حالاً).

وقد كان في نيَّة المُحامين في بغداد الخُرُوج بتظاهرة احتجاجيَّة بمُناسبة الأوضاع السّياسيَّة الحاضرة، والمُطالبة بقَطْع العلاقات مع بريطانيا وفرنسا، مع

قَطْع النّفط عن الجريان، إلاّ أنَّ إعلان الأحكام العُرْفيَّة حال دُون قيامهم بهذه التّظاهرة في ذلك اليوم. وفي يوم 2/ 11/ 1956، وبنتيجة مُراقباتنا الدّقيقة فقد علمنا بأنَّ الشُّيُوعيِّيْن سيقومون بتظاهرَتَيْن: الأُولى في شارع المأمون، والثّانية في ساحة زُبيدة بجانب الرّصافة، فَبَثَثْنَا رجال الشُّعبة الخاصَّة في هذه المُديريَّة في هاتَيْن المنطقتَيْن بالاشتراك مع رجال التّحقيقات الجنائيَّة، ووزَّعنا رجال الشّرطة والإجرائيِّيْن في المحلاَّت المُناسبة، الأمر الذي أدَّى إلى إحباط مُحاولة الشُّيُوعيِّيْن التّظاهر في هاتَيْن المنطقتَيْن، فقرَّروا القيام بتظاهرة خاطفة في السّاحة المُقاربة لسينما بغداد في جانب الكرخ، فَبَثَثْنَا رجال الشّرطة السِّرِّيِّيْن والإجرائيِّيْن في تلك المنطقة، وفي السّاعة (6.20 ب. ظ)، قفز إلى السّاحة المذكورة حوالي ستَّة أشخاص بشكل تظاهرة خاطفة، هاتفين بهُتافات مُعادية، وهُم يركضون بأقصى سُرعتهم، ففرَّقتهم الشّرطة، بعد أنْ قُبض على اثنَيْن منهم، هُما كاظم جواد، وغزوان ناظم حميد، والأوّل من الشُّيُوعيِّيْن الخطرين، وذوي السّوابق المحكومين، وخاصَّة في التّظاهرات، وقد أُرسلا إلى مُديريَّة التّحقيقات الجنائيَّة للتّصرُّف بهما حسب الاختصاص، لذا؛ فإنَّ مُراقباتنا السِّرِّيَّة مُستمرَّة بكُلِّ دقَّة لتنسُّم الأنباء، وقُوَّتنا مُتهيِّئة لقَمْع أيَّة حركة تدعو للإخلال بالأمن.

للتّفضُّل بالاطِّلاع.

مُلاحظة: بطيِّه الهتافات التي ردَّدها المُتظاهرون.

سُلطان أمين

مُدير شرطة لواء بغداد

الهُتافات التي ردَّدها المُتظاهرون:

ـ عاشت مصر مُستقلَّة حُرَّة. يعيش الرّئيس جمال عبد النّاصر.

ـ احنا جُنُودك يا جمال.

ـ تسقط بريطانيا ـ تسقط فرنسا ـ يسقط آيدن ـ يسقط الاستعمار.

ـ يسقط حلف بغداد الاستعماري ـ تعيش الدُّوَل المُحبَّة للسّلام.

ـ هذا اليوم الحنَّه نريده ـ نُوري الخاين انكص إيده.

ـ يسقط عبد الإله ـ يسقط نُوري السّعيد الخائن.

ـ نُريد حُكُومة شعبيَّة.

ـ آيدن آيدن ـ يسقط آيدن.

ـ بينو بينو، يسقط بينو.

ـ نُوري نُوري ـ يسقط نُوري.

ـ هلْهلي يا مهديَّة نريدها حُكُومة بعثيَّة.

ـ تسقط الحُكُومة العراقيَّة الحاضرة[1].

التّقرير المُهمُّ الذي رفعه مُدير شرطة بغداد إلى مُتصرِّف لواء بغداد: إنَّ الأحداث التي جرت خلال أيّام الانتفاضة دفعت بالسَّيِّد سُلطان أمين مُدير شرطة بغداد بكتاب تقرير مُهمٍّ إلى مُتصرِّف لواء بغداد عن الأحداث التي وقعت

(1) حيدي، المصدر السّابق، ص 158 ـ 163.

في بغداد خلال أيّام العُدوان الثُّلاثي على مصر، وأشعلت الشّارع العراقي غضباً، تعاطفاً مع مصر، وقيادة الرّئيس جمال عبد النّاصر كبطل قومي للأُمّة العَرَبيّة.

مُديريّة شرطة لواء بغداد:

الشُّعبة الخاصّة: العدد 5715 التّاريخ 4/ 11/ 1956

مُتصرِّف لواء بغداد:

الموضوع / ضبط الأمن:

لاحقاً لتقريرنا المُرقَّم 5696، المُؤرَّخ في 3/ 11/ 1956.

وفي صباح يوم 3/ 11/ 1956، داوم طُلاَّب المدارس والكُلّيّات في مدارسهم وكُليّاتهم، شُوهدوا بحالة غير اعتياديّة؛ إذْ كان التّشاور والتّزاور مُستمرّاً بينهم، وما إنْ حلَّ وقت الدّراسة إلاَّ وباشر الطُّلاَّب في داخل بنايات الكُلّيّات يهتفون بالهُتافات التي اعتادوها، وتجمَّعوا في سوح مدارسهم، ثُمَّ باشر طُلاَّب كُلّيّة الحُقُوق بمُغادرة كُلّيّتهم إلى دار المُعلّمين العالية، فأخذوا طُلاَّبها معهم، واتّجهوا إلى كُلّيّة التّجارة، وبالوقت نفسه، فقد تجمَّع طُلاَّب كُليّات الطِّبّ والصّيدلة وطبِّ الأسنان في داخل المُستشفى الملكي، وصاروا يهتفون مُتهيِّئين للخُرُوج إلى الشّارع بتظاهرة كبيرة، وعلى هذا؛ فإنَّ الشّرطة كانت مُستعدَّة في أماكنها للحيلولة دُون حُدُوث ما يُخلُّ بالأمن، وذلك حسب أوامركم، وقد تجمَّع قُرب كُلّيّة التّجارة عدد كبير من طُلاَّب الكُلّيّات، واتّجهوا بتظاهرة إلى جهة باب المُعظَّم، بقَصْد الدُّخول إلى بغداد، ولمّا اقتربوا من كُلّيّة الهندسة القريبة من باب المُعظَّم؛ تصدَّت لهُم الشّرطة، ففرَّقتهم بالعصي، وممّا يجدر ذكْره أنَّ بعض

المُتظاهرين استعملوا الرّصاص من مُسدَّسات كانوا يحملونها ضدَّ رجال الشّرطة، الـذين لا يملكـون مـن الـسّلاح إلاَّ العـصي، كـما يعلـم مقـامكم ذلـك، إلاَّ أنَّ المُتظاهرين كانوا على عناد شديد للاستمرار بتظاهراتهم، فتجمَّعوا ثانية على شكل تظاهرتَيْن: إحداها عنـد كُلِّيَّـة الهندسـة، والأُخـرى في طريـق المحطَّـة، وصـاروا يُهاجمون الشّرطة من مكانهم، وبالوقت نفسه، فقد خـرج الطُّـلاَّب المُجتمعـون في المُستشفى الملكي بتظاهرة كبيرة إلى الشّارع بقَصْد اختـراق شـارع الرّشـيد، إلاَّ أنَّ مفارز الشّرطة في هذه الحالة اضطُرَّت إلى استعمال الغازات المُسيلة للدُّمُوع لتفريق هذه الجُمُوع الكبيرة من المُتظاهرين، وفعلاً؛ فقد تَمَّ تفريق التّظـاهرات الثّلاثـة في طريق المُستشفى وكُلِّيَّة الهندسة وطريق المحطَّة قُـرب كُلِّيَّـة الملكـة عاليـة، وبهـذه الآونة؛ تجمَّع طُلاَّب كُلِّيَّة الآداب والعُلُوم داخل كُلِّيَّتهم في باب المُعظَّم، وصـاروا يهتفون بقَصْد الانضمام إلى المُتظاهرين، الذي جرى تفريقهم قُـرب بـاب المُعظَّـم، وقد انضمَّ إليهم عدد من فُلُول المُظاهرات التي تَمَّ تفريقهـا، ولـمَّـا وصـلت أخبـار هذه التّظاهرات إلى المدارس الأُخرى، فقد تـشجَّع طُـلاَّب المـدارس الثّانويَّـة في الأعظميَّة والكرخ والكرادة الـشّرقيَّة والكاظميَّـة، فتظـاهروا، كُـلٌّ مـن منطقتـه، فاضطُرَّت الشّرطة إلى تفريقهم محلِّيَّاً، واضطرَّ مُعاون الأعظميَّة إلى استعمال بعض القنابل المُسيلة للدُّمُوع لتفريق المُتظاهرين، وبعد ذلك؛ استمرَّ خُـرُوج تظـاهرات أُخرى في منطقة العيواضيَّة والوزيريَّة من الفُلُول التي كانت تتهرَّب من مكـان إلى مكـان أمـام مُطـاردة مفـارز الـشّرطة للمُتظـاهرين بقَـصْد الـدُّخُول إلى شـوارع العاصمة، وقد اتَّضح من عناد هذه الزُّمر أنَّها كانت تُدار بشكل مُنظَّم، القَصْد منه إحداث حالة الشّغب واضطراب عنيف في داخل بغداد، إلاَّ أنَّ الأُسـلُوب الـذي اتُّبع في مُكافحتهم حال دُون تنفيذ الفكرة التي يهدفون إليها، وخلال تجوال بعض

رجال الشّرطة قُرب كُلِّيَّة التّجارة شُوهد مُصاب بطلق ناري في بطنه، فنُقل المُستشفى، ثُمَّ فارق الحياة، كما وقد أُصيب شخص آخر كان يركب سيَّارة مارَّة من أمام كُلِّيَّة الآداب في باب المُعظَّم بطلقة ناريَّة، نُقل على أثرها إلى المُستشفى، ثُمَّ فارق الحياة، ولا زالت هُويَّاتهما مجهولتَيْن، وينتج أنَّ هذه الطّلقات كانت من المُسدَّسات التي استعملها المُتظاهرون خلال تظاهرتهم، كما وأُصيب أحد أفراد شرطة السِّرِّيَّة المُمتازة عبَّاس جبر رَقْم 420، بإصابة اقتطعت أحد أصابع يده، مع العلم كانت الرّصاصة المُستخرجة من جُثَّة أحد القتيلَيْن لمُسدَّس مُوزر، وقد استمرَّت الحالة حتَّى السّاعة الثّالثة بعد الظُّهر، فانجلى أكثر الطُّلاَّب الذين كانوا يتظاهرون في منطقة الوزيريَّة، بعد أنْ دخل قسم منهم إلى مبنى السّفارة المصريَّة، ما عدا حوالي الثّلاثمائة شخص، الذين اعتصموا في كُلِّيَّة الآداب في باب المُعظَّم، وهُم خليط من الطُّلاَّب والعُمَّال وغيرهم من شُيُوعيِّيْن وهدَّامين، تسلَّلوا إلى الكُلِّيَّة بأوقات مُتفرِّقة، مُستغلِّين إنشغال الشّرطة عنهم، واستمرُّوا بهُتافاتهم، ورشق الشّرطة بالحجارة، وما تيسَّر لهم من أخشاب حطَّموها من أثاث الكُلِّيَّة، وكانت تنبعث منهم طلقات مُسدَّسات بين آونة وأُخرى، وكان صوت المُسدَّسات يدلُّ على حُجُومها؛ حيثُ فيها مُسدَّسات كبيرة وصغيرة، وبهذا؛ اضطرَّت الشّرطة إلى إطلاق طلقات الغازات المُسيلة للدُّمُوع وقنابلها عليهم لكَبْح جماحهم، إلاَّ أنَّهم صاروا يُشعلون بعض الأخشاب والأثاث الأُخرى، ويقذفونها وهي تلتهب على رجال الشّرطة، فتسبَّب على ذلك احتكاكات في أسلاك الكهرباء، كادت تُؤدِّي إلى إحراق مبنى الكُلِّيَّة، وقد بُذلت مُحاولات عديدة لإخراجهم من الكُلِّيَّة، فلم تُجدِ نفعاً، الأمر الذي دعا إلى إيفاد بعض ضُبَّاط الجيش لإقناعهم وإخراجهم، ولكنْ؛ لم يفد أيضاً، وأخيراً؛ حضر قائد

القُوّات العسكريّة شخصيّاً وقام بتدبير أدّى إلى خُرُوجهم نهائيّاً من مبنى الكُلّيّة المذكورة، وبعد أنْ وصلوا العيواضيّة؛ تجمّعوا ـ ثانية ـ على شكل تظاهرة، وذهبوا إلى السّفارة المصريّة، ومن هُناك؛ تفرّقوا، وبهذا الصَّدَد؛ نودُّ أنْ نُشير إلى كُلّيّة الآداب والعُلُوم في باب المُعظّم أصبح الوكر الخطر الذي يُهدِّد سلامة الأمن في بغداد؛ حيثُ اعتاد الشُّيُوعيُّون ـ وغيرهم من الهدّامين ـ على الاعتصام بداخله في كُلّ مُناسبة خلال السّنوات الأخيرة، الأمر الذي لا يُمكن السُّكُوت عنه، وإنَّ ضرورة حماية الأمن تتطلّب الإسراع في نَقْل هذه الكُلّيّة من بنايتها الحالية، وإشغال هذه البناية من قِبَل مُؤسّسة أُخرى، ويُستحسَن أنْ تكون دائرة من دوائر الشّرطة، نَظَرَاً لكَون هذه البناية ذات موقع تعبوي مُسيطر على المنطقة المُحيطة به كُلّها، ومن جرّاء هذه الاضطرابات التي حَدَثَتْ في هذا اليوم، فقد كانت إصابات الشّرطة كما مُدوّن في المُرفق المربوط طيّاً، كما وقد قُبض على حوالي المائة مُتظاهر أُوقفوا جميعهم لغاية التّحقيق، هذا؛ ولا زالت إجراءاتها مُتواصلة لحفظ الأمن وصيانة النّظام.

مُوقّع

سُلطان أمين

مُدير شرطة لواء بغداد [1]

التّقرير الذي رَفَعَهُ مُدير أمن بغداد وكيل مُدير التّحقيقات الجنائيّة عن الأحداث التي جَرَتْ في بغداد، رَفَعَهُ السّيّد مُحَمَّد نائل الحاج عيسى، وكيل مُدير التّحقيقات الجنائيّة عن الأحداث التي جَرَتْ طيلة أيّام الانتفاضة، وفيما يلي نصُّه:

---

(1) حميدي، مصدر سابق، ص 164 ـ 168.

سرِّيٌّ للغـايَّة: شرطـــة العراق ـ مُديريَّة التّحقيــقات الجنائيَّة

بغـــداد في 4 تشرين الثّاني 1956 ، العــدد ش. خ / 10092

تقـرير خاصٌّ:

كان لطُلاَّب الكُلِّيَّات على أثر ارفضاض تظاهراتهم التـي قـاموا بهـا في يـوم 1/ 11/ 1956، قد عقـدوا النِّيَّـة، ووطَّـدوا العَـزْمَ عـلى الاسـتمرار بـالإضراب والتّظاهرات، حتَّى ينجلي الموقف الرّاهن في مصر. وتنفيذاً لذلك؛ فإنَّهم في صـباح يوم 3/ 11/ 1956، أضربوا عن الدّراسة، وقـد تجمَّـع طُـلاَّب الكُلِّيَّـة الطِّبِّيَّـة في ساحة الكُلِّيَّة، وكسروا ـ بعد ذلك ـ باب النّـادي، الـذي قـرَّرت العـمادة غَلْقَـهُ في ذلك اليوم، ودخلوا، وأخذوا يهتفون بـسُقُوط الاسـتعمار وأعوانـه ـ بحيـاة جمـال عبد النّاصر، ثُمَّ خرجوا إلى ساحة الكُلِّيَّـة، وأعلنـوا الخُـرُوج إلى الـشّارع، وعنـد خُرُوجهم؛ صدَّتهم الشّرطة بغازات المُسيلة للدُّمُوع، فقاوموها بالحجارة، وعـادوا إلى الكُلِّيَّة، وأخذوا يُنشدون احنا جُنُودك يا جمال، فليسقط الاستعمار، وبعد ذلك؛ حضر آمر الانضباط العسكري، وَطَلَـبَ مـنهم الانـصراف إلى بُيُـوتهم، فرشـقوه بالحجارة، ورفضوا الانصياع إلى طَلَبه، ثُـمَّ هـدأت الحالـة بعدئـذ هُنـاك، وبـاشر الطُّلاَّب بالخُرُوج، وكان من جُملة الهتافات التي ردَّدوهـا هـي المـذكورة في تقريـر مُدير شرطة بغداد المُرقَّم 5697 في 3/ 11 .

وفي كُلِّيَّة الحُقُوق؛ تجمَّع الطُّلاَّب في باب الكُلِّيَّـة، وسـاروا يهتفـون بـسُقُوط الاستعمار وأذنابه، وبحياة جمال عبد النّاصر، ثُمَّ خرج قسم منهم مُتـوجِّهين نحـو كُلِّيَّة التّجارة والاقتصاد، وتخلَّف القسم الآخر مُنفصلاً عن المُتظـاهرين، فعـاد إلى هؤلاء الطُّلاَّب طارق الكسَّار ـ وهُو من طُلاَّب الصَّفِّ الثّاني ـ وخاطبهم بقولـه ـ

أنتم نساء، هيًّا؛ التحقوا مع إخوانكم ـ فتبعه قسم منهم، ولُوحظ عدم اشتراك الطُّلاَّب الأكراد في المُظاهرة، وسار المُتظاهرون من طُلاَّب هذه الكُلِّيَّة حتَّى دخلوا كُلِّيَّة التّجارة والاقتصاد، وحرَّضوا طُلاَّبهم على الاشتراك معهم، فخرج القسم الأعظم، وفي مُقدِّمتهم إسماعيل خليل إسماعيل، ورزَّاق عيدان تويج، وكان يمنع طُلاَّب كُلِّيَّة التّجارة عن الدّوام عبد الواحد خلف، وقصدوا ثانويَّة الصّناعة، ومنها عكفوا على معمل الصّناعة المُجاور لدار المُعلِّمين العالية، وأخرجوا معهم الطُّلاَّب الذين فيه، وهُم يُردِّدون الهتاف بسُقُوط حلف بغداد ، نحنُ جُنُودك يا جمال، ورفعوا شعاراً كُتب عليه (دماؤنا فداء لك يا مصر، يعيش نضال الشّعب العَرَبي) وتوجَّهت المُظاهرة بسيرها نحو دار المُعلِّمين العالية، وكان طُلاَّب هذه الدّار قد أضربوا عن الدُّرُوس، وتهيَّئوا للتّظاهرات، وما إنْ وصلت جُمُوع المُتظاهرين إلى الدّار المذكورة حتَّى خرج الطُّلاَّب معهم يقودهم عبد الغفَّار الصّائغ، رابع آداب، وَرَفَعَ كُلٌّ من ناظم جواد وأخوه حازم من طُلاَّب العالية شعارات كُتب عليها العبارات التّالية: تسقط وزارة نُوري السّعيد ـ الموت للمُجرمين الخَوَنَة الإنكليز والفرنسيِّين ـ عاش جمال عبد النّاصر. وكان تُنظِّم الطّالبات اللّواتي اشتركنَ من العالية الطّالبة جليلة ناجي، الصَّفّ ثالث، وقد حملت الطّالبة سميرة يُوسف جبرائيل شعاراً بعُنوان تسقط وزارة نُوري السّعيد، وسارت المُظاهرة مُتوجِّهة نحو السِّفارة المصريَّة، وهُناك فرَّقتهم الشّرطة، فعاد المُتظاهرون ثانية إلى دار المُعلِّمين العالية، وجمعوا أنفسهم، وخرجوا ثانية بمُظاهرتهم، ورفعوا لافتات كُتبت عليها العبارات التّالية: تسقط وزارة نُوري السّعيد ـ الموت للقَرَاصنة الفرنسيِّين ـ عاش نضال الشّعب العَرَبي ضدّ الاستعمار الصّهيوني ـ يسقط الحلف التُّركي العراقي ـ لا أحلاف مع الاستعمار. عند وُصُول هذه المُظاهرة إلى قُرب

مركز شرطة الوزيريَّة؛ تصدَّت لها الشّرطة ثانية، وفرَّقتهم، ودخل قسم منهم لائذاً بالسِّفارة المصريَّة، ومنها ـ بعدئذ ـ تسلَّلوا هاربين، ثُمَّ عاد ـ بعدئذ ـ المُتظاهرون مرَّة أُخرى إلى دار المُعلِّمين العالية، مُلازمين الدّار المذكورة، مُستمرِّين على هُتافاتهم، يقودهم الطّالب فاضل زيني من طُلاَّب دار المُعلِّمين العالية.

أمّا طُلاَّب كُلِّيَّة الآداب؛ فإنَّهم كانوا ـ بدورهم ـ مُتهيِّئين إلى مُشاركة طُلاَّب الكُلِّيَّة في الأعظميَّة، وأخرج طُلاَّب المُلحق، والتحقوا بكُلِّيَّة الآداب، وبعد أنْ تجمَّعوا؛ بدأوا بالهتاف بحياة مصر والعُرُوبة، وبسُقُوط الحُكُومة الحاضرة، وبالأحلاف، وكانوا بانتظار المُظاهرة التي ستصل إليهم من كُلِّيَّة الحُقُوق، وقد انضمَّ ـ في هذا الأثناء ـ في الكُلِّيَّة طَلَبَة من مُختلف الكُلِّيَّات، وحتَّى قسم من العُمَّال والأهليِّين، واعتصموا في بناية الكُلِّيَّة، بعد أنْ رتَّبوا خُطَّة الخُرُوج بمُظاهرة، وبعد ذلك؛ أوعزوا إلى فريق منهم أنْ يصعد إلى سطح البناية، ويرشق هذا الفريق الشّرطة بالحجارة، وأرجل الرّحلات والكراسي بعد إضرامها، والتي أعدُّوها ـ من قبلُ ـ لهذا الغرض، وذلك لأجل إبعاد الشّرطة عن الكُلِّيَّة. واستطاع الطُّلاَّب ـ بهذه الطّريقة ـ أنْ يخرجوا بمُظاهرة ما لبثت أنْ تفرَّقت بعد وقت قصير، إلاَّ أنَّهم عادوا ـ ثانية ـ إلى كُلِّيَّة الآداب، وقد أبدى طُلاَّب الكُلِّيَّة فعاليَّة كبيرة في تنظيم المُظاهرات، والتّحريض عليها، واستمرَّت هتافاتهم السّابقة، وعندئذ؛ حضر إليهم قائد القُوَّات العسكريَّة للمنطقة العُرْفيَّة الأُولى ببغداد، وأخرجهم من الكُلِّيَّة، بعد أنْ وعدهم بعدم تعرُّض الشّرطة لهم، وعلى هذه الصُّورة؛ غادر المُتظاهرون بناية كُلِّيَّة الآداب، وساروا مُتَّجهين نحو الوزيريَّة، وهُناك؛ تجمَّعوا وهُم يهتفون بحياة جمال عبد النّاصر، وبسُقُوط الاستعمار، وبعض الهتافات الأُخرى، فدخلوا إلى السِّفارة المصريَّة، واعتصموا بها مُستمرِّين في هُتافاتهم، وإذْ

ذلك وصلت إليهم ثُلَّة من الشّرطة، وفرَّقتهم، وتمكّنت من القبض على الأشخاص، وذلك عندما حاولوا الهُرُوب عن طريق تسلُّق جُدران حديقة السّفارة، وفي ذلك الأثناء؛ خرج مُستشار السّفارة المصريَّة السَّيِّد أحمد حلمي إبراهيم، وصار يلوم الشّرطة على إجراءاتها هذه، ويتَّهمها بالاعتداء على حُرمة مصر، ودُخُول سفارتها، وعلى هذه الصُّورة؛ تَمَّ تشتيت جُمُوع المُتظاهرين.

مُحَمَّد نائل الحاج عيسى

مُدير التّحقيقات الجنائيّة[1]

التّقرير الخطير الذي رَفَعَهُ بهجت العطيّة مُدير الأمن العامّ، أو وكيل مُدير الشّرطة العامّ إلى وزير الدّاخليَّة عن الأوضاع العامَّة والحوادث التي جَرَتْ في بغداد والمُدُن الأُخرى، وتحليل عن الموقف الدّوليّ في قضيّة العُدوان الثُّلاثي على مصر الشّقيقة بقيادة عبد النّاصر، وتحليل في كَيفيَّة إدارة الأزمة في العراق من قبَل الحُكُومة العراقيَّة بزعامة نُوري السّعيد الذي كان يحمل كُرهاً مُسبَقاً إلى قيادة ودور عبد النّاصر في التّأميم، والنّزاع الذي وقع إثر العُدوان الثُّلاثي، ويُجدِّد القارئ رُؤية جديدة للموقف، وتحليل دقيق وعميق للأحداث بنظرة ثاقبة وموضوعيَّة لكافَّة الأحداث التي غلَّفت المُشكلة من الأساس.

وزارة الدّاخليَّة ـ مُعاونيَّة الشّرطة العامَّة

الشّعبة السّياسيَّة ـ العدد: 3089 ـ بغداد في 28/ 11/ 1956.

وزارة الدّاخليَّة　　　　الموضوع : الرَّأي العامُّ

---

(1) حيدي، مصدر سابق، ص 169 ـ 173.

أخذت مُختلف طبقات الجُمهور تُكثر هذه الأيّـام مـن أحاديثهـا وتعليقاتهـا على الأوضاع الرّاهنة التي تمرُّ بها البلاد العَرَبيّة. وقد ترامى إلينا من مصادر وثيقـة أنَّ جُزءاً كبيراً من هذه التّعليقات يـدور ـ بـالطّبع ـ حـول العـراق وموقفـه، وإنَّ الأقوال والإشاعات التي يُردِّدها المُتحدِّثون من أفراد الطّبقة المُدركة الرّزينة الذين ينظرون إلى الأُمُور نظرة إدراك وتقدير وإنصاف تتلخّص بـما يـلي، نعرضـها عـلى مقامكم للتفضُّل بالاطّلاع عليها.

إنَّ هذه الطّبقات تُدرك جيِّداً سياسة العراق، وموقفه مـن خـضمِّ التيّـارات العالميّة، وتعلم ـ كذلك ـ أنَّ نظرة فخامة الـسَّيِّد نُـوري الـسّعيد تـستند إلى واقـع الحال، وهي بعيدة عن الاندفاع وراء العاطفة التي تـسير عليهـا مُعظـم الـشُّعُوب العَرَبيّة الآن، أو بالأحرى يـسعى رجـالهم إلى مَرْضَـاة الـشّارع، ولـو عـن طريـق الخداع والنّفاق والكَذب.

نقول إنَّ الطّبقة الواعية من العراقيّيْن يُدركون ذلك، ويتطلّعـون إلى العـراق من جهة أُخرى كَبلد عَرَبي في مجموعة الدُّوَل العَرَبيّة، التي دَرَجَـتْ أكثريَّتهـا عـلى السَّيْر في سياسة المُغالاة في إثارة عواطف الجماهير، وكَسب رضاها، ولو عـلى غـير نتيجة مُرضية، ويرون أنَّ هذا الفارق بين واقعيَّة حُكُومـة العـراق وبـين الانـدفاع العاطفي لبعض حُكُومات الدُّوَل العَرَبيّة هُـو الـذي أوجـد ردَّ الفعـل في نُفُـوس الطّبقات الشّعبيّة في العراق وفي الدُّوَل العَرَبيّة، ذلك لأنَّ رجال السّياسة في بعـض الدُّوَل العَرَبيّة استطاعوا أنْ يستغلُّوا العاطفة الـشّعبيّة إلى أقـصى حَـدٍّ، ويـضربون على أوتارها؛ لتثبيت مراكزهم، وكَسب رضا الجماهير.

ويقولون إنَّه على العراق أنْ تعمل بكُلِّ ما تستطيع من أجل التّوفيق بين سياستها الواقعيَّة المُجدية وبين كَسب عطف الجماهير على قدر المُستطاع، لا لكي تسترضي الشُّعُوب العَرَبيَّة، بل لكي يُتاح لها أنْ تُتمَّ رسالتها في خدمة العراق في جوٍّ من الاستقرار والهُدُوء، ذلك لأنَّ الشّعب العراقي ـ بل طبقاته السّاذجة ـ قد اندفعت بتأثير أساليب رجال السّياسة في مصر، وسُوريا، وغيرها، فأوجد اندفاعها هذا صُعُوبات في طريق تقدُّم الحُكُومة في أعمالها النّافعة للبلد.

إنَّ الوسيلة الوحيدة التي أوجدت هذه البلبلة في عواطف الشُّعُوب العَرَبيَّة ومن جُملتها العراق هي (الإذاعة). فلقد كانت من تأثير أساليب الدّعاية والتّطبيل التي اتَّبعتها حُكُومتا مصر وسُورية ـ ولهاتَيْن الحُكُومتَيْن والتّأثير الكبير على عُقُول الشُّعُوب العَرَبيَّة ـ أنْ بدت حُكُومة العراق حتَّى في نَظَر الشُّعُوب العَرَبيَّة البعيدة عن الشّرق الأوسط ـ كليبيا وتُونس ـ وكأنَّها تعمل ضدَّ مصالح الشّعب العراقي والشُّعُوب العَرَبيَّة الأُخرى، وهذه حقيقة لَمَسَهَا كُلُّ مَنْ زار أيَّ بلد من البُلدان العَرَبيَّة، وقد كان بالاستطاعة تجنُّب ذلك لولا الحوادث الأخيرة في مصر، وما أعقبها من تطوُّرات؛ حيثُ كان لتصرُّف حُكُومة العراق الواقعي سبب استغلَّه رجال الحُكُومتَيْن المصريَّة والسُّوريَّة في تشويه سُمعة حُكُومة العراق، وفخامة السّعيد بصُورة خاصَّة.

إنَّ ما تراه الطّبقة المُدركة في العراق هُو أنَّ واجب الحُكُومة في هذا الصَّدَد أنْ تجعل من الإذاعة العراقيَّة هي الأُخرى وسيلة لكَسب رضا الجماهير قدر الإمكان، لتكسب الاستقرار هُنا على الأقلِّ.

إنَّ الإذاعة العراقيَّة ـ الآن ـ مثار تعليقات وتلفيقات شتَّى من أكثر العراقيِّين، حتَّى إنَّهم أصبحوا يُكذِّبون حتَّى الحقائق التي لا تقبل الشَّكَّ.

وصارت كُلُّ فرية تُروَّج عن حُكُومة العراق تجد التّصديق السّريع على الفور، بـل وأكثر من هذا؛ أصبح كُلُّ ما يُقال عن حُكُومة العـراق هُـو الـصّحيح، وكُـلُّ مـا تُكذِّبه، أو تنفيه، أو تُوضِّحه إذاعة العراق غير صحيح بالمرَّة.

هذه حقيقة لا يُنكرها أحد مُطلقاً، وممَّا زاد في الطّين بلّـة أنَّ إذاعـة بغـداد لم تندفع في إعلان سخطها على الإنكليز والفرنسيّيْن كـما فعلـت إذاعـة القـاهرة، أو دمشق، أو الأُردن، ومثل هذه الأُمُور له أهمّيّتها في نَفْسيَّات الجماهـير، وقـد كانـت لها تأثير أنَّها حينها اتَّبعتها تلك الإذاعـات، وهُنـاك ناحيـة مُهمَّـة أُخـرى في إذاعـة بغداد، وهي أنَّ الجماهير مازالت تعتقد بأنَّ السّبب في إيقاف القتال في مصر ما هُـو إلاَّ إنذار بُولفانين، لذا؛ أصبح كُلُّ اتِّجاه في نَقْد رُوسيا، أو مُهاجمتها، لا يلقَى قُبُولاً طيِّباً في نُفُوس الشُّعُوب العَرَبيَّة.

وعليـه؛ فالطّبقـات الواعيـة تُـشير إلى أنَّ العـراق خـصم لـدود للـشُّيُوعيَّة وحُكُومتها، وليس بوُسعه أنْ يُغيِّر سياسته في ذلك، ولكنْ؛ بإمكان إذاعة بغداد أنْ تُخفِّف من تعليقاتها عن رُوسيا ـ الآن على الأقلّ ـ وأعمالها في المجر، وغربها، أو أنْ تُهاجم الإنكليز والفرنسيّيْن بنفس الأُسلوب الذي تُهاجم بـه رُوسـيا والـشُّيُوعيَّة، لكي تنسجم سياستها ـ ولـو بالظّـاهر ـ مـع سياسـة العاطفـة التـي تـسير عليهـا الحُكُومات العَرَبيَّة الأُخرى. إنَّ اعتبار رُوسيا هي الخـصم الأوَّل ـ قبـل الإنكليـز والفرنسيّيْن الآن ـ من إذاعة بغداد سبب من أسباب القلاقل والاضطرابات التـي يقوم بهـا الطُّـلاَّب في العـراق، فبالنّـسبة للجماهـير الـسّاذجة، ذلـك لأنَّ خُـصُوم حُكُومة العراق في سُوريا ومصر صاروا يُصوِّرون موقفها ـ أيْ موقف الحُكُومـة ـ وكأنَّ اتِّجاهاً مُضاداً لمصلحة العَرَب، وهُنا يُقال (وماذا تفعل إذاعة بغداد لتُفنِّد مـا

يُثار حول العراق من أكاذيب ومزاعم؟!)، والجواب هُـو أنْ تكتفـي بالتّوضـيح، وإيراد البراهين والأدلَّة على بُطـلان تلـك الأكاذيـب والمـزاعم، دُونـما انـدفاع في مُهاجمة حُكُومة سُورية، أو غيرها؛ لأنَّ حُكُومة العراق ـ كما يقولون ـ غير مُخلـصة كما صوَّرها خُصُومها، وكما صدَّقتها الشُّعُوب العَرَبيَّة، ويقولون ـ أيضاً ـ إنَّه لابُدَّ من التّهويش؛ أجل التّهويش في الإذاعـة، والـضَّرْب عـلى أوتـار العواطـف، مـع المُحافظة ـ بالطّبع ـ على السّياسة الرّشيدة التـي درجـت عليهـا حُكُومـة العـراق، ومثل هذا التّهويش لا يُغيِّر الحُكُومة، ولا يُقعـدها عـن تحقيـق أغراضـها، ولكنَّـه يُكسبها عطف النّاس، ويُكسبها الاستقرار، فتُؤدِّي أعمالها بصمت وهُدُوء.

بهجـت العطـيَّة

ع. و. مُـدير الشّرطة العامَّة

الفصل الرّابع :

نُوري السّعيد وانضمام الكُويت إلى العراق والتّآمر على سُوريا

تمهيد:

مُنذُ سنوات طويلة تجاوزت الثّلاث قُرُون عملت بريطانيا - لأسباب استراتيجيّة تتعلّق بمصالحها المُتعدِّدة - على تعزيز نُفُوذها في الخليج العَرَبي، وقد نجحت في مسعاها، واستطاعت أنْ تعقد مُعاهدات مع مشيخات الخليج؛ للوُصُول إلى هدفها. ولمّا شارف القرن التّاسع عشر الميلادي على نهايته، كان نُفُوذها قد تعزّز في الخليج في ضوء تلك السّياسة. على قدر تعلُّق الأمر بمنطقة الكُويت، التي كانت - حتّى أوائل القرن العشرين - جُزءاً من ولاية البصرة، فقد راحت تُشجّع وتحثُّ الأُسرة الحاكمة فيها - شُيُوخ آل صباح - لتوقيع اتّفاقيّات سرّيّة معها، هدفها النّهائي فَصْل منطقة الكُويت، وعزلها عن البصرة. تتعهّد بريطانيا مُقابل تلك الاتّفاقيّات لشُيُوخ آل صباح بتوفير الحماية، مقرونة بمُساعدات الدّفاع عنها، في وقت كانت الدَّولة العُثمانيَّة تغطُّ في نوم عميق، وهُو ما جَعَلَ الغربيُّون يُطلقون عليها الرّجل المريض، وما إنْ اندلعت الحرب العالميّة الأُولى عام 1914، حتّى أنزلت بريطانيا قُوّاتها العسكريَّة المُحتلّة في الفاو، فتعزّز موقف شُيُوخ الكُويت. أمّا العراقيُّون؛ فقد وجدوا - وعلى حين غرّة - أنّ الكُويت أصبحت خارج حُدُود دولتهم.. [1]

---

(1) مُحَمّد حمدي الجعفري : العراق وبريطانيا ، مصدر سابق ، ص9.

إنَّ انتهاء الحرب العالميَّة الأُولى عام 1918 ،الذي أفضى إلى احتلال العراق من قبَل القُوَّات العسكريَّة البريطانيَّة، مَنَحَ بريطانيَّة حُرِّيَّة التَّصرُّف بمصير المنطقة، ومن بينها العراق. وهكذا أصبح أمر انفصال الكُويت عن العراق الأُمّ مسألة لا تستند إلى حقٍّ شَرْعي، أو قانوني. وإنَّما فرضته مصالح بريطانيا في المنطقة. غير أنَّ هذا الأمر لم يثنِ العراقيِّيْن عن المُطالبة بها، وكذلك قادتهم، وظلَّت رُؤيتهم لهذه المسألة تدور في نَفْس الإطار، مُنذُ قيام الدَّولة العراقيَّة عام 1921، وحتَّى 1958، وهُو تاريخ انتهاء النُّفُوذ البريطاني في العراق. ومَنْ يُراجع الوثائق، ويطَّلع على الحقائق التَّاريخيَّة يجد ـ بوُضُوح ـ أنَّ العراقيِّيْن ـ بدُون استثناء ـ كانوا يُطالبون الحُكُومة البريطانيَّة ـ باستمرار ـ بإعادة الكُويت إليهم، ويُوضِّحون ـ بدُون كلال أو ملل لدُول الغرب والدُّوَل المُحيطة بالعراق ـ خلفيَّة الموضوع، وأحقِّيَّة العراق فيه. غير أنَّ اكتشاف النّفط ـ وبكمِّيَّات كبيرة ـ في الكُويت جَعَلَ بريطانيا تتمسَّك بها، وتعمل ـ بإصرار ـ على فَصْلها؛ مُستخدمة كُلَّ السُّبُل والوسائل، فقد أصبحت الكُويت الدّجاجة التي تبيض ذَهَباً لبريطانيا.. [1]

1- نُوري السَّعيد ونُشُوء فكرة انضمام الكُويت إلى العراق:

تعزيزاً لمنهجهم بانفصال الكُويت عن العراق، فقد ظهر عند البريطانيِّيْن تسمية الحُدُود الكُويتيَّة (الحُدُود الشَّماليَّة للكُويت) لأوَّل مرَّة في المُعاهدة غير المُصادَق عليها[2] بين تُركيا وبريطانيا سنة 1913، واعتبر شُيُوخ آل صباح ـ بعد خُضُوع العراق للاحتلال البريطاني ـ أنَّ حُدُود نُفُوذهم الجَغرافي يستند إلى تلك

---

(1) د. مُؤيِّد الونداوي : بريطانيا وسياسة فصل العراق عن الكُويت ، مصدر سابق ، ص 12.

(2) من المعروف أنَّ المُعاهدات التي تُعقَد بين دولتَيْن يجب أنْ يُصادق عليها مجلس البرلمان في كلا الدَّولتَيْن؛ لكي تأخذ إطارها الشَّرْعي (الباحث).

وحاولت بريطانيَّة ـ في مُناسبات عديدة ـ إقناع الحُكُومة العراقيَّة لتحديد الحُـدُود مع الكُويت، غير أنَّ العراقيِّين لم يفعلوا ذلك، وكانوا يُعبِّرون عن رغبـتهم بإعـادة الكُويت إلى الوطن الأُمِّ، أو على أقلِّ تقدير؛ أنْ يتمَّ حلُّ المُشكلة بيـنهم وبريطانيـا بطريقة مُرضية للعراق. الأمر الذي كانت بريطانيا ترفضه دوماً، بدعوى أنَّ ذلـك هُو من صلاحيَّة حاكم الكُويـت، الـذي لـيس لـديها عليـه سُـلطان، ومُنـذُ عـام 1950، كانت كُلٌّ من بريطانيا والولايات المُتَّحدة تسعيان ـ بجدٍّ ـ لإنشاء حلـف يضمُّها والدُّوَل العَرَبيَّة؛ إضافة إلى تُركيا وإيران، مـع مجموعـة دُول الكُومنولـث؛ منها أُستراليا، وكَنَدَا، وجنوب أفريقيا، وكان الهدف ظاهراً من وراء هـذا الحلـف هُو حماية المنطقة العَرَبيَّة ومنطقة الشّرق الأوسط من احتمالات تعرُّضـها للعُـدوان السُّوفيتي، ولم يكن هذا الهدف الوحيد لمثل هذا السّعي الغربي، بل كانـت هُنالـك أهداف أُخرى عديدة أُريـد تحقيقهـا في المُقدِّمـة، منهـا العمـل على إبقـاء الـنُّظُم السّياسيَّة العَرَبيَّة المُوالية إلى الغرب، واستمرار السّيطرة على ثروات المنطقة الحيويَّة للاقتصاد الغربي والعالمي، وعلى وجه التّحديد النّفط، الذي قُدِّر له أنْ يكون أهـمَّ سلعة اقتصاديَّة في العالم؛ حاضراً ومُستقبلاً، فضلاً عن استخدام الحلـف لمُواجهـة حركة التَّحرُّر الوطني والقومي المُتصاعدة في المنطقة العَرَبيَّـة، التـي يقودهـا عبـد النّاصر، وممَّا يجدر ذكره فإنَّ بريطانيا كانت، مُنذُ وقت طويل، سَبَقَ إعلان الحلـف قد عَقَدَتْ العزم على إبقاء محميَّاتها والمشايخ في الخليج العَرَبي بعيدة عن مثل هـذه الأحلاف، مع استمرار وإدامة سيطرتها ونُفُوذهـا ووُجُودهـا العـسكري فيهـا؛ إذْ كانت تُدار مصالحها ووُجُودها من قِبَل المندوب الـسّامي البريطـاني في البحـرَيْن، يُعاونه عدد كبير جدّاً من المُعتمدين السّياسيِّيْن والمُستـشارين المُنتـشرين في منطقـة الخليج العَرَبي. بمعنى آخر؛ إنَّ بريطانيا كانت تُريد للمناطق العَرَبيَّـة عـلى شـاطئ

الخليج أنْ تكون معزولة تماماً عمّا كـان يجـري مـن تـصاعد في النّـضال العَـرَبي، وأنْ تستمرَّ شركات النّفط الغربيّة بعملها في المنطقة"[1].

أمّا الولايات المُتّحدة الأمريكيّة فمن جانبها عقدت العزم ـ أيضاً ـ على إبقاء منطقة الجزيرة العَرَبيَّة تحت سُلطة آل سُعُود، وعدم إشراكها في مثـل هـذا الحلـف في مراحله الأُولى، مُستفيدة من حقيقتَيْن: الأُولى نُفُوذها الواسع على العائلة المالكة السُّعُوديَّة من خلال شركات النّفط، والثّانية أنَّ أمريكـا اسـتطاعت ـ مـن خـلال اتّفاقيَّة الظّهران التي حصلت بمُوجبها على تسهيلات عسكريَّة واسعة ـ الاستفادة من استخدام قاعدة الظّهران الجوِّيَّة. وفي الوقت ذاتـه؛ سـعت الولايـات المُتّحـدة لتعزيز المركز السّياسي للعائلة الحاكمة، ومَنْحها الشَّرْعيَّة، خُصُوصاً؛ وأنَّ الـوصي على عرش العراق الأمير عبد الإله كان مايزال يتطلَّع إلى عرش في الحجاز، الـذي كان والده قد فَقَدَهُ على يد آل سُعُود؛ بدَعْم وإسناد البريطـانيِّيْن والأمريكـان عـام 1926 م. وفي الواقع؛ نجح الأمريكان بهذا المسعى في عـام 1957، عنـدما قابـل الأمير عبد الإله الملك ابن سُعُود في الولايـات المُتّحـدة الأمريكيَّـة؛ حيـثُ ناقـشا ـ سويَّة ـ كيفيَّة الإطاحة بالرّئيس عبد النّاصر، وعدد من البريطانيِّيْن والأمريكان، وكان هذا اللّقاء بمثابة تنازل من قبَل الأمير عبد الإله عن عرشه في الحجـاز. لقـد فشلت كافَّة المُحاولات البريطانيَّة والأمريكيَّة لتأسيس هذا الحلف، الـذي أُطلـق عليه اسم (مُنظَّمة الدّفاع عن الـشّرق الأوسـط)، فقـد رفـض الـشّعب المـصري توقيع أيَّة اتّفاقيَّة جديدة مع بريطانيا تضمن بقاء القُـوَّات البريطانيَّـة البالغـة مئـة وخمسين ألف جُندي تقريباً في مصر، كما أفشل الشّعب العراقـي في كـانون الثّـاني مُعاهدة بورتسموث لسنة 1948، وبعد أنْ قدَّم ثلاثة مئة شـهيد وجـريح في يـوم

---

(1) Fo To Baghdad. No. 322. 10.2. 1958. Fo 371/133813.

مُعاهدة بورتسموث لسنة 1948، وبعد أنْ قدَّم ثلاثة مئة شـهيد وجـريح في يـوم واحد في شوارع بغداد[1]، لقـد ازداد نـضال الـشّعب العَـرَبي وإصراره عـلى عـدم استمرار التّواجد الغربي في المنطقة العَرَبيّة، خُصُوصاً بعـد أنْ تكـشَّف لـه تواطـؤ بريطانيا من جهة، ودَعْم الولايات المُتّحدة لإنشاء الكيـان الـصّهيوني في فلـسطين العَرَبيَّة، وقد برز هذا الإصرار بشكل أكثر وُضُوحاً عندما رفـض النَّحَّـاس باشـا رئيس الوُزراء المصري والبرلمان المصري المُقترَحَ الغربي لتأسيس مُنظَّمة الدّفاع عن الشّرق الأوسط؛ حيثُ رفـض النَّحَّـاس باشـا مُناقـشة جوانـب المُقـترَح قبـل أنْ تنسحب القُـوَّات البريطانيَّـة مـن القواعـد العـسكريَّة في منطقـة قنـاة الـسُّويس. واستمرَّت المُحاولات الغربيَّة لتأسيس مُنظَّمة الدّفاع عن الشّرق الأوسط بالفشل حتَّى قيام الثّورة في مصر عام 1952، بقيـادة الـرّئيس جمـال عبـد النّـاصر، الـذي تمسَّك بالمبادئ القوميَّة لحركة القوميَّـة العَرَبيَّـة، ورفـضه التّواجـد الأجنبـي عـلى الأرض العَرَبيَّة، مُتَّخذاً من سياسة الحياد في الحرب الباردة بين المُعسكرَيْن الشّرقي والغربي منهجـاً لـبلاده. وإزاء فـشلها في اسـتقطاب مـصر عبـد النّـاصر؛ راحـت بريطانيا تُشجِّع حليفها القويّ في العراق نُـوري الـسّعيد لغـرض قيـادة الـدُّوَل العَرَبيَّة وإشراكها في حلْف يضمُّ ـ في البداية ـ بريطانيا، والعراق، وتُركيا، وإيران، والباكستان، والولايات المُتّحدة، وكانت الخُطـط الموضـوعة بهـذا الاتّجـاه أنْ تـتمَّ ـ لاحقاً ـ عمليَّة إلحاق سُوريا، ولُبنان، والأُردن، ومصر، في الحلف الغـربي المُقـترَح. لقد نجحت الخُطَّة الغربيَّة في تطبيق الجانب الأوَّل منهـا، وتَـمَّ إنـشاء حلـف بغـداد مطلع عام 1955، رغم مُعارضة القوى الوطنيَّة في عُمُوم السّاحة العَرَبيَّـة. ومُنـذُ

(1) مُحَمَّد حمدي الجعفري: انقلاب الوصي في العراق، مصدر سابق، ص 157.

البداية؛ اكتشفت بريطانيا ونُوري السّعيد خطر استمرار العراق البلد العَرَبي الوحيد في حلف بغداد على بنية ومُستقبل نظامه السّياسي، ممّا دفع تلك الأطراف للتّفكير بإيجاد حُلُول لاستقطاب بعض الدُّوَل العَرَبيَّة، وإشراكها ببعض النّشاطات غير السّياسيَّة والعسكريَّة لحلف بغداد؛ لكي تُمهِّد الطّريق للانضمام إلى حلف بغداد في وقت لاحق. وكان المعروف عن نُوري السّعيد كثرة تقديم الأفكار والمُقترحات، فبادر وعرض على وزير الخارجيَّة البريطاني فكرة إنشاء لجنة اقتصاديَّة داخل الحلف، تقف إلى جانب بقيَّة اللّجان الأُخرى، مهمَّتها تنسيق السّياسات الاقتصاديَّة والمنافع بين الدُّوَل والمناطق الأُخرى في الشّرق الأوسط، وقد قُبلت هذه الأفكار ووافق عليها المجلس الوزاري الأوَّل لحلف بغداد، الذي عُقد في بغداد أواخر عام 1955، واقترح نُوري - أيضاً - دعوة كُلٍّ من لُبنان، والسُّودان، والكُويت، للانضمام لهذه اللّجنة الاقتصاديَّة، لكنَّ المُقترَحَ سُرعان ما رَفَضَهُ الأمريكان؛ إذْ كانوا يُعارضون أنْ تنضمَّ أيّة دولة عَرَبيَّة لها حُدُود مُشتركة مع الكيان الصّهيوني إلى الحلف، وكان الأمريكان يُصرُّون على تحقيق صُلح دائم بين العَرَب والكيان الصّهيوني قبل اشتراك هذه الدُّوَل في حلف بغداد. أمّا بريطانيا؛ فقد كانت - هي الأُخرى - حريصة جدّاً على إبقاء الكُويت بعيدة عن الأضواء والمسرح السّياسي العَرَبي، خُصُوصاً وأنَّ الكُويت قد بدأت تشهد هي الأُخرى نشاطاً ملحوظاً للتّيَّار القومي فيها، الذي بات يتأثّر بشعبيَّة المُقدَّم ناصر.[1] أمّا حاكم الكُويت - كما يذكر السّفير البريطاني ببغداد - فإنّه واعٍ - بشكل عميق - لشعبيَّة عبد النّاصر في الكُويت[2] بينما كانت أُسرة آل صباح الحاكمة -

(1) هكذا ورد في نصّ الوثيقة البريطانيَّة (الباحث).

(2) No. 332.10.2.1958.fo 371/133813 FO TO BAGHDAD.

ومُنذُ عام 1948 ـ لا تُعارض قيام شركات النّفط الغربيّة العاملة في الكُويت بتأمين كمّيّات واسعة من حاجة الكيان الصّهيوني للنّفط. إنَّ التّيّار القومي العَرَبي بقيادة الرّئيس جمال عبد النّاصر ـ وبسبب وُقُوفه ضدَّ سياسة الأحلاف، وتهديده للمصالح الغربيّة، وكَشْفه لسُلُوك حُلفاء الغرب المحلّيّيْن في المنطقة، وفي مُقدِّمتهم نُوري السّعيد في العراق ـ جعله عُرضة لمُؤامرة كبيرة، أسهم في التّخطيط والتّنفيذ لها كُلٌّ من بريطانيا، والولايات المُتّحدة، وفرنسا، و(إسرائيل)، وحُلفائهم المحلّيّيْن؛ في المُقدِّمة منهم نُوري السّعيد، وآل سُعُود ، كما أدرك هؤلاء خَطَرَ التّيّار القومي الذي يقوده عبد النّاصر على مصالحهم، فقرّروا تحجيم دور عبد النّاصر، ونُفُوذه في الأوساط الشّعبيّة العَرَبيّة، ومن ثمَّ؛ القضاء عليه في مرحلة لاحقة. إنَّ وثائق الحُكُومة البريطانيّة تكشف ـ بوُضُوح ـ عن الخُطط والأفكار التي تَمَّ اتّخاذها لتنفيذ تلك المُؤامرة، التي تَمَّ ترتيبها خلف الكواليس ما بين لندن وواشنطن والرّياض وعواصم دُول الحلف الأُخرى. ولم يمضِ وقت طويل حتّى تَمَّ تنفيذ المُخطَّط ضدَّ عبد النّاصر، وحالما أقدم على تأميم قناة السُّويس ردّاً على سَحْب الولايات المُتّحدة وبريطانيا استعدادهما لتمويل تنفيذ مشروع السَّدِّ العالي. أعلنت كُلٌّ من بريطانيا وفرنسا ـ وبالاتّفاق مع الكيان الصّهيوني ـ أنَّ عبد النّاصر قد أوقع ضَرَرَاً بمصالحها، فشنَّت عُدواناً عسكريّاً شاملاً ضدَّ مصر في تشرين الثّاني من عام 1956، بهدف تركيع مصر ورمزها عبد النّاصر، وإعادة احتلالها، من ثمَّ؛ إعادة الوَضْع في المنطقة العَرَبيّة كما كان عليه بعد نهاية الحرب العالميّة الأُولى عبر تقسيمها إلى مناطق نُفُوذ بين الأطراف الثّلاثة، لكنَّ معركة السّويس انتهت بانتصار عبد النّاصر سياسيّاً، وعلى أثرها بات مركزه يُشكِّل خُطُورة أكبر

على المصالح الغربيَّة في المنطقة العَرَبيَّة عمَّا كان عليه الحال قبل وُقُوع العُدوان الثُّلاثي، في المُقابل؛ فَقَدَ الغربُ صوابَهُ بعد هذه الانتكاسة، وأصبح يخشى - جدِّيّاً - على مصالحه المُستقبليَّة في عُمُوم المنطقة العَرَبيَّة، بما في ذلك مصالحه في مناطق الجزيرة العَرَبيَّة والخليج العَرَبي، لذلك؛ لم يكن غريباً أنْ تُصرِّح الحُكُومة البريطانيَّة بأنَّها غير مُستعدَّة للتّنازل أو التّفريط بمنطقة الخليج مهما كلَّف الأمر.[1]

2- نُوري والتّقارب مع أُسرة آل صباح:

لقد دفع الفشل في معركة السُّويس حُلفاء الغرب المحلّيِّين، وبدَفْع وتشجيع وترتيب من قبَل الولايات المُتَّحدة، وبريطانيا، لتأسيس مُعسكر مُضادٍّ لناصر، يضمُّ النّظام السُّعُودي ونُوري السّعيد؛ وحيثُ إنَّ عُدوان السُّويس قد أثار الوطنيِّيْن العراقيِّيْن جميعاً، وهزَّ مُستقبل حليف بريطانيا القوي في العراق، إضافة لاهتزاز المصالح البريطانيَّة العامَّة فيه، لذلك؛ فإنَّ بريطانيا بدأت تعمل لخَلْق نوع من التّقارب أكثر فأكثر بين أُسرة آل صباح والنّظام السّياسي الحليف في بغداد، كذلك بدأ شُعُور بالخوف ينتاب المسؤولين البريطانيِّيْن من احتمالات الثّورة في الكُويت لإسقاط أُسرة آل صباح، التي لم تُظهر تعاطفها مع عبد النّاصر، وثانياً؛ أنَّ الشّركات النّفطيَّة العاملة في العراق بدأت تنظر بعين الاعتبار والأهمِّيَّة إلى مدِّ خطٍّ نفطيٍّ من الأراضي العراقيَّة في الجنوب إلى البحر عبر أراضي الكُويت. هذه الخُطوة لم تكن - فقط - خوفاً من تكرار العمل بتعطيل خطِّ النّفط العراقي المارّ عبر سُوريا خلال عُدوان السُّويس، وإنَّما مُحاولة - ضمن مُحاولات أُخرى - للضّغط على سُوريا للابتعاد عن مصر، والسّبب الأخير والأهمُّ من كُلِّ ما تقدَّم في المُحاولة البريطانيَّة لإحداث التّقارب بين حُكُومة بغداد وأُسرة آل صباح هُو

Miacl Rieght to Slween Loughed. No. 176, 4.7.1957, Fo 371/128041. (1)

مُحاولة بريطانيا ـ وبعد أنْ بدأت تتلمَّس قُرب نهاية حُلفائها في العراق ـ بدأت تُشدِّد على انتزاع اعتراف عراقي كامل بالوَضع السّياسي لأُسرة آل صباح في الكُويت من خلال الضّغط على العراق؛ لكي يعمل على تحديد حُدُوده معها. ووُفق ما ورد ضمن الرّسالة السِّرِّيَّة التي قدَّمها نُوري السّعيد عام 1932، وبحسب تفسير أُسرة آل صباح لها، فقد قدَّرت الدّوائر البريطانيَّة بأنَّ نُوري السّعيد ـ وبسبب تردِّي مركزه الدّاخلي بسبب سياسته الدّاخليَّة والخارجيَّة ـ قد أصبح مُهيَّئاً لأنْ يمنح آل صباح اعترافاً بكيانهم واستقلالهم عن العراق. وفي إطار هذا التَّصوُّر أُعيد طرح الموضوع الذي استمرَّ الحديث فيه لسنوات طويلة، نقصد ـ بذلك ـ استعداد العراق لتجهيز الكُويت بحاجتها من مياه شطِّ العَرَب مُقابل أنْ تُبادر الأخيرة بالسّماح للعراق بتصدير نفطه عبر الموانىء الكُويتيَّة من خلال قيام شركات النّفط الأجنبيَّة بمدِّ أُنبُوب لهذا الغرض. وقد تولَّت بريطانيا ـ من جانبها ـ المُفاوضة نيابة عن أُسرة آل صباح حول هذا الموضوع، ومن جانب الحُكُومة العراقيَّة، وإدراكاً منها بأهمِّيَّة المياه لسُكَّان الكُويت، فقد عرضت كافَّة التّسهيلات لضمان وُصُول المياه، ومن دُون أي مُقابل مالي أو شُرُوط. لقد وافقت الحُكُومة العراقيَّة على هذا الاتِّفاق الأوَّلي، الذي جاء بعد مُشاورات مع السُّلطات البريطانيَّة، وقد أبلغ السّفير البريطاني في بغداد مرجعه في لندن بتاريخ 29 كانون الثّاني 1957، بمُوافقة الحُكُومة العراقيَّة بصدد الموضوع، طالباً من حُكُومته المُوافقة على ما تضمَّنه المُقترَح[1]، وأنْ تُشجِّع أُسرة آل الصّباح الحاكمة للمُوافقة عليه أيضاً، وتخويله بأنْ يقوم بالتّوقيع عليه. كما وطلب السّفير أنْ تسمح أُسرة آل صباح بمُباشرة شركة نفط العراق(I.P.C) بمدِّ أُنبوب النّفط المُقترَح إلى المياه

---

(1) Mical Rieght To Fo. 29.11.1957. Fo 371/ 126960.

العميقة على الخليج العَرَبي عبر الكُويت، وأنْ تعمل هذه الشّركة ـ جنباً إلى جنب ـ مع بقيَّة الشّركات البريطانيَّة، التي فُسح المجال لها لتنفيذ المشروع الأوَّل. من جانب المُعتمد السّياسي البريطاني في الكُويت قام بتاريخ 4 شباط 1957، بزيارة حاكم الكُويت، وخلال الزّيارة؛ عرض المُعتمد البريطاني على الحاكم مُسوّدة وخرائط الاتّفاقيَّة الجديدة الخاصَّة بتوصيل مياه شطّ العَرَب إلى الكُويت، وطالب المُعتمد السّياسي البريطاني حاكم الكُويت بالمُوافقة على ما وَرَدَ فيها، لكنَّ حاكم الكُويت ـ وبأُسلوب دبلوماسي؛ حيثُ لم يكن راغباً بأنْ تُوافق أُسرته على هذه الاتّفاقيَّة قبل أنْ تضع بعض الشُّرُوط ـ فقد أخبر الدّبلوماسي البريطاني بأنَّه يرغب بأنْ يتمَّ التّوقيع على الاتّفاقيَّة، ولكنَّه ـ من جانبه ـ يودُّ عرضها على مجلس الأُسرة أوّلاً. في الواقع؛ لم تكن أُسرة آل صباح مُستعدَّة لأنْ يُطفيء سُكَّان الكُويت ظَمَأَهُم بمياه شطّ العَرَب، التي كانت ـ ولا تزال ـ الكُويت بأمسّ الحاجة إليها، وكانت العائلة ـ من جانبها ـ مُستعدَّة للتّضحية بالملايين من الباونات الذّهبيَّة من عوائد البترول كي يتمَّ إنشاء محطَّات لتحلية المياه، وذلك من أجل إبقاء سُكَّان الكُويت بعيدين عن أيّ نوع من روابط الصّلة مع شعبهم في العراق، وهكذا أخذت الأُسرة الحاكمة تُماطل، وترفض التّوقيع على الاتّفاقيَّة الخاصَّة بشَطّ العَرَب مع العراق، وقد استخدمت أُسلُوب إحالة المشروع المُقترَح من دائرة حُكُوميَّة إلى أُخرى، ومن شركة بريطانيَّة إلى أُخرى، لتسويف الموضوع. لقد أثارت عمليَّة المُماطلة والتّأخير المُتعمَّد من قبل أُسرة آل صباح حفيظة حُكُومة العراق والشّعب العراقي وأحاسيسهم بأنَّ أُسرة آل صباح تُحاول الحُصُول على مكسب سياسي لها أوّلاً، وقبل أنْ تُعلن الأُسرة عن مُوافقتها على المشاريع التي يستفيد منها سُكَّان الكُويت والعراق؛ حيثُ أكَّدت ذلك الرّسالة التي بعثها

السّفير البريطاني في بغداد السِّير مايكل رايت بتاريخ 5 آذار 1957. لم يمضِ وقت طويل حتّى كشفت أُسرة آل صباح عن حقيقة وأسباب المُماطلة والتأخير بإعطاء مُوافقتها بتنفيذ المشاريع المُقترَحَة، ففي التّاسع من آذار؛ أوضحت الأُسرة الصّباحيَّة بأنَّه لا يُمكن المُوافقة على تنفيذ المشروع قبل أنْ يُوقِّع العراق اتِّفاقاً مع أُسرة آل صباح يتعلَّق بتحديد الحُدُود مع مناطق نُفُوذهم، بمعنى آخر؛ إنَّ أُسرة آل صباح أرادت من العراق أنْ يُعلن عن تنازله نهائيّاً عن مُطالبة التّاريخيَّة في الكُويت، وقد برَّر مجلس الأُسرة موقفه هذا بأنَّ عدم تحديد الحُدُود من شأنه أنْ يُثير المشاكل لاحقاً بين الجانبَيْن. الحقيقة الأُخرى التي توصَّل لها المُعتمد السّياسي البريطاني حول رفض الأُسرة الصّباحيَّة هذا، ومن خلال لقاءاته مع أعضائها، هي أنَّ مجلس الأُسرة يعتقد بأنَّ حاجة العراق لمدِّ أُنبوب نفطه هي أكثر من حاجة سُكَّان الكُويت لمياه شطِّ العَرَب، وإنَّهم - لذلك - يُفضِّلون أنْ يستغلُّوا حاجة العراق هذه، بُغية فرض شُرُوطهم عليه، وإجباره لإعلان تنازله رَسْميّاً عن مُطالبة في الكُويت. وقد تأيَّدت هذه التّحليلات من خلال الرّسالة التي بعثتها الأُسرة الصّباحيَّة للحاكم والمُعتمد السّياسي البريطاني بهذا الشّأن. وبرغم تعاطف المُعتمد السّياسي البريطاني في الكُويت، وكذلك المندوب السّامي البريطاني في البحرَيْن مع مطالب آل صباح، فإنَّ زميلهم السِّير مايكل رايت السّفير في بغداد كانت له وُجهة نَظَر أُخرى، ولقد ظهر أنَّه لم يكن واثقاً بأنَّ العراقيِّيْن سوف يُوافقون على مطالب آل صباح، والواقع يُشير إلى أنَّ الوَضْع كان كذلك فعلاً، لقد أكَّد السّفير البريطاني من بغداد - وعبر عدد من البرقيَّات التي بعثها لحُكُومته - بأنَّ موضوع قُبُول العراق بتحديد الحُدُود من شأنه أنْ يخلق متاعب كثيرة للحُكُومة في بغداد، وأنَّ الأخيرة ستُفضِّل وَضْع المشاريع على الرَّفِّ بدلاً من المُجازفة، وتعرُّضها

لغضب الشّعب العراقي، الذي ـ هُو الآخر ـ مُقتنع بأنّ بريطانيا هي التي تدعم أُسرة آل صباح، وتسعى لإجبار العراق لأنْ يعترف بحُدُود الكُويت، وترفض إعادة هذا القضاء العراقي للوطن الأمّ، وتُشير الوثائق البريطانيّة، ومنها البرقيّة المُرقّمة 7 في 14 آذار 1957، والمحفوظة في الملفّ المُرقّم (F0371/126960) التي رفعها المعتمد السّياسي البريطاني في الكُويت إلى وزارة الخارجيّة تُؤكّد ـ فعلاً ـ حقيقة المشاعر العراقيّة هذه، وتُؤكّد ـ أيضاً ـ مساعي بريطانيا الفعليّة بصَدَدها[1].

3- بريطانيا والحلّ العراقي ـ الكُويتي:

كان لابُدّ من الوُصُول إلى حَلٍّ يُرضي الأطراف الثّلاثة، وكالعادة؛ تقدّم البريطانيُّون بحَلٍّ أسموه الحَلّ الوسط، ولكنْ؛ لو تمعّنا في هذا الحَلّ ـ الذي سنُشير إليه بعد قليل ـ سنجد أنّه لا يضمن سوى المصالح البريطانيّة العامّة وشركات النّفط وأُسرة آل صباح فقط، مع إبقاء المُشكلة قائمة، في حين كان على العراقيّين تقديم تنازلات كثيرة. لقد جاء المُقترَح الذي تقدّمت به وزارة الخارجيّة البريطانيّة في برقيّتها المُرقّمة 786 في 20 آذار 1957، والمحفوظة في الملفّ (F0371 /126960) أنْ تقوم الحُكُومة البريطانيّة ـ ومن دُون الإعلان بتقديم ضمانات سرّيّة إلى أُسرة آل صباح ـ بأنّها تتمسّك بالاتّفاق العراقي البريطاني لعام 1932، الخاصّ بالكُويت، على أنْ تقوم الحُكُومة العراقيّة ـ من جانبها ـ بإعطاء ضمانات سرّيّة بأنْ لا تطرح للعَلَن قضيّة الحُدُود، وأخيراً؛ أنْ تُوافق الحُكُومة العراقيّة على تحديد الحُدُود في النّقاط التي سيمرُّ بها خطُّ النّفط المُقترح[2]، لقد اعتقدت وزارة الخارجيّة البريطانيّة أنّ مثل هذه المُقترحات تُمثّل حَلاً مُتكاملاً يُمكنها تنفيذه ومن خلال مُمارسة الضّغط على العراق، وإقناعه بمشروعيّة مطالب آل صباح.

Kuwait To Fo. No. 7.14. 3. 1957. Fo 371/126960. (1)

Fo. To Baghdad. No. 786. 20. 3. 1957. Fo 371/ 126960. (2)

ولغرض إنجاح هذا المُقترَح؛ فقد اقترحت الخارجيَّة البريطانيَّة أنْ يقوم السَّيِّد يُوسُف الكيلاني المُدير العامّ في وزارة الخارجيَّة العراقيَّة بزيارة الكُويت؛ لغرض إعطاء حاكم الكُويت تطمينات بصَدَد تمسُّك العراق بالمبادئ الواردة في اتِّفاق (الرّسائل السِّرِّيَّة) 1932، في ذات الوقت؛ يقوم المُعتمد السّياسي البريطاني في الكُويت بمُقابلة الحاكم هُنالك، وإبلاغه بأنْ يمتنع عن تقديم أيَّة مطالب جديدة في أراضٍ عراقيَّة. وافق حاكم الكُويت على زيارة السَّيِّد يُوسُف الكيلاني، وضمن الشُّرُوط التي حدَّدتها الخُطَّة البريطانيَّة في ذات الوقت، رفض الحاكم إجراء أيِّ تغيُّر في الخُطُوط الحُدُوديَّة المُثبَّتة في الرّسائل السِّرِّيَّة لسنة 1932، برغم أنَّ البريطانيِّيْن هُم أنفسهم الذين وضعوا تلك الحُدُود على الخرائط، وبأيديهم، مع تعمُّد مقصود بمُوجبه وسَّعوا منطقة الكُويت وعلى حساب مناطق العراق الأُخرى بمسافة تزيد على 25 كم مُربَّعاً. أمّا السّفير البريطاني في بغداد؛ فقد كان عليه أنْ يُقدِّم الخُطَّة المُقترحة من مرجعه في لندن إلى الحُكُومة العراقيَّة، وفعلاً؛ جرى الحديث بينه وبين نُوري السّعيد السّياسي العراقي الوحيد الذي كانت تتمُّ معه مُناقشة كافَّة القضايا المصيريَّة التي تخصُّ العراق والمنطقة العَرَبيَّة، وتُشير البرقيَّة التي أرسلها السّفير البريطاني السِّير مايكل رايت من بغداد تحت رَقْم 386 في 27 آذار 1957، بأنَّه، وخلال النّقاش مع نُوري السّعيد، فقد عبَّر الأخير عن أمله بأنْ يكون حاكم الكُويت قد وَضَعَ قضيَّة الحُدُود جانباً، وأنَّه مُستعدٌّ للتَّوصُّل إلى اتِّفاق بصدد قيام العراق بتقديم كافَّة التّسهيلات مجَّاناً لتوصيل المياه من شطِّ العَرَب إلى الكُويت، والسّماح له بمدِّ أُنبوب النّفط، وأضاف نُوري السّعيد مُبيِّناً للسّفير بأنَّه إنْ لم يكن الأمر كذلك، فإنَّ أيَّة حُكُومة عراقيَّة سوف تُجبَر ـ ومن خلال الرَّأي العامّ العراقي ـ على إعادة

النّظر ـ وبشكل شامل ـ بموضوع الحُدُود، وتُطالب بإجراء تعديلات كبيرة لصالح العراق. إنَّ نُوري السّعيد المعروف بدهائه السّياسي، وبُغية أنْ لا يضع نفسه في المأزق، فقد اقترح أنْ يتُمّ ترتيب موضوع مَدِّ الأُنبُوب النّفطي بين حاكم الكُويت وشركة نفط العراق، وليس بين الجانبَيْن العراقي والكُويتي، فليس من العسير فَهْم الأبعاد السّياسيّة والمُستقبليّة لهذا المُقترَح، لهذا؛ نجد أنَّ نُوري السّعيد أخبر السّفير البريطاني ـ وخلال اللّقاء ذاته ـ بأنّه ليس مُستعدّاً لإعطاء أيّة ضمانات بصَدَد تحديد الحُدُود؛ كي يضمن التّوقيع على اتّفاقيّة مَدِّ أُنبُوب النّفط، بمعنى آخر؛ إنَّ نُوري السّعيد ـ وبرغم قناعته بأهمِّيَّة الأُنبُوب النّفطي المُقترَح لُمستقبل العراق الاقتصادي والاستراتيجي ـ فقد رفض أنْ يُقدِّم أيَّ شيء من شأنه أنْ يُعَدَّ تأكيداً عراقيّاً جديداً عمّا وَرَدَ في الرّسائل السّرِّيَّة لسنة 1932، ولعلَّ من الأسباب الأُخرى لهذا الموقف الذي بدر من نُوري السّعيد هُو الخوف من رَدِّ فعل الشّعب العراقي[1].

على أيّة حال؛ فإنَّ موقف ورَدَّ فعل نُوري السّعيد هذا قد دفع بالسّفير البريطاني إلى أنْ يطلب من حُكُومته المُوافقة على أنْ تُبذل الجُهُود لتأجيل زيارة السَّيِّد يُوسُف الكيلاني إلى الكُويت، مادام نُوري السّعيد مُصرّاً على رأيه، في الوقت الذي طلب السّفير وقتاً إضافيّاً كي يستطيع ـ خلاله ـ تغيير موقف نُوري هذا، وأكّدت السّفارة البريطانيّة في بغداد لمرجعها في لندن بأنَّ موقف نُوري السّعيد ـ في تلك اللّحظات ـ لم يكن باستطاعته أنْ يتّخذ سوى هذا القرار، وشدَّدت السّفارة البريطانيّة بأنَّ العراقيّيْن مُقتنعون بأنَّ الإمبرياليّيْن هُم الذين وضعوا الحُدُود لعَزْل الكُويت عن بلادهم، وأنّهم يعتقدون بأنّه ـ من خلال الوحدة العَرَبيّة ـ بإمكانهم أنْ يُعيدوا الكُويت إلى العراق، وأكّد السّفير أنَّ هذا

Miacl Rieght To Fo. No.368. 27.3.1957. Fo 371/126960. (1)

التَّوجُّه لدى العراقيِّيْن ليس مُنحصراً لدى القوى الوطنيَّة العراقيَّة فحسب، بل إنَّه موجود حتَّى لدى الفئات الصّديقة لبريطانيا والغرب، وَطَرَحَ اسم الدُّكتُور فاضل الجمالي نموذجاً لذلك، وأعضاء في البرلمان العراقي، من الذين يعتقدون بأهمِّيَّة الوحدة بين العراق، والأُردن، وسُوريا، وأنَّ إعادة الكُويت للعراق من شأنه أنْ يُساعد العراقيِّيْن في تقديم العون المالي - وبشكل واسع - لسُورية، والأُردن، ورَفْع المُستوى المعاشي لعُمُوم السُّكَّان في دولة الوحدة، التي ستكون بأمسِّ الحاجة للعوائد النّفطيَّة، والتي يُمكن أنْ يُوفِّرها العراق إذا ما عادت الكُويت إليه في إحداث تنمية شاملة. لقد أكَّد السّفير - مرَّة أُخرى - في تقريره الذي بعثه إلى حُكُومته بتاريخ 4 نيسان 1957، بأنَّ العراقيِّيْن مُتذمِّرون تماماً من قيام أُسرة آل صباح بتبذير الأموال عبر استثمارها في خارج الوطن العَرَبي، في الوقت الذي نجد العَرَب بأمسِّ الحاجة لمثل هذه الأموال؛ لكي تُسهم بتطوُّرهم الاقتصادي والاجتماعي والعسكري، وأنَّه ليس من الحقِّ أنْ تستفيد منها الخزينة البريطانيَّة والمصالح الأمريكيَّة، وأضاف السّفير في تقريره بأنَّ العراقيِّيْن يعتقدون تماماً بأنَّ فَصْل الكُويت عن بلادهم قد جاء لخدمة المصالح البريطانيَّة، ولذلك؛ فهُم يرفضون استمرار مثل هذا الفَصْل والتّقطيع المُتعمَّد لأوصال العراق، وحرمانه من الموانيء العميقة في رأس الخليج العَرَبي، ورغم تأكيد السّفير بأنَّ نُوري السّعيد سوف لن يكون النّوع الذي سيُؤجِّج المشاعر بين العراقيِّيْن لغرض إعادة الكُويت إلى العراق، فإنَّه أكَّد بأنَّ قائداً وطنيّاً عراقيّاً آخر بإمكانه أنْ يعتمد على دَعْم الجماهير العراقيَّة له، ويُقدم على إعادة الكُويت إلى البلد الأُم[1].

---

(1) Miacl Rieght To Slween Loughd. No.176. 4.7.1957. Fo 371/128041.

لقد ذهبت السّفارة في تحليلها لموقف نُوري السّعيد الذي أشرنا إليه أعلاه، واقتنعت بأنَّ نُوري السّعيد لم يكن يُعارض الخُطَّة البريطانيَّة، غير أنَّه ـ وخوفاً من الجماهير ـ كان يُريد أنْ تُساعده الحُكُومة البريطانيَّة بشيء في موضوع الكُويت؛ كي يستطيع أنْ يُقدِّم للشّعب العراقي شيئاً يُهدِّئه، ويحرم المُعارضة الوطنيَّة العراقيَّة من توجيه النّقد له في حالة التّضحية بحُقُوق العراق، وما هي الأُمُور التي بإمكان بريطانيا أنْ تُقدِّمها لنُوري في موضوع الكُويت؛ كي تُساعده في مُواجهة الرَّأي العامّ العراقي في حالة تنازله عن الكُويت! من جانب السّفير البريطاني؛ أشار إلى ما يلي: *أوَّلاً*: السَّيْر بتنفيذ مشروعَيْ مياه شطّ العَرَب وخطّ النّفط إلى الكُويت، *ثانياً*: تأجير مناطق من الكُويت والعراق بضمنها جزيرة وربة لغرض تنمية ميناء أُمّ قصر، أو القيام بتنفيذ خُطَّة تعاون مُشترك، يُسهم العراقيُّون والكُويتيُّون فيها بتوفير الأرض والأموال لغرض تنمية ميناء أُمّ قصر. لقد ناقش السّفير السِّير مايكل رايت هذا المُقترَح مع نُوري السّعيد، ولكنَّ الأخير أعرَب عن استعداده شخصيَّاً لترك موضوع الحُدُود كما هُو عليه، غير أنَّه أكَّد على السّفير بأنَّ الحُكُومة العراقيَّة سوف تعرض إبقاء الوَضْع الحُدُودي المفروض عليها، وكما هُو قائم، وأضاف نُوري ـ أيضاً ـ بأنَّه إذا ما كان على الحُكُومة العراقيَّة أنْ تخضع وتُوافق على تحديد الحُدُود، فإنَّ ذلك يجب أنْ يتمَّ بطريقة تضمن إبقاء وجه الحُكُومة العراقيَّة نظيفاً أمام شعبها، وتمنَّى أنْ يتمَّ عبر إعارة مناطق من الأراضي للعراق. وقد نصح نُوري السّعيد السّفير البريطاني بأنَّ على أُسرة آل صباح أنْ تستفيد من الفُرصة المُتاحة لها الآن لتحديد الحُدُود، وذلك بالسّماح للعراق باستعادة هذه القطَع من الأرض التي وصفها بأنَّها صغيرة، والسّماح لتنفيذ مشاريع الماء والنّفط المُقترحة. وقد حذَّر بأنَّ مثل هذه الفُرصة قد لا تتكرَّر في

وقت لاحق، وأنَّ السّنوات القادمة قد تحمل في ثناياها متاعب خطيرة، ستكون الكُويت هي الخاسر الوحيد، والتي من شأنها ـ أيضاً ـ أنْ تُشكِّل تحدِّياً للحُكُومة البريطانيَّة. إنَّ آراء نُوري السّعيد وتأكيدات السِّير مايكل رايت قد وجدت بعض التّأييد لها من قبَل مُوظَّفي وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة، إلاَّ أنَّ ذلك لم يكن يعني عدم وُجُود آراء أُخرى مُعارضة لها، وأنَّ تلك الآراء تُفضِّل إبقاء المشاكل مُعلَّقة لما يُمكن تُحقِّقه من فوائد للمصالح البريطانيَّة، إلاَّ أنَّ القرار النّهائي لوزارة الخارجيَّة البريطانيَّة كان يُؤكِّد على حَثِّ العراق والكُويت التَّوصُّل إلى اتِّفاق بهذا الشّأن. لذلك؛ قام المُعتمد السّياسي البريطاني في الكُويت بمُفاتحة شيخ الكُويت عبد الله السّالم الصّباح، لكنَّ الأخير رفض بشدَّة، وذكر بأنَّ على العراق أنْ يمنح أُسرتَهُ الأرض التي تُشكِّل دولة لها، وجاء هذا الرَّدُّ لأنَّه كان مُقتنعاً أنَّه بإمكان بريطانيا أنْ تُمارس تأثيراً على حليفها القوي نُوري السّعيد، ومن جانب آخر؛ جرى حوار حول الموضوع بين المُعتمد السّامي البريطاني في الكُويت السَّيِّد بيل مع السَّيِّد على مُمتاز الدّفتري وزير الماليَّة العراقي ووكيل وزير الخارجيَّة في بغداد. ومن جانبه رفض الدّفتري أنْ يتمَّ تحديد الحُدُود مثلما يُريد حاكم الكُويت قبل مُوافقته على مدِّ أُنبوب النّفط، واستمرَّ الحوار من غير أنْ يُفضي إلى شيء، رغم أنَّ الدّوائر البريطانيَّة اقترحت وشجَّعت على أنْ يتمَّ لقاء الدّفتري وحاكم الكُويت، لكنَّها فشلت، وفي الأخير؛ عُقد اجتماع سرِّيٌّ غير رَسْمي بينهما في لُبنان، وهُو عبارة عن حوار لم يُعتمَد رَسْمياً، وكان أشبه بتبادل الأفكار حول الصّيغة التي يُمكن أنْ تضع أُسساً للاتِّفاق بينهما، لكنَّها ـ بالتّالي ـ لم تُؤدِّ إلى شيء؛ لأنَّ حاكم الكُويت كان يُناور سياسيّاً، واستمرَّت الحالة هكذا حتَّى أواخر عام 1957.
وخلال كانون الثّاني عام 1958، تطوَّرت الأحداث بالمنطقة من خلال اتِّفاق

الحُكُومتَيْن السُّوريَّة والمصريَّة على قيام الوحدة بينهما، فأُعلنت الجمهوريَّة العَرَبيَّة المُتَّحدة تحت قيادة جمال عبد النّاصر، أمَّا نُوري السّعيد؛ فقد أحسَّ ـ وبسُرعة ـ بالمخاطر الكبيرة التي أخذت تُطوِّق نظام العراق جرَّاء قيام (ج.ع.م) وهي مخاطر أدرك البريطانيِّيْن والأمريكان تأثيرها على مُستقبل وُجُودهم في المنطقة، لهذا؛ فإنَّ نُوري السّعيد ـ وبدَعْم وإسناد بريطاني / أمريكي ـ اندفع لأنْ يُحقِّق الاتِّحاد العَرَبي، بعد أنْ فشل في إقناع الملك ابن سُعُود بالمُشاركة فيه، وهُو فشل يرجع لأنَّ الولايات المُتَّحدة كانت قد نَصَحَتْ الملك ابن سُعُود بعدم توريط نفسه بالمُشاركة باتِّحادٍ مُستقبله محفوف بالمخاطر، وأكَّدت عليه بأنْ يُظهر عن استعداده لدَعْم الاتِّحاد معنويّاً، على أنْ يستمرَّ في المُخطَّط الموضوع لإضعاف ناصر والجُمهُوريَّة العَرَبيَّة المُتَّحدة، أمَّا نُوري ـ وبعد فشله ـ ؛عاد وطرح على بريطانيا فكرة ضَمِّ الكُويت إلى الاتِّحاد العَرَبي؛ ليضمن إمكانيَّة قيام العراق بمدِّ خطِّ النّفط المُقترَح عبر الكُويت؛ حيثُ كان يخشى أنْ تقوم (ج.ع. م) بقَطْع النّفط العراقي عبر سُوريا مرَّة أُخرى. غير أنَّ موقف السّفارة البريطانيَّة ـ مُنذُ البداية ـ كان مُرتاباً من طُرُوحات نُوري؛ إذْ وَجَدَتْ في طُرُوحاته نيَّة لتكرار مطالبه بإعادة الكُويت؛ إذْ إنَّ بريطانيا كانت ـ دوماً ـ تطرح في وسائل الأعلام التّابعة لها شعارَ عدم مُمانعتها لأيِّ وحدة بين أقطار عَرَبيَّة، ولقناعة السّفير بأنَّ آل صباح لن يُوافقوا على الانضمام للاتِّحاد العَرَبي؛ خوفاً على مُستقبلهم السّياسي، لذلك؛ فقد نَصَحَ السّفير حُكُومته ـ عبر برقيَّة أرسلها في 5 شباط 1958 ـ بعدم مُعارضة توجيهات نُوري الجديدة مادامت أُسرة آل صباح تُعارضها. كما وَنَصَحَ السّفير حُكُومته بأنْ لا تضع نفسها بين العراقيِّيْن وأُسرة آل صباح، بل يتوجَّب عليها انتظار أنْ يلجأ أحد الطّرفَيْن للمُساعدة، وعندها؛ يُمكن للحُكُومة البريطانيَّة أنْ تتصرَّف وُفق

مصلحتها. بعد يوم من إرسال هـذه البرقيَّـة؛ اجتمـع الـسّفير البريطـاني والقـائم بالأعمال الأمريكي في بغداد مع وليّ العهد الأمير عبد الإله، وخلال الحـديث بـين الثّلاثة؛ أثار ولي العهد موضوع انضمام الكُويت للاتّحاد العَرَبي. لقد جاء ردُّ الـسِّير مايكل رايت واضحاً وصريحاً بأنّه يُعارض ـ تماماً ـ إعـادة الكُويـت للعـراق، وفي المُقابل؛ إذا ما أراد العراق علاقة جيِّدة مع الكُويت فإنَّ ذلك مُمكن. بمعنـى آخـر؛ إنَّ السّفير أشار للأمير بأنَّ عليه أنْ لا يُفكِّر بـنفس الطّريقـة التـي طرحهـا رئـيس الوُزراء العراقي، وأنَّ عليه أنْ يترك فكرة إعادة الكُويت إلى العراق. ومـن جانـب الأمير عبد الإله؛ فقد أجاب ـ هُو الآخر وبوُضُوح ـ أنَّ موضـوع إعـادة الكُويـت للعراق يشعر به عُمُوم العراقيّيْن، ويرغبون فيه جميعاً، وعلى كافَّة المُستويات، قـادةً وشعباً. فشدَّد السّفير البريطاني في كلامه، رافضاً ما ذكره عبد الإله؛ حيـثُ أجابـه بأنَّ أُسرة آل صباح لا تنتظر من العراق أنْ يقوم بتحديد الحُدُود معـاً، والاعـتراف بسيادتها على الكُويت، وأمام هذا الإصرار والتَّعنُّت والدّفاع المُستميت الذي قدَّمه السّفير البريطاني، فإنَّ عبدالإ له لم يُفضِّل الـدُّخُول في حـوار سـاخن مـع الـسّفير البريطاني، بل أوضح بأنَّ الوقت ـ وفي ضوء قيـام (ج.م.ع) ـ يتطلَّـب أنْ يعمـل العراق وحُلفاؤه على طَرْح حُلُول بنَّاءة تخدم أهدافهم[1].

لقد كان السّفير ـ في الواقع ـ قد قابل رئيس الوُزراء العراقي قبل يوم لقائـه مع عبد الإله، وقد دار الحديث حول نفس الموضوع. لقد بـرَّر رئـيس الـوُزراء في هذا الاجتماع للسّفير البريطاني مطلب العراق بانضمام الكُويت إلى الاتّحـاد العَـرَبي بأنَّه يُنقذهما من ناصر، ويُشجِّع الشّعب السُّوري للوُقُوف ضدَّ الوحدة مع مـصر. وأضاف أنَّ انضمام الكُويت للاتّحاد العَرَبي سيخلق جبهة اقتصاديَّة قويَّة ضدَّ عبـد

Mical Rieght To Fo 5.2.1958, No. 171. Fo. 371/133813.(1)

النّاصر، كما وأعرَب عن أمله أنْ تنضمَّ السُّعُوديَّة إلى هذا التَّجمُّع المُعادي لنـاصر.
لقد أكَّد رئيس الوُزراء العراقي للسّفير بأنّـه لا يُوجـد مـا يُـبرِّر العـودة بعيـداً إلى الماضي؛ إذْ إنْ الشّعب العراقي بأكمله يشعر بأنَّ الكُويت هـي جُـزء مـن العـراق، وهي ـ طبيعيَّاً ـ تُشكِّل جُزءاً من العراق، وأنَّ الحُكُومة البريطانيَّة هي المسؤولة عن فَصْلها عن وطنها الأُم، هُنا؛ سأل السّفير حول صفة الوُجُود الكُـويتي في الاتِّحـاد، فأجاب رئيس الوُزراء ـ بوُضُوح ـ بأنَّ العراق يُريد الكُويت كجُزء منـه، مُطمئنـاً إيَّاه أنَّ مثل هذا العمل لن يُؤثِّر على المصالح البريطانيَّة مُطلقاً. لكنَّ السّفير أجاب مُدافعاً عن أُسرة آل صباح بأنَّ كُلَّ ما يتعلَّق بمُستقبل الكُويت هُـو قـرار أُسرة آل صباح وسياساتها. وأكَّد السّفير بأنّـه مُتأكِّـد أنَّ حـاكم الكُويـت لـن يُوافـق عـلى الطُّرُوحات العراقيَّة؛ وحيث إنَّ السّفير لم يكـن مُؤمنـاً بـأيِّ نـوع مـن الوحـدات الاندماجيَّة بين العرَب، لـذا؛ فإنَّـه أخـبر رئـيس الـوُزراء العراقـي بأنّـه حتّـى في موضوع الوحدة بين العراق والأُردن يجب أنْ تبقى الشَّخـصيَّة المعنويَّـة للـدَّولتَيْن قائمة، وبشكل مُفرد، ويُمكن أنْ تنشأ هيئات مُشتركة كتعبير عـن قيـام الوحـدة.
هُنا؛ أدرك رئيس الـوُزراء خُطُـورة ردِّ الـسّفير، وردَّ عليـه بـأنَّ مُـستقبل وشـكل وطريقة الوحدة يُحدِّدها العرَب أنفسهم، إلاَّ أنَّ السّفير ـ وبنفس الوُضُوح ـ أشـار إلى مُعارضته لأنْ يتمَّ أي اتِّحاد اندماجي بين الكُويت والعـراق؛ مُطالبـاً أنْ تكـون هُنالك صيغة تعاون مُشترك فقط، أمّا رئيس الوُزراء العراقي الذي تلقَّى ردَّاً غريباً من السّفير يشوبه شيء من التّهديد؛ إذْ قال له: بأنَّ هُنالك علاقـات أُخـرى تـربط أُسرة آل صباح مع آل سُعُود، الأمـر الـذي وجـد فيـه رئـيس الـوُزراء نوعـاً مـن الإصرار البريطاني على رَفْـض إعـادة الكُويـت للعـراق. عنـدها؛ أجـاب رئـيس الوُزراء بأنَّ الشّعب العراقي عُمُوماً يُؤمن بأنَّ حاكم الكُويت إنَّما هُو يفعل ما تأمر

به بريطانيا، الأمر الذي دفع السّفير لرَفْض هذا المنطق؛ مُبيّناً بأنَّ الحاكم ما هُـو إلاّ صديق لبريطانيا، وهُـو الـذي يُقـرِّر مُـستقبله وسياسـته، وفي ظـلّ هـذا الإصرار البريطاني اضطرَّ رئيس الوُزراء لتغيير تكتيكه؛ مُبيّنـاً أهمّيّـة انـضمام الكُويـت لأيّ نوع من الاتّحاد بين العراق والأُردن، مع تأكيـده في أنْ تقـوم الحُكُومـة البريطانيّـة بجُهُودها في التّأثير على موقف حُكّام الكُويت، وأنَّ العراق يُرحّب بأيّ نـوع مـن التّقارب بين الكُويت والعراق تُقرِّر بريطانيا طبيعته. بعـد هـذه المُقابلـة مُبـاشرة؛ أرسل السّفير برقيّة إلى حُكُومته تضمّنت فحوى ما دار بينه وبين ولي العهد، وبينه وبين رئيس الوُزراء، الذي طلب الأخير ـ خلالها ـ من السّفير أنْ تُساعد الحُكُومـة البريطانيّة في انضمام الكُويت للاتّحاد، وهُو مطلب يحظى بتأييـد الأُردنيّيْن أيـضاً، وقد طلب السّفير من حُكُومته أنْ تُعالج مطالـب العـراق الـصّريحة هـذه بحـذر، وتُجنّب اتّخاذ مواقف سلبيّة مـن العـراق، وأكّـد الـسّفير دراسـة إمكانيّـة تقريـب الكُويت من العراق والأُردن لما له من فوائد للمصالح البريطانيّة التـي باتـت ج.ع تُهدّدها، ومُطالباً في أنْ يكون هذا التّقارب بما يُؤدّي إلى اعتراف العراق بـسيادة آل صباح على الكُويت، ولتنفيذ هذه السّياسة؛ فقد اقترح السّفير أنْ يتمّ التّقارب بـين العراق وأُسرة آل صباح من خلال تسهيل الزّيارات واللّقاءات المُباشرة بين الملـك فيصل الثّاني وولي العهـد مـع حـاكم الكُويـت، وفي المُقابـل؛ أنْ تُـشجّع بريطانيـا الحاكم على تقديم المُساعدات الماليّة للعراق والأُردن[1] .

4- نُوري والمشروع البريطاني لحلّ الخلاف:

أيّدت وزارة الخارجيّة البريطانيّة آراء سـفيرها في بغـداد؛ حيـثُ أوضـحت عدم مُوافقتها على دُخُول الكُويت إلى الاتّحاد العَرَبي، بحُجّة أنَّ ذلك مـن شـأنه أنْ

(1) Baghdad To. Fo. 371 /133813. No. 155. 9. 2. 1958.

يُؤدِّي إلى الاضطرابات، وعندها يتوقَّف تـدفُّق الـنّفط إلى بريطانيـا، وفي المُقابـل؛ ومثلما كانت قد عملت على تركيع الأمير عبد الإله لأنْ يتنـازل لابـن سُـعُود عـن حقِّه بعرش والده الملك علي في الحجاز، فإنَّ الخارجيَّة البريطانيَّة أقرَّت مبـدأ قيـام ملك العراق فيصل الثّاني أو الأمير عبد الإله باللّقاء مع حاكم الكُويت، وإبلاغـه بضرورة التّقارب بين الطَّـرَفَيْن، وأنْ يـتمَّ تحديـد الحُـدُود مادامـت عمليَّـة إبقـاء الكُويت بعيدة عن العراق فيها مصلحة حقيقة لبريطانيـا. وقـد اقـترح بـأنْ يقـوم الملك أو عبد الإله بإخبار الحاكم برغبـة العـراق بمـدِّ أُنبـوب الـنّفط، وأنْ يقـوم باستثمار بعض الأموال العائـدة لأُسرة صـباح في العـراق. كـما وأقـرَّت الحُكُومـة البريطانيَّة بأنْ تنصح الحاكم بالبقاء على الحياد في الخلاف الذي كان قائماً بين مصر والعراق، وأنْ يستمرَّ على سياسته القائمة في ما يتعلَّق بالشُّؤُون الماليَّة، لما لهـا مـن منافع لبريطانيا، رغم كُره العراقيَّيْن لهذه السّياسة، التي تقوم على أسـاس اسـتثمار أموال النّفط الكُويتي في لندن. لم تُثن المُعارضـة البريطانيَّـة لانـضمام الكُويـت إلى الاتِّحاد العَرَبي نُوري السّعيد من الضّغط على بريطانيا بشأن أهمِّيَّة النّظـام الكُـويتي للاتِّحاد العَرَبي. ومن جانبه ـ فقط ـ كان نُوري مُـدركاً لأهمِّيَّـة موقـف آل سُـعُود، لهذا؛ أخذ يُناقش بريطانيا بأهمِّيَّة مُساعدة الغرب له في إقناع آل سُعُود ومُبـاركتهم لإعادة الكُويت للعراق، وعلى هذا الأساس؛ قام نُـوري الـسّعيد بإرسـال الـسَّيِّد عبد الله الدّملوجي لهذا الغرض، في ذات الوقت؛ اتَّفق مـع بريطانيـا عـلى ضرورة تشجيع حاكم الكُويت لإيجاد تقـارب بينـه وبـين الاتِّحـاد العَـرَبي، وعـلى أسـاس اقتصادي، وليس على أُسُس الاتِّحاد. وباعتقادنا أنَّ مردَّ موقف نُوري السّعيد هـذا هُو أنّه أدرك بأنَّ بريطانيا لم تَعُدْ تقبل أيَّ مُقترح لانضمام الكُويت للاتِّحـاد العَـرَبي، ولكنَّها لم تُغلق الباب نهائيّاً أمامه، وقد علم ذلك نُوري بنفسه من وزير الخارجيَّـة البريطانيَّة لويد؛ وحيثُ إنَّ بريطانيـا هـي التـي تُـدبِّر شُـؤُون الـسّياسة الخارجيَّـة

للحاكم في الكُويت، لذلك؛ فإنَّ عليه مُواصلة الحديث معها بـصَدَد الموضـوع. في الواقع فإنَّ نُوري كان قد تمكَّن من الحُصُول على مُوافقة بريطانيا بأنْ يُسهم حـاكم الكُويت في مشاريع اقتصاديَّة تخدم الاتِّحاد العَـرَبي مـن دُون التَّطـرُّق إلى موضـوع الحُدُود. وقد عرض وزير الخارجيَّة البريطانيَّة على حُكُومته ـ في اجتماع لها ـ بأنَّـه يُفضِّل أنْ يُشاهد إدخال الكُويت في ترتيبات ذات طبيعة اقتصاديَّة تشمل العـراق والأُردن، وبمُساعدة ومُوافقة آل سُعُود. وقد جاءت طُرُوحـات وزيـر الخارجيَّـة البريطاني هذه بعد أنْ كتب السّفير مـن بغـداد مُقترحـاً إيجـاد نـوع مـن التّعـاون الخاصّ باتِّجاه إحداث تنمية في الشّرق الأوسط، تُسهم فيهـا الكُويـت، والعـراق، والولايات المُتَّحـدة الأمريكيَّـة، وشركـات الـنّفط العاملـة، ومـن المنطقـة، ومـن المصادر الماليَّة لهذه الأطراف، وبحُدُود 40 مليـون بـاون يُمكـن إيجادهـا لإنـشاء مشروعات في البلاد العَرَبيَّة. ولقد اقترح الوزير أنْ تقـوم بـلاده بالمُبـادرة بتقـديم مُقترحات لمشاريع في هذا الاتِّجاه، وبرغـم أنَّ الحُكُومـة البريطانيَّـة قـرَّرت دراسـة مُقتَرَح الـوزير غـير أنَّ وزارة الخارجيَّـة أشـعرت بعثتهـا الدّبلوماسـيَّة في منطقـة الخليج في شباط 1958، بعدم التَّطرُّق مع الشُّيُوخ حول الموضـوع، مُـشيرة إلى أنَّ موقفها من مُقتَرَح العراق بانضمام الكُويت للاتِّحاد العَرَبي يقوم عـلى ضرورة عـدم فُقدان الكُويت لكيانها، وكذلك؛ عدم فُقدان بريطانيا لوَضْعها الخاصّ بالكُويت. وفي 22 شباط 1958، أشعرت وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة سـفيرها في بغـداد بـأنَّ على عبد الإله أنْ يُفاتح حُكَّام الكُويت ـ مُباشرة ـ بـشأن مُقـتَرَح العـراق بانـضمام الكُويت للاتِّحاد، على أنْ لا تكون بطريقة تُثير الحاكم وتدفعه للامتناع. كـان قـرار الخارجيَّة البريطانيَّة هُو عـدم قيامهـا بالتَّـدخُّل بهـذه القـضيَّة بـدعوى أنَّ مُفاتحة المُعتمد السّياسي البريطاني للحاكم من شأنه أنْ يخلق مـصاعب لهـا، وبالتَّـالي؛ قـد تفقد بريطانيا الثّقة التـي تتمتَّـع بهـا لـدى الحـاكم، والتـي عليهـا تقـوم المـصالح

البريطانيَّة في الكُويت. في المُقابل؛ كانت توجيهات الوزارة للسّفير في بغداد بأنْ يُخبر الوصي أو الملك والحُكُومة بأنَّ عليهم ـ عند مُفاتحة الحاكم بشأن الموضوع خلال زيارته لبغداد ـ بأنْ يُبادره بالقول (ملك العراق والحُكُومة ترغب القيام بعرض مُخلص لإزالة الشُّكُوك وسُوء الفَهْم الذي أحاط بالعلاقة بين البلدَيْن، وأنَّهم يعتقدون بأنَّ أوَّل خُطوة عليهم بها هي مُحاولة جادَّة لتحديد الحُدُود بينهما، ويقترحان أنْ تبدأ المُفاوضات فوراً)؛ وحيثُ إنَّ وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة كانت تُدرك مدى الغُبن الذي سيلحق بالعراق، لذا؛ أصدرت توجيهات لسفارتها بعدم الضّغط على العراق للمُوافقة على الحُدُود القائمة، وفي ذات الاتّجاه؛ فإنَّ على العراقيِّيْن عدم وَضْع أيَّة شُرُوط مُسبقَة، وذلك لغرض عدم جَعْل الحاكم يتردَّد بالانضمام للاتّحاد من جانب زاويته الاقتصاديَّة، وليست السّياسيَّة. وجاء في التّوجيهات أنَّه في حالة اقتناع العراق بعقد اللّقاء بين عبد الإله والحاكم؛ فإنَّ على المُعتمد البريطاني أنْ يسبقه ويُبلِّغ الحاكم بأنَّ بريطانيا تودُّ أنْ تُشاهد العلاقة بينه وبين العراق قد تحسَّنت، ومن دُون الإشارة إلى موضوع انضمام الكُويت للاتّحاد العَرَبي، إلاَّ في حالة التَّطرُّق له من قبَل الحاكم ذاته، وفي هذه الحالة؛ يجب إخباره بأنَّ بريطانيا تترك له تقدير الموقف، وفي حالة رغبته بذلك، فإنَّها ستُرحِّب بهذه المُشاركة، غير أنَّ بريطانيا لا تُجبره على ذلك، وعليه أنْ يعتمد على مُساعدة بريطانيا له في كُلِّ الأحوال[1].

بتاريخ 23 شباط؛ قابل السّفير البريطاني الملك فيصل الثّاني والأمير عبد الإله معاً، وأخبرهما بأنَّ أيَّة خُطوة نحو مُفاتحة حاكم الكُويت للانضمام إلى الاتّحاد العَرَبي يجب أنْ تقوم على مبدأ يضمن للكُويت استقلالها والاعتراف بحُدُودها،

Baghdad Fo To , 22.2.1958 , Fo 371/133813.(1)

وتوطيد العلاقة مع بريطانيا. وأنْ يتمّ الحديث من قبَل العائلة المالكة العراقيّة أوّلاً، وليست الحُكُومة العراقيّة، وأنْ يتضمّن الحديث استعداد العراق للاعتراف بالحُدُود مع الكُويت. وافق الملك والأمير عبد الإله على ما ذكره السّفير، واتّفقا على قيام عبد الإله بزيارة الحاكم سرّيّاً، أو أنْ تكون زيارة يصحبها أكبر قدر من الهُدُوء إعلاميّاً. كما وتضمّن الاتّفاق أنْ يقوم المُعتمد السّامي البريطاني العامّ في البحرَيْن بإرسال رسالة إلى الحاكم في الكُويت يُشير إليه فيها إلى مدى المخاطر التي تُهدّد النّظام في العراق والسُّعُوديّة والكُويت جرّاء سياسة ناصر، وأنّ العراق يسعى لعلاقات جيّدة، وتعاون مع الكُويت والسُّعُوديّة، وأنّ الملك عبد الإله يرغبان بتقديم تطمينات للحاكم بأنّه ليست لدى العراق نيّات لضَمّ الكُويت، بل التّعاون معها كصديق، وأخيراً؛ فإنّ عبد الإله سيكون سعيداً لزيارة الحاكم من أجل إزالة الخلافات والشُّكُوك بين البلدَيْن، وأنّ وزير الخارجيّة العراقيّة باشَ أعيان مع السّيّد الدّملوجي يُرافقهما وزير الخارجيّة الأُردنيّة سيزوران ملك السُّعُوديّة في الرّياض أواخر شباط، بصَدَد تأسيس تعاون وثيق بين العراق وآل سُعُود. من جانب المُعتمد البريطاني السّيّد بيل ـ وفي ضوء ما تَمّ التّخطيط له ـ فقد قابل الحاكم الكُويتي، الذي وافق على التّصوُّرات البريطانيّة وصيغة التّقارب بينه وبين العراق، وطلب مُعالجة الموقف بهُدُوء، خوفاً من الجماهير العراقيّة والكُويتيّة التي كانت تكره العلاقة القويّة لحاكمها مع بريطانيا، وتُؤيّد الرّئيس عبد النّاصر. كما لم يُوافق الحاكم على قيام عبد الإله بزيارة الكُويت بدعوى الخوف من أنّ هذه الزّيارة قد تُثير الاضطرابات في الكُويت، بدلاً من ذلك، قرّر هُو السّفَر إلى بغداد في مايس، وهُنالك يُمكن أنْ تُصفّي الأُمُور. لقد فسّر المُعتمد السّياسي سُلُوك وموقف حاكم الكُويت هذا بأنّه قد فضّل أنْ ينتظر ويُراقب كيف تسير الأُمُور؛

كي يُحدِّد اتِّجاه وما هُو موقف آل سُعُود، الذي أيَّد ملكهم، وبارك ذلك خلال زيارة باش أعيان للرّياض، أنْ تنضمَّ الكُويت إلى الاتِّحاد العَرَبي من زاويته الاقتصاديَّة، وليست السّياسيَّة، وفضَّل أنْ يكون ذلك في وقت مُبكِّر، وبدوره؛ أخبر باش أعيان بأنَّه سينصح الحاكم الكُويتي بهذا الاتِّجاه، ويبدو لنا أنَّ السّفير البريطاني في بغداد قد شعر بأنَّ وزارة الخارجيَّة في لندن لم تكن مُتحمِّسة تماماً لفكرة انضمام الكُويت للاتِّحاد العَرَبي، على عكس ما كان يعتقده من أهمِّيَّة هذا الانضمام لمُستقبل العراق، والأُردن، والكُويت، بل وعلى الاتِّحاد العَرَبي ذاته، لذلك؛ وعندما بات واضحاً أنَّ الملك ابن سُعُود قد قرَّر التَّريُّث لبعض الوقت قبل أنْ يُشارك في الاتِّحاد العَرَبي ليس كُرهاً له أو حُبّاً لناصر، فإنَّ السّفير بدا مُنذُ آذار يُلحُّ على حُكُومته على ضرورة إدخال الكُويت للاتِّحاد العَرَبي لاعتقاده أنَّ ذلك يضمن المصالح البريطانيَّة الأمريكيَّة والأطراف الثّلاثة العَرَب، ويُسهِّل لبريطانيا إدارة سياسة الاتِّحاد العَرَبي، وفي وقت لاحق؛ إدارة السّياسة السُّوريَّة واللُّبنانيَّة. وفي شهر آذار من عام 1958، استقالت حُكُومة عبد الوهاب مُرجان كي تُفسح الطّريق لنُوري السّعيد ليتولَّى رئاسة الوُزراء من أجل أنْ يُهيِّىء الأُمُور لوَضْع ميثاق الاتِّحاد العَرَبي موضع التّطبيق[1].

5- آراء نُوري السّعيد لانضمام الكُويت للعراق:

في تلك الفترة؛ أصبح نُوري السّعيد مُهتمّاً - أكثر من أيِّ وقت مضى - بموضوع الكُويت، ومن الأسباب العديدة لمثل هذا الاهتمام حاجته لأنْ تدعمه بريطانيا داخل الأقطار العَرَبيَّة، وتُشجِّع بعض القادة العَرَب المُرتبطين بالغرب

---

(1) Baghdad to Fo, 25.3.1958 Fo 371/133813.

للتّعاون مع العراق بعيداً عن ناصر، إلاَّ أنَّ نوري كان بحاجة لأنْ يُعزِّز الاتِّحاد العَرَبي إمكانيَّاته الاقتصاديَّة والعسكريَّة. وعندما بدأ نُوري السّعيد يُناقش هذا الموضوع مع السِّفارة البريطانيَّة وجدها جاهزة لأنْ تتفهَّم مشاكله السّياسيَّة والاقتصاديَّة، إلاَّ أنَّها ـ ومُنذُ البداية ـ أَشْعَرَتْهُ بأَنَّه ليست لديها أيَّة تعليمات ذات علاقة بموقف حُكُومته من موضوع انضمام الكُويت للاتِّحاد؛ وحيثُ إنَّ ذلك كان مُخالفاً لما لدى السّفير من معلومات فعلاً، لذلك يُمكننا أنْ نتفهَّم أسباب إخبار السّفير البريطاني إلى نُوري السّعيد بأنَّ حاكم الكُويت لا يتلقَّى الأُمُور من بريطانيا، وطالبه بأنْ يتجنَّب أنْ يُشار في دُستُور دولة الاتِّحاد العَرَبي إلى أنَّ الكُويت ستكون من بين المصادر الماليَّة لتعزيز قُوَّة الاتِّحاد العَرَبي، وَنَصَحَهُ بأنْ تتمَّ الإشارة إلى الموضوع بشكل عامٍّ من دُون تحديد الكُويت بالاسم. وافق نُوري، غير أنَّه ووزير خارجيَّة الدُّكتُور فاضل الجمالي أصرَّا على أنَّ المُساعدات التي ستُقدَّم إلى الاتِّحاد يجب أنْ تأتي من بريطانيا، والولايات المُتَّحدة، والكُويت، بهذا الاتِّجاه. ولغرض تعزيز إمكانيَّات العراق الاقتصاديَّة والماليَّة، فإنَّ نُوري السّعيد بدأ يُلحُّ على بريطانيا ـ من جديد ـ بضرورة أنْ تقوم الكُويت على مدِّ الأُنبُوب النّفطي المُقترح عبر أراضيها من حُقُول النّفط في البصرة إلى الخليج. لقد ذكَّر نُوري الحُكُومة البريطانيَّة بأنَّ مُعاهداتها مع آل صباح في وقت توقيعها كانت قد تمَّت مع عدد قليل من الشُّيُوخ، وضمن حُدُود قلعة مدينة الكُويت، في حين كانت بقيَّة المناطق في الكُويت إنَّما تعود للعشائر، وإنَّ هذه العشائر هي عراقيَّة أصلاً، لذلك؛ هُنالك شيء اسمه حُدُود الكُويت يُمكن أنْ تُسبِّب نزاعاً، وإذا ما عزمت شركة (IPC) تنفيذ أُنبوب النّفط؛ فإنَّ نُوري السّعيد سوف يضمن عدم دُخُول الكُويتيِّين في ذلك، وأنَّه مُستعدٌّ لوَضْع القُوَّات الكافية إذا ما كان ضروريَّاً لحماية الشّركة

ومُنشآتها وعملها. وحذَّر نُوري الحُكُومة البريطانيَّة من عاقبة سُوء تقدير وَضع العراق، وضرورة تفهُّم مشاكله، وبخلافه؛ فإنَّه قريباً سوف يُفاجؤون بحُصُول انقلاب عسكري يكون هُو ضحيَّته، مثلما حصل في إيران أيَّام مُحَمَّد مصدق، واتَّهم نُوري السّعيد بريطانيا بأنَّها وراء فشل المُحادثات السّابقة بصدد مدِّ أُنبُوب النّفط عبر الكُويت؛ حيثُ إنَّها لم تُمارس ضُغُوطاً شديدة على حاكم الكُويت، كان بإمكانهم تحقيق التَّوصُّل إلى اتِّفاق سريع. وأوضح نُوري بأنَّه إذا ما كان يجب أنْ تنجح خُطوة الاتِّحاد العَرَبي فإنَّه يجب أنْ تدخل الكُويت إليه وبمُساعدة بريطانيا؛ وحيثُ إنَّ نُوري كان مُدركاً بأنَّ الأسباب الأُخرى الإضافيَّة في عدم رغبة بريطانيا لضمان دُخُول الكُويت للاتِّحاد هُو خوفها على (500 ـ 600) مليون باون تعود للشُّيُوخ مُودعة في مصرف بريطانيا، ولهذا؛ فإنَّه قام بكتابة رسالة في مُنتصف آذار إلى وزير الخارجيَّة البريطاني سلوين لويد مُقدِّماً تطمينات له بأنَّ هذه الأموال لن يتمَّ التَّعرُّض لها في حالة انضمام الكُويت للاتِّحاد العَرَبي، برغم أنَّهم في المُستقبل سيكونون بحاجة إلى العوائد الكُويتيَّة. ممَّا تقدَّم؛ يتَّضح لنا بأنَّ نُوري قد استخدم كافَّة الطُّرُق والوسائل لإقناع بريطانيا بأهمِّيَّة تقريب الكُويت من العراق والاتِّحاد العَرَبي للمصالح النّفطيَّة والشّركات البريطانيَّة، وحذَّر ـ في ذات الوقت ـ من مخاطر سياسة ناصر على هذه المصالح في حالة نجاحها في إثارة المشاكل للمشايخ والمحميَّات في منطقة الخليج، وفي العراق، والكُويت، وكان نُوري ـ من جانبه ـ قد شدَّد على أنَّ الفترة من آذار ـ تمُّوز 1958، هي خطيرة على مُستقبل موضوع انضمام الكُويت من عدمه لهذا الاتِّحاد[1].

---

(1) Baghdad To Fo, 10.2.1958. Fo 371/133813.

لقد أيّدت السّفارة البريطانيّة ـ عبر سفيرها في بغداد السّير مايكل رايت ـ آراء نُوري السّعيد تماماً، غير أنَّ السّفير قد تعمَّد ارتكاب خطأ جسيم عندما وجَّه اللّوم إلى نُوري السّعيد؛ حيثُ ذكر بأنَّ نُوري مُتوهِّم بصدد التّأثير الذي يُمكن لبريطانيا أنْ تُمارسه على حاكم الكُويت. لقد أصبح موضوع الاهتمام بضمِّ الكُويت للاتّحاد يتقدَّم ويتراجع نتيجة تطوُّرات الوَضْع واتّجاهه نحو الحرب الأهليّة في لُبنان. ففي مايس؛ بدأ يُطالب بريطانيا والولايات المُتَّحدة بضرورة المُوافقة والمُساعدة على انضمام لُبنان للاتّحاد. أمّا الدَّولتان الغربيَّتان؛ فقد أدركتا ـ وبسُرعة ـ أنَّ ج.ع.م. بدأت تُشكِّل ضغطاً كبيراً على الأوضاع السّياسيَّة في المنطقة العَربيَّة، وبدا احتمال نجاحها في ضرب المصالح الغربيَّة يظهر إلى السّطح. لهذا؛ أخذت بريطانيا تُفكِّر ـ بجدِّيَّة أكثر ـ بضرورة حماية مصالحها في العراق والكُويت. لهذا؛ ففي 4 حُزيران 1958، عرض وزير الخارجيَّة البريطاني ـ رَسْميّاً ـ على حُكُومتة ـ في اجتماع لها ـ بأنْ تقوم المملكة المُتَّحدة بمُواصلة الضّغط على حُكّام الكُويت لإدخاله في علاقة مع الاتّحاد العَرَبي بصيغة أو بأُخرى، لما له من فائدة للعراق، مع ضرورة عدم تأثير الصّيغ المُقترَحة ـ وبشكل خطير ـ على العلاقة بين الحاكم وبريطانيا. لقد أقرَّت الوزارة ـ وفي ضوء مُقترَح الوزير ـ بأنْ يقوم الأخير بإجراء دراسة إضافيَّة لأهداف السّياسة البريطانيَّة في ما يتعلَّق بعلاقة بريطانيا مع مشايخ الخليج والمحميّات، وفي ضوء النُّمُوِّ المُتزايد للمشاعر القوميَّة بين العَرَب، وكانت النّتيجة كما يبدو في اجتماع آخر للوزارة هُو أنَّه إذا ما كان من الضّروري أنْ تُقدِّم المملكة المُتَّحدة مُساعدات ماليَّة للعراق فإنَّ على الأخير أنْ يُخفِّف من مطالبه، وأنْ يتوصَّل لحَلٍّ مع الكُويت، ولكنْ؛ ليس بالطّريقة التي يُريدها العراق.

أدرك نُوري بأنَّ الموقف البريطاني السّلبي من الموضوع انضمام الكُويت للاتّحاد سيكون سبباً مُهمّاً في فشل الاتّحاد. ومن جانبه؛ أكّد نُوري السّعيد للسّفير بأنَّ هُنالك قوى عديدة تعمل ضدَّ الاتّحاد، ولم يُصرِّح نُوري مَنْ هي القوى. ولاشكَّ فإنَّه ـ كما أشار السّفير ـ كان يقصد العَرَب، واستمرَّ نُوري يشرح للسّفير بأنّه إذا ما فشل الاتّحاد، فإنَّ الغرب سيخسر كُلَّ شيء بما فيه الكُويت، لقد كانت هذة أفكار نُوري التي استمرَّ يطرحها لأسابيع طويلة قبل وُقُوع الثّورة صباح 14 تمُّوز عام 1958، وكان هُنالك عدد كبير من العراقيِّيْن يُشاركونه هذا الرّأي بمَنْ فيهم رئيس الوُزراء مُرجان ورئيس الدّيوان الملكي، ومن أجل مُمارسة المزيد من الضّغط على بريطانيا، فقد هدَّد نُوري بأنّه ما لم يتمّ عمل شيء بشأن الكُويت، فإنّه ليس مُستعدّاً لتحمُّل مسؤوليّة فشل الاتّحاد، لذلك؛ يتوجّب عليه ترك منصبه كرئيس وُزراء. لقد أكّد السّفير لحُكُومته بأنَّ أفكار نُوري السّعيد بخُصُوص ضمّ الكُويت للاتّحاد ليس فيه أيّ نوع من أنواع الابتزاز للغرب، بل هي حقائق يُدركها نُوري السّعيد جيّداً، فما كان لديه من تجربة وأحداث أسهم في صنعها تجعله ـ وهُو الحليف للغرب ـ أنْ يستنتج الأُمُور بشكل جيّد، وبرغم أنَّ ما ذكره السّفير كان واضحاً جدّاً، إلاَّ أنَّ موقف الحُكُومة البريطانيّة استمرَّ على ما هُو عليه، رافضاً فكرة دمج الكُويت بالاتّحاد العَرَبي، أو إعادتها للعراق، مُفضِّلة أنْ تُحلَّ مُشكلة نُوري الماليّة عبر المُساعدات الأمريكيّة البريطانيّة، وإبقاء الكُويت بعيدة عن الموضوع[1].

ويظهر السُّلُوك السّياسي البريطاني هذا من خلال المُقابلة التي تمّت بين وزير الخارجيّة البريطاني والسّفير الأُردني في لندن الذي كان هُو الآخر يُحاول إقناع

(1) Baghdad Fo To , 22.2.1958, Fo 371/133813.

بريطانيا بالمُوافقة على آراء نُوري إزاء الكُويت، لقد علّل الوزير البريطاني رفض حُكُومته لطَلَب العراق يرجع بسبب استراتيجيَّة الحُكُومة البريطانيَّة التي اتَّفق عليها، وهي الحاجة لضَمِّ الكُويت إلى الاتِّحاد، والخلافات بينهما وبين العراق هي في التّكتيك والطّريقة للوُصُول إلى ذلك، وأنَّ بريطانيا تعتقد أنَّ الهدف يجب أنْ يكون عقد اتِّفاق محدود من شأنه أنْ يُؤدِّي لشيء أنَّ الغرض السّريع من وُجهة نظرنا هُو التّأثير على حاكم الكُويت وأعضاء أُسرته في هذا الاتِّجاه، نحنُ لا نستطيع أنْ نُصدر الأوامر إلى الحاكم؛ لأنَّ هذه السّياسة ليست الطّريقة التي نتعامل بها معه، كما ليس بمكاننا أنْ نسحب، أو نُهدِّد حمايتنا له، أنا مُتأكِّد بأنَّ على نُوري أنْ يُدرك بأنَّ الطّريقة لتحقيق أفكاره هي طمأنة الكُويت، وليس إفزاعها، أمَّا الدَّعْم المادِّيّ الذي يحتاج إليه الاتِّحاد العَرَبي؛ فقد وجدناه نحنُ والأمريكان، لذلك؛ يُصبح موضوع الكُويت أقلَّ أهمِّيَّة[1].لو تمعنَّا بهذه الكلمات من حديث وزير الخارجيَّة فإنَّنا سنكتشف بأنَّ بريطانيا - وقبل حوالي أُسبُوعَيْن من قيام ثورة تمُّوز عام 1958 - كانت - ولا تزال مُصرَّة - على عدم مُساعدة حليفها القوي نُوري السّعيد، وكانت مُصرَّة - قطعاً - على إبقاء الكُويت بعيدة عن العراق.

6- نُوري والتّآمر على عرش سُوريا:

شغلت نُوري السّعيد في أواخر عهده قضيَّتان: الأُولى انضمام الكُويت إلى العراق، والثّانية تنصيب الأمير عبد الإله ابن الملك على ملكاً على عرش سُوريا، ويعود اهتمام نُوري بالموضوع الثّاني لكثرة خُصُوماته مع الأمير عبد الإله، وخاصَّة في فترة الخمسينات، ففكَّر بترشيحه لتولِّي عرش سُوريا، والتَّخلُّص منه باعتباره

Miacl Rieght to Fo, 7.4.1958. Fo 371/133813.(1)

كان مُنافساً له، وكان عرش سُوريا قد فقده الملك فيصل الأوّل عمُّ الأمير عبد الإله، بعدما تُوِّج ملكاً على عرش سُوريا في 8 آذار عام 1920، وسبب فُقدانه العرش هُو زحف القُوّات الفرنسيَّة إلى دمشق، ووُقُوع معركة ميسلون في تمُّوز 1920، وبعد أنْ دخلت القُوّات الفرنسيَّة إلى دمشق، وغادر الملك فيصل الأوّل إلى إيطاليا إثر خسارته العرش بسبب تواطؤ دُول الحُلفاء على تقسيم البلاد العَرَبيَّة ـ آنذاك ـ وُفق اتِّفاقيَّة سايكس بيكو، ثُمَّ عاد إلى الحجاز مملكة أبيه الشّريف حُسين ابن علي قبل أنْ يُتوَّج ملكاً على عرش العراق[1].

كما وصلت الكراهية بين الاثنَيْن حدّاً كبيراً، وتفاقمت بينهما، وأخذ عبد الإله يتحيَّن الفُرص للإيقاع بنُوري السّعيد، حتَّى وصل الأمر إلى مرحلة الشّتيمة، فراح الأمير عبد الإله يشتم نُوري السّعيد، ويتهجَّم عليه، ويصف شخصيَّته بالتّصابي والتّعالي والشّيخوخة في مجالسه الخاصَّة، وذهب إلى أبعد من ذلك، فإنَّه راح يُقرِّب خُصُوم نُوري السّياسيِّيْن، ووصلت العلاقة بينهما حَدَّ القطيعة، ولهذا كُلِّه، راح عقل وتفكير نُوري السّعيد يجد مخرجاً لذلك، ووصل إلى حَلٍّ، وهُو البحث عن عرش مفقود للعائلة الهاشميَّة في دمشق، يتزعَّمه عبد الإله، فضرب ـ بذلك ـ عصفورَيْن بحجر[2]، ومن جهة أُخرى؛ ساعد نُوري السّعيد في تفعيل فكرته تلك، وإظهارها للوُجُود قيام أديب الشّيشكلي الذي تولَّى رئاسة الجمهوريَّة السُّوريَّة في تمُّوز عام 1953، ومن ثمَّ؛ إسقاطه بيد الجيش السُّوري، وإقصاؤه من منصبه في آذار من عام 1954، والتّعاون مع نُوري السّعيد، والأخير بأنْ يتقرَّب منه، ويخطب وُدَّه، ولمَّا وجده راغباً في إسقاط النّظام القائم في سُوريا، والتَّقرُّب إلى

(1) عبد الرَّزّاق الحسني : تاريخ الوزارات، ج10، مصدر سابق، ص 82 ـ 83.
(2) سلمان التكريتي : الوصي عبد الإله بن علي يبحث عن عرش، 1939 ـ 1953، الدّار العَرَبيَّة للمطبوعات، بيروت، لُبنان، سنة الطّبع، بلا، ص 180 ـ 181.

النّظام الحاكم في العراق، راح نُوري السّعيد يُقدِّم له المُساعدات المادِّيَّة، فبعث إليه اللّواء غازي الدّاغستاني مُعاون رئيس أركان الجيش مع ثلاثين ألف دينار عراقي في تمُّوز عام 1956، كمُساعدة ماليَّة، لغرض تحقيق هدفه كمرحلة أُولى، ورغم أنَّ الدّاغستاني لم يُسلِّمه كافَّة المبلغ بسبب عدم ثقته بالشّيشكلي، واحتفظ بالباقي في خزانة السِّفارة العراقيَّة بلُبنان، التي كان يُقيم فيها الشّيشكلي، ثُمَّ تكرَّرت زيارات الدّاغستاني إلى لُبنان لمرَّات عديدة لنَقْل الآراء والأفكار بين الطَّرَفَيْن، وعُقدت في قصر الرّحاب ببغداد اجتماعات عديدة بهذا الشّأن، فنُوري السّعيد يُخطِّط، والأمير عبد الإله حاكم باليوم الموعود الذي يستلم به عرش سُوريا، ثُمَّ حدثت ضجَّة سياسيَّة بين البلدَيْن، بعد أنْ وضع النّظام السُّوري اليد على الأسلحة المُرسلة إلى الأشخاص الذين سوف يقومون بانقلاب عسكري، والتّآمر على سُوريا بكُلِّ تفاصيلها، وأصدرت الأحكام بحقِّ المُتآمرين، وسارعت حُكُومة نُوري السّعيد بالتَّشبُّث بكافَّة الوسائل لإنقاذهم من حُكْم الإعدام الذي صدر بحقِّهم[1].

ظلَّت أحلام عبد الإله تُداعب مُخيِّلته لكي يُصبح ملكاً على عرش سُوريا، ونُوري السّعيد يُغذِّي هذه الأحلام، ويُزكِّيها بأفكاره وآرائه الخبيثة؛ لكي يُزيح عبد الإله من أمامه، ويخلو له الجوُّ في بغداد، وصارت الحُكُومة العراقيَّة تبذل - بسخاء - لمُعارضي النّظام في سُوريا؛ للوُصُول إلى اتِّحاد بين العراق وسُوريا عُرف - فيما بعد - بين الأوساط السّياسيَّة بـ (مشروع سُوريا الكُبرى) الذي يضمُّ سُوريا والعراق، وقد كانت تُباركه الحُكُومة البريطانيَّة، ويُصبح الأمير عبد الإله ملكاً

(1) المحكمة العسكريَّة العُليا الخاصَّة: الجزء 4، وزارة الدّفاع هـ 1661 (إفادة وزير العراق المُفوَّض في دمشق أمام المحكمة).

على هذا الاتّحاد[1]، وكُلُّ ذلك وجد لدى نُوري السّعيد تبريراً لفكرته، فالمعروف عنه كثرة حيله، ومُخادعاته، التي وصفها بعض الرّجال السّياسة البريطانيّة، والتي ذكرناها سابقاً، كما يذكر السّفير الأمريكي في بغداد والدمار غُولمان: في الخمسينات (في أوائل سنة 1955) عن المُؤامرة التي أسقطت وزارة فارس الخُوري السُّوريَّة المُعتدلة، فظهرت جماعة يساريَّة تحت قيادة صبري العسلي، وخالد العظم معاً، لتخلف وزارة الخُوري، وانحازت سُوريا نحو مصر، بعد أنْ نضجت المُيُول اليساريَّة في الجبهتَيْن المَدَنيَّة والعسكريَّة الحاكمة. فقال نُوري السّعيد إنَّ الرّئيس الأتاسي كان ينظر لهذا التَّطوُّر بقلق عظيم، وأنَّه عبَّر عن قلقه مراراً خلال الأشهر الأُولى من عام 1955،وفي الوقت الذي كان فيه نُوري السّعيد يعمل على إبعاد العراق عن المسرح السُّوري، كان يعمل ـ أيضاً ـ على حمايته من أيّ أذى يُصيبه من من الأتراك، ويُؤيِّد هذا الرّأي اللّواء غازي الدّاغستاني مُعاون رئيس أركان الجيش في إفادته أمام المحكمة العسكريَّة العُليا الخاصَّة قائلاً: (كان عدد من اللاَّجئين السّياسيِّيْن السُّوريِّيْن قد جاءوا إلى العراق قبل تاريخ افتضاح المُؤامرة عام 1956، وكانوا يتسلَّمون رواتب من الحُكُومة، وكانوا ينوون تشكيل إذاعة سُوريا، وجيش سُوري حُرّ، كما أنَّ بعض أولئك طلب قيادة جيش عراقي يرتدي الملابس العسكريَّة السُّوريَّة، ويُهاجم سُوريا لتحقيق الاتّحاد بين البلدَيْن، واعترف الشّاهدان رفيق عارف، وأحمد مُختار بابان، بأنَّ عبد الإله ونُوري السّعيد كانا يعدَّان على إشراك الجيش في تحقيق الاتّحاد[2].وفي ضوء ذلك، ولغرض تنفيذ الفكرة التي كان يُصرُّ عليها نُوري

---

(1) سلمان التكريتي : الوصي عبد الإله بن علي يبحث عن عرش ، مصدر سابق ، ص 184.

(2) المحكمة العسكريَّة العُليا الخاصَّة : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 362.

السّعيد، أُقيم مُخيَّم كبير بجوار مدينة (الرّطبة) العراقيَّة الحُدُوديَّة مع الأُردن، والقريبة من الحُدُود السُّوريَّة لعدد من المُواطنين السُّوريِّيْن المُتطوِّعين، بعد أنْ زوَّدتهم حُكُومة نُوري السّعيد بالسّلاح اللاَّزم لغرض التّدريب العسكري الذي بدؤوا به فعلاً. ورغم أنَّ المُؤامرة قد أُكتشفت في دمشق، وأُفتضح أمرها أمام الرَّأي العامّ العَرَبي والعالمي، غير أنَّ نُوري السّعيد يُسانده عبد الإله استمرَّ في أعماله لغرض تحقيق غاياته، حتَّى قرَّرت كُلٌّ من الولايات المُتَّحدة وبريطانيا القيام بهُجُوم مُسلَّح على سُوريا تُساندهما كُلٌّ من تُركيا والعراق، ولا تُعارضه دولة الكيان الصّهيوني التي تحدُّ سُوريا من الغرب، تحت ذريعة أنَّ الخطر الشُّيُوعي وصل سُوريا، وأنَّ الدُّوَل الغربيَّة ترى ذلك خطراً على الشّرق الأوسط، وتهديداً للأمن العراقي المُرتبط بالعالم العَرَبي، وبالوُجُود البريطاني تحديداً[1]. ورغم أنَّ الحُكُومة التي يترأسها علي جودت الأيُّوبي الذي أعقب وزارة نُوري السّعيد[2] في 20 حزيران 1957، تمنَّعت عن القيام بمثل هذا العمل، غير أنَّ نُوري السّعيد ـ بالتّعاون مع بريطانيا ـ استمرَّ يعتمد هذا المنهج التّآمري[3]؛ لأنَّ الأيُّوبي كما يذكر د. فاضل حُسين في كتاب تاريخ الحزب الوطني الدّيمقراطي 1946 ـ 1958 كان عاجزاً عن القيام بعمل يُؤدِّي إلى تغيير أو تبديل جوهري في مُخطَّط السّياسة العراقيَّة الخارجيَّة، كونها تخضع لتوجيهات وسيطرة أجهزة حلف بغداد، الذي تقوده بريطانيا، ويُنفِّذه نُوري السّعيد[4]، أو من الإسرائيليِّيْن، وكانت

---

(1) عبد الرَّزَّاق الحسني : تاريخ الوزارات ،ج 10،مصدر سابق ، ص 82.

(2) ارتأى البلاط الملكي امتصاص العداء الخارجي العَرَبي للعراق بالذّات، الذي كانت الصُّحُف تملأ أعمدتها رُدُود الحُكُومة العراقيَّة عليها تغيير حُكُومة نُوري السّعيد، التي خلقت عداءً واسعاً من الحُكُومات العَرَبيَّة، وولَّدت نقمة شعبيَّة داخليَّة وعَرَبيَّة مع العراق، فتقرَّر تكليف السَّيِّد علي جودت الأيُّوبي بالحُكُومة الجديدة (الحسني : تاريخ الوزارات ، ج10، ص 142).

(3) عبد الرَّزَّاق الحسني : تاريخ الوزارات ، المصدر السّابق أعلاه ، ص 86.

(4) د. فاضل حُسين : تاريخ الحزب الوطني الدّيمقراطي ، مصدر سابق ، ص 390.

سُوريا بحاجة إلى استقرار يمنع من احتمال سيطرة الشُّيُوعيَّة، كما كانت بحاجة إلى مُساعدة اقتصاديَّة يستطيع العراق تقديمها، وكانت مصالح التّجارة السُّوريَّة تتطلَّب تعزيز الصّلات مع العراق، بهذا الأُسلُوب ظلَّ نُوري يبحث معي شُؤُون سُوريا في أوائل شباط حتَّى أوائل تشرين الأوَّل عام 1955. ثُمَّ تحوَّلت أفكاره شيئاً، فشيئاً، نحو الحديث عن طريق التَّدخُّل، وكان هذا التَّحوُّل رافق الأخبار التي كانت تُروى عن تدفُّق أسلحة الكُتلة الشُّيُوعيَّة على مصر أوَّلاً، ثُمَّ على سُوريا في 4 تشرين الأوَّل عام 1955، تحدَّث معي نُوري عن وُصُول الأسلحة السُّوفيتيَّة إلى مصر، وقال: إنَّ هذا يعني أنَّ مصر والسُّعُوديَّة العَرَبيَّة تستعدَّان لخَنْق العراق عن طريق الشُّيُوعيِّين في سُوريا، وأنَّ مُستقبل العراق في خطر. وطلب حُرِّيَّة العمل، وقال إنَّه سيتكلَّم مع أصدقائه السُّوريِّين أوَّلاً، مُلمِّحاً عليهم بتخليص بلادهم من الشُّيُوعيَّة، ولكنَّ الاتِّصال بهم دُون مُساندة الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة والمملكة المُتَّحدة يكون عديم الفائدة، وكلامه يكون ذا أثر إذا عرف أنَّ الإسناد مُتوافر. كما طلب ضماناً بأنْ تتولَّى الولايات المُتَّحدة والمملكة المُتَّحدة كبح جماح إسرائيل أثناء مُعالجته للمُشكلة السُّوريَّة.. وألمح إلى أنَّ تسعين بالمائة من قلاقل سُوريا مردُّها إلى أموال السُّعُوديِّين، فلو جُمِّدت العائدات السُّعُوديَّة من النّفط ستَّة أشهر لأمكن إعادة الاستقرار إلى سُوريا.. لِمَ لا تستطيع شركة النّفط العَرَبيَّة السُّعُوديَّة أنْ تُفكِّر بذلك؟"[1] وممَّا يلفت النّظر أنَّ الحُكُومات السُّوريَّة المُتعاقبة كانت قد قبلت مبدأ التَّدخُّل في الشُّؤُون الدّاخليَّة السُّوريَّة مُنذُ عهد حُسني الزّعيم، إنْ لم يكن قبل ذلك، وهذا ما أكَّده اللّواء الرُّكن غازي الدّاغستاني مُعاون رئيس أركان الجيش وقتذاك، الذي كان مُطَّلعاً على التّفاصيل،

---

(1) غُولدمار غُولمن: عراق نُوري السّعيد، مصدر سابق، ص 268 ـ 271.

والمُكلّف بخُطّة الدُّخُول إلى سُوريا في حالة تنفيذ الخُطّة، وذكر ذلك في دفاعه أمام المحكمة العسكريّة الخاصّة، التي يرأسها العقيد فاضل المهداوي بعد قيام ثورة 14 تمّوز عام 1958، وقدّمت المسؤولين عن التآمر على سُوريا في العهد الملكي إلى المُحاكمة [1]، ثُمّ أردف قائلاً ـ وهُو يدفع التُّهمة عنه أمام المحكمة ـ :أخذ نُوري السّعيد وعبد الإله ـ بتحريض من بعض السّاسة السُّوريّيْن ـ يضغطون علينا بشدّة، ويُلحُّون بوُجُوب تهيئة الجيش للحركة، فقاومنا أنا ورفيق عارف هذا الضّغط، مُحتجّين ـ تارةً ـ بعدم كفاءة وسائل النّقل، وأُخرى بعدم تيسُّر العدد الكافي من الطّائرات، وضرورة تهيئة الطّيّارين والطّائرات والمطارات، ممّا يتطلّب إلى وقت طويل جدّاً، كما أوضحنا أنّ أيّ اصطدام بين الجيشَيْن العراقي والسُّوري يكون كارثة للبلدَيْن، ولا يخدم إلاّ مصلحة إسرائيل، كانت نتيجة ذلك أنْ قبلت الحُكُومة مبدأ العودة ـ ثانية ـ إلى القصّة القديمة، وهي الشُّرُوع في الفعاليّات الدّاخليّة، وحثّ السُّوريّيْن المُبعدين على الاستمرار في وَضْع خُططهم الرّامية إلى إحداث انقلاب يُؤدّي إلى تأليف حُكُومة تُعلن الاتّحاد مع العراق، وكان هُنالك ميثاق مُتّفق عليه بين الكُتل السُّوريّة بهذا الخُصُوص [2].

ومن المُفيد أنْ نذكر هُنا أنّ أغلب السّاسة العراقيّيْن بمَنْ فيهم الوُزراء في حُكُومة نُوري السّعيد الثّانية عشر والثّالثة عشر كانوا لا يعلمون بما كان يجري في الخفاء بين نُوري السّعيد وعبد الإله، وما يُخطّطان له في سُوريا العَرَبيّة، وذلك بحسب اللّقاءات التي أجراها معهم الكُتّاب والمُؤرّخون والباحثون، وهذا موضوع في غاية الخُطُورة، ولولا قيام المحكمة العسكريّة العُليا الخاصّة التي

---

(1) المحكمة العُليا الخاصّة : ج1 ، مصدر سابق ، ص 271.

(2) المحكمة العسكريّة العُليا الخاصّة ، المصدر السّابق أعلاه ، ص 83.

تشكَّلت بعد قيام ثورة 14 تمُّوز 1958، بكَشف خفايا التّآمر الذي وقع على سُوريا بمَنْ فيهم وزير الخارجيَّة العراقي في العهد الملكي بحُكُومة نُوري السّعيد بُرهان الدِّين باش أعيان، ومُساهمته ووزارته بصرف الاعتمادات على شراء السّلاح للمُتآمرين في سُوريا، الذي نفى أنْ يكون على علم بقضيَّة التّآمر على سُوريا، إلاَّ بعد فضحها من قبَل المحكمة المذكورة [1] باستثناء توفيق السّويدي وزير خارجيَّة الاتِّحاد العَرَبي الذي كان حاضراً اجتماعاً في قصر يلدز في اسطنبول، الذي ناقش الموضوع، وتقرَّر في هذا الاجتماع كما يذكر السّويدي نفسه قائلاً: (تقرَّر إجبار الطُّغمة العسكريَّة السُّوريَّة على التّقاعد عن الحُكْم، وتسليم الإدارة المَدَنيَّة والسّياسيَّة إلى المَدَنيِّيْن حسب أحكام الدُّستُور السُّوري، وقد وقع الاختيار على العراق للقيام بهذه المهمَّة، وأُعطيت وُعُود صريحة له بالمُساعدة والتّأييد لتحقيق الغرض) [2]. ممَّا يدلُّ دلالة واضحة أنَّ موضوع تبديل الحُكْم في سُوريا قد نُوقش في هذا الاجتماع، وأنَّ ساسة الدُّوَل المـَعْنيَّة قد قرَّرت الأمر دُون مُراعاة للقانون الدّوليّ، أو العلاقات الأخويَّة بين البلدَيْن العراقيَّة ـ السُّوريَّة، ودُون تدخُّل من تُركيا، التي تُضمر الكُره للعَرَب مُنذُ ثورة الحجاز التي قادها الشّريف حُسين بن علي في الحجاز ضدَّ الإمبراطُوريَّة العُثمانيَّة سنة 1916، الذي بات قادتها يُمارسون سياسة التّمييز العُنصُري ضدَّ القوميَّات الأُخرى، ومنها القوميَّة العَرَبيَّة. على أيَّة حال؛ إنَّ المُؤامرات التي ذكرناها سابقاً ـ والتي كان يلعب الدّور الرّئيسي فيها نُوري السّعيد ـ قد جرت قبل أنْ يقع العُدوان الثُّلاثي، الذي شنَّته الدُّوَل الثّلاث فرنسا، وإنكلترا، والكيان الصّهيوني،

---

(1) عبد الرَّزَّاق الحسني : تاريخ الوزارات ،ج 10، مصدر سابق ، ص 90.

(2) السّويدي ، مُذكَّراتي ، مصدر سابق ، ص 565 ـ 566 .

على الشّقيقة مصر في تشرين الأوّل من عام 1956. وقد اعتقد الكثير من المُطّلعين على خفايا تلك المُخطَّطات أنَّ هذا الموضوع قد وُضع في خانة النّسيان، وبالذّات من قبَل نُوري السّعيد وعبد الإله، غير أنَّ الموضوع عاد من جديد، وظهرت بوادر النّشاط التّآمري الذي يقوده نُوري السّعيد ضدَّ حُكُومة سُوريا بعد حادث العُدوان الثُّلاثي بحُدُود خمسة أشهر[1].فقد ذكر اللّواء غازي الدّاغستاني في إفادته أمام محكمة الشّعب كما كانت تُسمّى وقتذاك؛ قائلاً: (استدعاني نُوري السّعيد، وأَطْلعني على أوراق فيها سلسلة حوادث موقوتة، للقيام بحركة داخليَّة بسُوريا، مشفوعة بحركة من قبَل الجيش العراقي، مع خَلْق أسباب مُبرِّرة للتَّدخُّل، وطلب إليَّ بقيام المقرِّ العامّ باتِّخاذ ما يلزم لتهيئة الجيش للعمل[2].وفي كُلِّ الأحوال؛ إنَّ مُخطَّط التّطويح بحُكُومة سُوريا التي كان يُخطِّط لها نُوري السّعيد، ويترقَّبها الأمير عبد الإله بلهفة وشوق، مُتعلِّلاً بإعادة عرش عمّه الملك فيصل الأوّل المفقود سنة 1920، في دمشق، كان يحظى برعاية ودَعْم من بريطانيا والولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة، والأخيرتَان - كما ذكرنا - تتعلَّلان بحُجَّة أنَّ الخطر الشُّيُوعي وصل سُوريا، وهُو يُشكِّل خطراً كبيراً على العالم الغربي[3]. وظلَّت الحُكُومة السُّوريَّة - التي فضحت المُتآمرين بمُحاكمات عَلَنيَّة، وأصدرت حُكم الإعدام بحقِّهم - تُرسل برقيَّات الاحتجاج إلى الحُكُومة العراقيَّة عبر برقيَّات واتِّهامات مُتواصلة، وكان وزير الخارجيَّة السُّوريَّة صلاح الدِّين البيطار صريحاً في تلك البرقيَّات التي تحمل في طيَّاتها اتِّهاماً واضحاً وجريئاً، حتَّى إنَّه وقف في مجلس النُّوّاب السُّوري في 17 كانون الأوّل عام 1956، وقال بعبارة صريحة وواضحة:

---

(1) عبد الرَّزّاق الحسني : تاريخ الوزارات ،ج 10، مصدر سابق ، ص 86.

(2) المحكمة العسكريَّة الخاصَّة ، ج 1 ،المصدر السّابق أعلاه ، ص 275 .

(3) عبد الرَّزّاق الحسني : تاريخ الوزارات ،ج 10،مصدر سابق ، ص 82.

(كُلُّنا نعرف تحريض بريطانيا ونُوري السّعيد لكُلٍّ من تُركيا، وإيران، والباكستان، لتقف من سُوريا موقفاً عدائيّاً، وكُلُّنا نعرف شراء الصُّحُف والضّمائر في أكثر البُلدان العَرَبيّة، وكُلُّنا نعرف قضيَّة إرسال السّلاح من العراق للقيام بأعمال عنيفة، ولقلب النّظام القائم بالقُوَّة[1].ورغم أنَّ الحُكُومة العراقيَّة أجابت على برقيَّات الاحتجاج السُّوريَّة بالتّكذيب، إلاَّ أنَّ التّآمر ظلَّ قائماً على سُوريا حتَّى قيام ثورة 14 تمُّوز 1958،[2] في العراق، الذي حرَّرته من الارتباط بالوُجُود البريطاني نهائيّاً، وجاءت حُكُومة وطنيَّة تقود البلاد باتِّجاه وطني مُتحرِّر.

---

(1) عبد الرَّزّاق الحسني : تاريخ الوزارات ،ج 10 ،مصدر سابق ، ص 89.

(2)المصدر السّابق أعلاه ، ص 87.

الفصل الخامس:

الثّورة في العراق ونهاية نُوري السّعيد والنُّفُوذ البريطاني

أدَّت هزيمة بريطانيا في السُّويس عام 1956، إلى انتصار الرّئيس المصري جمال عبد النّاصر وبُرُوزه كقائد قوميٍّ عَرَبيٍّ تحرُّريٍّ، تُؤازره الجماهير العَرَبيَّة، وتصفه بالبطل القومي، الذي كسر ظهر بريطانيا بالمنطقة، وجرَّدها من أهمِّ بُقعة نُفُوذ لها في منطقة الشّرق الأوسط، لا، بل أهان هيبتها بقُوَّة وبإصرار، عبر شجاعة مُذهلة وكبيرة. وشكَّل هذا الانتصار الذي حقَّقه عبد النّاصر ضدَّ خُصُومه الثّلاثة، وبالذّات بريطانيا، بداية لأُفُول النَّجْم البريطاني في المنطقة، فقد كان يُهيمن هذا النّجم على المنطقة بلا مُنازع، ويُخيف أكبر قُوَّة بالمنطقة، ولا تتجرَّأ أيُّ قُوَّة على مُقارعتها، ولا تُنازعها مُطلقاً في هذا المجال الحيوي المُهمِّ من العالم. وبخُرُوج عبد النّاصر مُنتصراً في مُواجهته هذه مع الغرب، وبالذّات مع بريطانيا، وضع نُوري السّعيد رئيس حُكُومة العراق في موقف ضعيف أمام شعبه، الذي كان يُعبِّر عن اعتزازه بعبد النّاصر طيلة أيّام العُدوان الثُّلاثي، وبعده؛ إذْ إنَّ الرَّأي العامَّ في العراق أصبح يلوم حُكُومته لأنَّها تواطأت مع دُول العُدوان، رغم أنَّ البيان الذي أصدرته فيما بعد قد أوضح أنَّ الحُكُومة العراقيَّة تحتجُّ على العُدوان الذي قامت به الدُّوَل الثّلاث على مصر[1]، كما أنَّ الرَّأي العامَّ العراقي لا يُمكن أنْ ينسى أنَّ الإذاعة العراقيَّة كانت تُقدِّم البرامج التي تُقلِّل من شأن عبد النّاصر، وتُسيء إليه، وإلى شخصيَّته. إنَّ الموقف السّلبي الذي وقفته الحُكُومة العراقيَّة من عبد النّاصر، وفشلها في الوُقُوف إلى جانب مصر في محنتها، وهي تتعرَّض للعُدوان، قد أفقدها

---

(1) الحسني: الوزارات، ج 10، مصدر سابق، ص 98-99.

آخر رصيد شعبيٍّ لها، فضلاً عن فشل حلف بغداد، الذي يضمُّ في غالبيَّته دُولاً إسلاميَّة في التّعبير عن تضامنه مع الأُمَّة العَرَبيَّة، بل إنَّ أحد أطراف الحلف وهُو بريطانيا قد شارك في هذا الاعتداء على دولة عَرَبيَّة مُسلمة [1]، ممَّا أحرج دُول الحلف الأُخرى، وعندما عقد مُلُوك ورُؤساء دُول الحلف اجتماعاً في قصر المرمرة بطهران كانوا في حرج من وُجُود بريطانيا المُعتدية بينهم، فاستبعدوها من الاجتماع، وعقدوا جلساتهم تحت اسم قمَّة الدُّوَل الإسلاميَّة الأربع، ذلك لأنَّ استمرار اشتراك بريطانيا بالحلف بعد انكشاف تواطئها مع إسرائيل بالعُدوان ضدَّ دولة عَرَبيَّة إسلاميَّة أصبح وَضْعاً لا يُطاق؛ لأنَّه سيضعهم أمام شُعُوبهم تحت طائلة المُساءلة.[2]

أمَّا الأحزاب السّياسيَّة العراقيَّة، وبعد انتصار عبد النّاصر الكبير على أعدائه؛ فقد باتت تُخطِّط لإسقاط النّظام، وكانت أُولى الخُطوات بهذا الاتّجاه هُو قيام جبهة الاتّحاد الوطني في شباط من عام 1957، وَجَمَعَتْ حزب البعث العَرَبي وحزب الاستقلال والحزب الشُّيُوعي والوطني الدّيمقراطي، وظهرت الجبهة في وقت كان الحماس الشّعبيُّ الوطنيُّ والقوميُّ في ذُروته ومُتفاعلاً مع انتصارات عبد النّاصر القوميَّة، وتشكَّلت لجان تنظيميَّة تابعة للجنة العُليا للجبهة انتشرت في كافَّة المُدُن العراقيَّة، وعززت اتّصالاتها بالعسكريِّيْن، وغالبيَّتهم من حركة الضُّبَّاط الأحرار[3].الذين شكَّلوا مُنظَّمتهم السِّرِّيَّة مُنذُ أوائل الخمسينات، وتمَّ التّنسيق بينهما على إسقاط النّظام الحاكم؛ إذْ إنَّ حركة الضُّبَّاط الأحرار كانت تسعى لنفس الهدف، وطيلة فترة الخمسينات، كانت قيادتها تُخطِّط لتنفيذ هذا

---

(1) الونداوي : وثائق ثورة تمّوز 1958 ، مصدر سابق ، ص 18.

(2) هيكل ، مُحَمَّد حسنين : ملفَّات السُّويس ، مصدر سابق ، ص 588 .

(3) الحسني : الوزارات ، ج 10 ، مصدر سابق ، ص 213 ـ 214.

الهدف[1]، لقد كانت الحُكُومة البريطانيّة غير مُطمئنّة - مُنذُ وقت سابق - بأنَّ النّظام الملكي مُعرَّض للانهيار في أيِّ وقت، وكانت جاهزة بكُلِّ الوسائل لإبقائه في السُّلطة لأطول فترة مُمكنة؛ لأنّه يُلبِّي مصالحها في العراق، وكان مجموعة من رجال النُّخبة الحاكمة هُم الذين يتولُّون تلك المسؤوليّة، ويقف على رأسهم نُوري السّعيد، والأخير تجاوز سنَّ السِّتِّين، وبات يقترب من سنِّ السّبعين، وأصبح مريضاً لا يقوى على تحمُّل مسؤوليّاته، مثلما كان سابقاً، ثُمَّ إنَّه أصبح مشغولاً بالسّياسة الخارجيّة، أكثر من اهتمامه السّياسة الدّاخليّة لبلده[2]. غير أنَّ السّفير البريطاني مايكل رايت كان مُتيقّناً أنَّ الخطر القادم سوف لا يكون مصدره الجيش، ففي تقريره الذي رفعه إلى وزارة الخارجيّة البريطانيّة قبل عشرة أسابيع من قيام الثّورة أوضح فيه بأنَّ الجيش قد - ترك تماماً - مُمارسته السّابقة بالتّدخُّل في الشُّؤون السّياسة، وأنّه - الآن - لا يُبدي اهتماماً بذلك، ثُمَّ طمأن السّفير رايت حُكُومته بأنّه لا تُوجد حالات سياسيّة تنمُّ عن نشاط ثوري واضح ضدَّ النّظام الملكي في العراق. إنَّ تطمين السّفير مايكل رايت لحُكُومته في لندن عن الحالة السّياسيّة في العراق لا تستند إلى رُؤية ثاقبة، فالأوضاع في المنطقة قلبت الأُمُور رأساً على عقب، وإذا كان من شيء يلفت الانتباه فهُو وُقُوع العُدوان الثُّلاثي على مصر الذي هزَّ بغداد والعواصم العَرَبيّة الأُخرى، فهبَّت جماهيرها مُساندة لحُكُومة عبد النّاصر الثّوريّة، فضلاً عن الدّور الكبير للقائد عبد النّاصر الذي بات يُلهب المشاعر القوميّة، فحفّزت الجماهير للاقتداء به، فكانت القوى الوطنيّة في العراق في مُقدّمة مَنْ تحرَّك بهذا الاتّجاه، الذي جاء تحرُّكه عكس ما كان يتوقّعه السّفير

---

(1) الذّاكرة التّاريخيّة لثورة 14 تمّوز، دار الشُّؤون الثّقافيّة، بغداد، 1987، ص 15 - 16.

(2) الونداوي، مُؤيَّد إبراهيم: وثائق ثورة تمّوز 1958، مصدر سابق، ص 18.

البريطاني. وسنتناول التّقرير الذي رفعه السّير مايكل رايت إلى وزير خارجيّته البريطاني السّير سلوين لويد قبل عشرة أسابيع فقط من قيام ثورة 14 تمّوز 1958، التي أسقطت النّظام الملكي حول الوَضع الدّاخلي في العراق الذي يصفه على الشّكل التّالي:

إنَّ الموقف الدُّستُوري في العراق يتمثَّل بقُوَّة البلاط، الذي يقوم على أساس العمل مع قادة سياسيِّيْن يقف في مُقدِّمتهم نُوري السّعيد. وأنَّ الهدف السّياسي للقصر الملكي هُو الحفاظ على موقف العائلة الهاشميَّة المالكة، ومن المُتوقَّع أنْ تستمرَّ البلاد في مسيرتها الحاليَّة إلى وقت غير معروف. إلاَّ أنَّ تأثير الإعلام المصري فعَّال، ممَّا يجعل أمر مُعارضة الحُكُومة ـ وخاصَّة من قبَل الشّباب، فضلاً عن الأشخاص العاديِّيْن لكُلِّ قرار حُكُومي ـ مسألة ثابتة، لا لشيء سوى لأنَّها صادرة عن الحُكُومة. مع ذلك؛ فهُنالك عوامل قويَّة للاستقرار في البلاد؛ منها أنَّ رُؤساء العشائر يُساندون العائلة المالكة بقُوَّة، كما أنَّ الجيش[1] يُساند ـ هُو الآخر ـ العائلة بقُوَّة، رغم أنَّه ـ في السّابق ـ تدخَّل في شُؤُونها السّياسيَّة، لكنَّه ـ في الوقت الحاضر ـ لا يبدو عليه ذلك، وإذا ما استمرَّ هكذا، وتمَّت السّيطرة عليه، وخاصَّة على قيادته، فإنَّه سيُصبح قُوَّة فعَّالة ومُساندة للنّظام، أمَّا الدّوائر الأمنيَّة؛ فقد

(1) لقد كتب السّفير البريطاني هذا التّقرير إلى وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة، قبل قيام ثورة 14 تمّوز 1958، بعشرة أسابيع ، ويبدو ـ من خلاله ـ أنَّ الأجهزة الاستخباراتيَّة البريطانيَّة تجهل تحرُّكات الجيش السِّرِّيَّة، وأنَّ معلوماتها عن الجيش تخصُّ قادته المُوالين للبلاط الملكي. في حين كانت الأجهزة الأمنيَّة العراقيَّة تُزوِّد البلاط الملكي بمعلومات كثيرة عن نشاطات حركة الضُّبَّاط الأحرار ، وكان مُدير الأمن العامّ بهجت العطيَّة قد لقي ردَّاً قاسياً من الوصي لكثرة ما كان يُقدِّمه من معلومات عن نشاطات الضُّبَّاط، حتَّى إنَّه هدَّده إنْ قام بتقديم مثل هذه المعلومات التي وصفها عبد الإله بغير صحيحة، والجيش بعيد عنها ، وأبرز تلك المعلومات حول اجتماع مُشتمل الكاظميَّة، الذي ضمَّ بعض الضُّبَّاط الأحرار، ومن بينهم العقيد رفعت الحاج سرِّي، والعقيد إسماعيل العارف، وزُملائهم، مُحَمَّد حمدي الجعفري : نهاية قصر الرّحاب ، مصدر سابق ، ص 66 ـ 70.

تزايدت كفاءتها مُعتمدة على المُساعدات والخبرات البريطانيّة من خلال التّدريب، وتزويدها بالمعدّات، ومن جانبه؛ فقد بقي عبد النّاصر مصدر تهديد وإثارة لمشاعر الشّباب الثّوريّة، وخاصّة بعد إعلان الجُمهُوريّة العَرَبيّة المُتّحدة، الذي قُوبل بالإعلان عن قيام الاتّحاد العَرَبي، الذي يجمع بين العائلتَيْن المالكتَيْن في العراق والأُردن. إنَّ رَفْع القُيُود الحاليّة عن حُرّيّة التّعبير يُمكن أنْ تُؤدّي إلى كارثة في البلاد، ورُبَّما إلى ثورة، ويُمكن - أيضاً - إذا ما اتُّخذت أيّة خُطوة صغيرة بهذا الاتّجاه، فإنَّها ستزيد من الضُّغُوطات على القصر[1].

ومن جانب آخر؛ فقد ذكرت بعض المصادر التّاريخيّة - نقلاً عن السّيّد عبدالله بكر رئيس الدّيوان الملكي - بأنَّ السّفير البريطاني مايكل رايت طلب مُقابلته قبل اندلاع الثّورة بشهر واحد، وحاول السّفير الإلحاح عليه بضرورة إجراء بعض الإصلاحات الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وعلى الأخصّ؛ في ما يخصُّ بكَبْح نُفُوذ مشايخ القبائل، فكان جواب بكر: إنَّ مشايخ القبائل يعتبرون السّلسلة الفقريّة للملكيّة، وهُنا؛ بادر السّفير البريطاني إلى الإنذار وكأنّما يتنبّأ فقال: إذا لم تُنفَّذ الإصلاحات، فسلام على الملكيّة، وعلى مشايخ القبائل أيضاً. وبعد ذلك بأُسبُوع طلب صموئيل فُول السّكرتير الشّرقي في السّفارة البريطانيّة ببغداد مُقابلته - أيضاً - في القصر الملكي، وجاء فُول، وكان يبدو مُضطرِباً بشأن ما أصاب حالة البلاد الدّاخليّة من تدهور وفساد. ونصحه بضرورة إدخال بعض الإصلاحات لتحسين الأوضاع، واقترح فُول بأنْ تتضمَّن الإصلاحات المُزمَعَة تحسيناً في الأوضاع الاجتماعيّة، تتناول الحَدَّ من تسلُّط مشايخ القبائل والإقطاعيّيْن وتبنّي نظام ضرائب تصاعدي[2].

---

(1) Mical Rieght To Slween Loughd, 22.4.1958. Fo 371/128056.

(2) مجيد خدوري: العراق الجُمهُوري، مصدر سابق، ص 58.

يبدو أنَّ السِّفارة البريطانيَّة لم تُدرك أنَّ أسباب الأوضاع المُتردِّية في الدّاخل سببها تردِّي الأوضاع السّياسيَّة الدّاخليَّة، التي لا تقبل بتحسينها السِّفارة، ولا رجال السُّلطة؛ لأنَّ ذلك سيضع السّاسة المُوالين لها تحت مطرقة القوى السّياسيَّة الوطنيَّة. وأمام هذا الواقع المُفزع؛ راحت السِّفارة البريطانيَّة تتعجَّل النّصائح، وتقديم الحُلُول إلى البلاط الملكي، لعلَّه يتَّخذ بعض الإجراءات، التي تُؤدِّي إلى تحسين الوَضع الدّاخلي، فيتمُّ امتصاص النّقمة الشّعبيَّة، غير أنَّ السّفير البريطاني السِّير مايكل رايت صاحب الخبرة الطّويلة في الشُّؤُون العراقيَّة - اقترح للحَدِّ من الاتّجاهات الثّوريَّة - تشكيل حُكُومة جديدة برئاسة عسكري قدير، قد يرضى عنه البلاط والجيش. تضمُّ الوزارة بعض السّاسة الوطنيِّين لإعادة الثّقة بالحُكُومة، التي بدا نُوري السّعيد غير قادر على قيادتها، والتّأثير فيها، فقد بلغ من العُمر ما لا يصحُّ معه أنْ يكون على رأس الحُكُومة، (كما صرَّح بذلك سام فُول). وأنْ يُعيِّن وليُّ العهد الأمير عبد الإله سفيراً لبلاده في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة، لأنَّه أصبح غير مرغوباً من الشّعب، وترك الملك الشّابّ فيصل الثّاني يتعاون مع الحُكُومة الجديدة، فإذا تَمَّ الانسجام والتّعاون بينهما فإنَّه يستطيع إنقاذ البلاد من حالة الاستياء العامّ. ولكي يضع السّفير البريطاني الفكرة موضع التّنفيذ راح يضغط على كُلٍّ من نُوري السّعيد وعبد الإله اللّذَيْن رفضا الفكرة التي جاءت - ولا شكَّ - بتوجيه من الحُكُومة البريطانيَّة، ولَمَّا عُرض الأمر على الملك رفض هُو الآخر الفكرة[1]. يبدو - ممَّا تقدَّم - أنَّ تحرُّكات السّفير البريطاني والعاملين معه لإنقاذ النّظام لم تأتِ بنتائج مَرْجُوَّة، فقد فشلت في حماية النّظام ورجال النُّخبة الحاكمة، التي قدَّمت له الرّعاية والحماية طيلة نصف قرن ماضية. أمَّا نشاطات

(1) مجيد خدوري: العراق الجمهُوري، مصدر سابق، ص 59.

الضُّبَّاط الأحرار، التي كانت تستهدف النّظام الملكي للإطاحة به، ومن ثمَّ طَرْد النُّفوذ؛ فقد واصلت تقدُّمها بنجاح وبسرِّيَّة تامَّة، ففي صبيحة يوم 14 تمُّوز عام 1958، هاجمت قُوَّات من الجيش العراقي الثّائرة العاصمة بغداد، وسيطرت على الأماكن الحيويَّة فيها، وعلى دار الإذاعة، ومنها؛ أعلنت عن قيام الثّورة، وإعلان الجُمهُوريَّة في البلاد، وإنهاء النُّفُوذ البريطاني فيها، ولقيت الثّورة - حال إعلانها - مُساندة شعبيَّة واسعة، ودَعْم وتأييد مُطلقَيْن من بقيَّة وحدات الجيش المُنتشرة في المُدُن العراقيَّة، رغم تردُّد البعض من قادتها، ومُحاولة التَّمرُّد على الثّورة، لكنَّها لم تنجح؛ حيثُ تَمَّ السّيطرة عليها فوراً، لقد حرَّرت الثّورةُ العراقَ من السّيطرة البريطانيَّة، التي كانت تُهيمن عليه طيلة ما يقرب من النّصف قرن، كافح الشّعب العراقي خلالها طويلاً، وقدَّم الكثير من أبنائه شُهداء من أجل حُرِّيَّته واستقلاله.

1- إعلان الثّورة وسُقُوط النّظام الملكي في العراق:

شهد صيف عام 1958، سُخُونة في الوَضْع السّياسي العالمي، وتوتَّرت الأجواء في الشّرق الأوسط؛ بسبب قيام الولايات المُتّحدة الأمريكيَّة بشَنِّ هجمة إعلاميَّة كبيرة على خصمها التّقليدي - آنذاك - الاتِّحاد السُّوفيتي، مُتَّهمة إيَّاه بتأليب دُول العالم الثّالث ضدَّها كدولة استعماريَّة[1].

وانعكس ذلك على العراق، وتحت ستار مُقاومة الشُّيُوعيَّة طَرَحَ الرّئيس الأمريكي آنذاك دوايت آيزنهاور فكرة تقوم على أساس مُقاومة حركة التَّحرُّر العَرَبيَّة، التي يقودها الرّئيس المصري جمال عبد النّاصر، الذي ناصبته العداء

(1) مُحَمَّد حمدي الجعفري، عبد الكريم قاسم والضُّبَّاط الأحرار والموقف من بريطانيا حتَّى عام 1958، دار الشُّؤُون الثّقافيَّة، بغداد، 2002، ص 133.

صراحة باعتباره حليفاً للاتّحاد السُّوفيتي، وتحت غطاء مُحاربة الشُّيُوعيّة، وسُمّي بمبدأ آيزنهاور؛[1] إذْ كان عبد النّاصر ـ وقتذاك ـ يقود نضالاً تحرُّريّاً ضدَّ الاستعمار الغربي، الذي تُمثّله بريطانيا والولايات المُتّحدة الأمريكيّة، وبالذّات؛ حلف بغداد، الذي تقف على رأسه بريطانيا، ويلعب فيه نُوري السّعيد دوراً كبيراً، وقد كان إعلان الجُمهُوريّة العَرَبيّة المُتّحدة التي تضمُّ (مصر وسُوريا) في 10 شباط عام 1958، بزعامة عبد النّاصر قد عزَّز من النّضال العَرَبي ضدَّ الاستعمار، وانتعشت آمال الجماهير العَرَبيّة بتحقيق حُلم الوحدة العَرَبيّة بهذا الإنجاز العظيم، وفي المُقابل؛ ازداد التّآمر ضدَّ دولة الوحدة، وظهرت أوّل إشارة لرَدّة الفعل العَرَبي المُوالي للغرب هُو قيام الاتّحاد العَرَبي الهاشمي، الذي يضمُّ العراق والأُردن، اللّذَيْن تحكمهما العائلة الهاشميّة، ذلك أنَّ هذَيْن النّظامَيْن شعرا بالخطر المُحدق بهما، وبالذّات؛ من قبَل شعبَيْهما بفعل تزايد المَدِّ الشّعبيِّ الوطنيِّ، الذي اجتاح الوطن العَرَبي؛ مُؤيّداً لسياسة عبد النّاصر التّحرُّريّة، ومن بين الدُّوَل التي ساندت سياسة الغرب وارتبطت معها بارتباط التّحالف كانت حُكُومة لُبنان، التي يرأسها كميل شمعون، الذي أعلن قُبُوله وتأييده لمبدأ آيزنهاور، فانفجر الشّعب العَرَبي في لُبنان، مُعارضاً سياسة رئيسه شمعون، واضطربت الأوضاع الدّاخليّة فيه، فاعتبرت الولايات المُتّحدة الأمريكيّة وحليفتها الدُّوَل الغربيّة أنَّ الاضطرابات الشّعبيّة في لُبنان مصدرها الرّئيس جمال عبد النّاصر، فهُو يُقدِّم الدَّعم للوطنيّيْن اللُّبنانيّيْن الرّافضين لسياسة رئيس دولته[2]. ولمّا وجدت الحُكُومة العراقيّة أنَّ نظام حليفها الرّئيس كميل شمعون بدأ يتزعزع سارعت

(1) مجيد خدوري: العراق الجُمهُوري، مصدر سابق، ص 92.

(2) إسماعيل العارف: أسرار ثورة 14 تمّوز 1958، وتأسيس الجُمهُوريّة العراقيّة، لندن، مكتبة الماجد، سنة 1986، ص 151 ـ 152.

لُناصرته بإرسال قُوّات عسكريَّة إلى الأُردن، مُستهدفة - في حقيقتها - سُوريا الإقليم الشّمالي من دولة الوحدة، التي ترأسها جمال عبد النّاصر، التي كانت تُساعد الوطنيّيْن اللُّبنانيّيْن، وبهدف التّخفيف من الضّغط على الحُكُومة اللُّبنانيَّة، واختارت الحُكُومة العراقيّة لهذه المهمَّة أحد ألوية المُشاة العراقيّة الفعَّالة[1].

في 7 حُزيران من عام 1958، أصدرت دائرة الأركان العامّة - مُديريَّة الحركات العسكريَّة بوزارة الدّفاع العراقيّة أمراً بإرسال لواء المُشاة العشرين إلى الشّطر الأُردني من دولة الاتّحاد الهاشمي العَرَبي؛ لتنفيذ هذه المهمَّة أُطلق عليها الاسم الرّمزي (حركة صقر). وفي 25 حُزيران؛ حُدِّدت المهمَّة للّواء المذكور، الذي يُعسكر في مُعسكر جلولاء بلواء ديالى، مقرّ المُعسكر، الذي خُصِّص لقُوّات الفرقة الثّالثة. وفي هذا الأثناء؛ اجتمع الضُّبَّاط الوطنيُّون في الجيش ، وهُم الخلايا السّرِّيَّة التي أطلقت على نفسها اسم (حركة الضُّبَّاط الأحرار)، وأبرزهم الزّعيم الرُّكن عبد الكريم قاسم، رئيس الحركة، وآمر اللّواء التّاسع عشر في الفرقة الثّالثة، الذي مقرُّه - هُو الآخر - في ديالى، وزميله العقيد الرُّكن عبد السّلام عارف، آمر فوج في اللّواء العشرين التّابع للفرقة الثّالثة، والتي يقودها اللّواء الرُّكن غازي الدّاغستاني، واتّفقا على خُطّة مُدبَّرة لاستغلال مُرُور وحدات اللّواء المُشاة المذكور ببغداد، ومن ثمَّ؛ قيام العقيد الرُّكن عبد السّلام عارف أقدم آمر فوج باللّواء بالسّيطرة على اللّواء المذكور، والدُّخُول إلى بغداد، والانقضاض على النّظام الملكي، وإسقاطه، على أنْ يقوم الزّعيم الرُّكن عبد الكريم قاسم، آمر اللّواء التّاسع عشر، بالتَّحرُّك إلى بغداد من لواء ديالى، وتعقُّب اللّواء العشرين لإسناده في مهمَّته، وإنجاح الثّورة[2]. ثُمَّ يجري تنفيذ بقيَّة الخُطوات اللاَّحقة، التي تتضمَّن

---

(1) محسن حُسين الحبيب : حقائق عن ثورة 14 تمّوز في العراق ، دار الأندلس ، بغداد، ص 92.

(2) مُحَمَّد حمدي الجعفري ، الجيش والسّياسة ، مُسوّدة كتاب غير منشور ، مصدر سابق.

السّيطرة على قصر الرّحاب، وقصر نُوري السّعيد، ودار الإذاعة، ووزارة الـدّفاع، ومقرّ القُوَّة السَّيَّارة. أمَّا اللّواء التّاسع عشر ـ والذي مقـرُّه في المنـصوريَّة، إحـدى المُدُن التّابعة إلى لواء ديالى ـ ؛فإنَّه يُسيطر على مقرّ الفرقة الثّالثـة في مدينـة بعقوبـة، مركز لواء ديالى، واعتقال قائدها اللّواء غازي الدّاغستاني المُـوالي للنّظـام الملكـي، ومُواصلة تحرُّكه نحـو بغـداد، لمُـساندة اللّـواء العـشرين، واسـتثمار الفـوز، وقـد نجحت خُطَّة اللّواء التّاسع عشر، وسيطر على مقرّ الفرقة الثّالثة، واعتُقل قائدها، واتَّجه نحو بغداد، ونجح اللّواء العشرون في تنفيذ مهمَّته، التـي وضـعها الـضُّبَّاط الأحرار، واقتُحم قصر الرّحاب، وقُتـل الملـك، ووليُّ العهـد الأمـير عبـد الإلـه، والعائلة الهاشميَّة، وسُيطر على وزارة الـدّفاع، ودار الإذاعـة العراقيَّـة، ومُعـسكر القُوَّة السَّيَّارة، أمَّا قصر نُوري السّعيد ـ الذي كُلِّف بالسّيطرة عليه الرّائـد بهجـت سعيد آمر السَّرِيَّة الثّانية في اللّواء العشرين، وكان معه المُقدَّم وصفي طـاهر دلـيلاً إلى قصر نُوري السّعيد، باعتباره كان مُرافقاً شخـصيّاً لـه ـ؛ فقـد هـاجم القـصر، لكنَّه أفلت من القُوَّة المُهاجمة، ورغم أنَّ الأقاويل والاتّهامات قد وُجِّهَت ضدَّ دليل السَّرِيَّة العقيد وصفي طاهر، الذي أطلق النّار لمُجـرَّد اقـتراب جُنُـود الـسَّرِيَّة مـن القصر، وهُو ما أتاح الفُرصة لنُوري السّعيد لكي يهرب، بواسطة النّهر الذي يُطلُّ عليه قصره من الخلف، عند سماعه صوت الإطلاقات النّاريَّة، ورغـم أنَّ وصـفي علَّل ذلك بأنّه أراد تخويف نُوري السّعيد لكي يستسلم، وتقوية معنويَّـات جُنُـود السَّرِيَّة، وهُم يقتربون من هدفهم؛ لكي يقوموا بواجباتهم على أكمل وجـه، إلاَّ أنَّ ذلك لم يُقنع المُهتمِّين بشُؤُون الـسّياسة[1]. ويعتقـد بعـض الكُتَّـاب والبـاحثين أنَّ تصرُّف العقيد وصفي طاهر ـ الذي كان مُرافقاً سابقاً لنُوري السّعيد ـ هُو مُحاولـة

---

(1) مُحمَّد حمدي الجعفري ، نهاية قصر الرّحاب ، تفاصيل ما حدث ليلة 14 تمُّوز وصبيحتها عام 1958 ، بغداد ، دار الشُّؤُون الثّقافيَّة ، 1989 ، ص 142

السّيطرة على قصر الرّحاب، وقصر نُوري السّعيد، ودار الإذاعة، ووزارة الـدّفاع، ومقرّ القُوَّة السَّيَّارة. أمَّا اللّواء التّاسع عشر ـ والذي مقـرُّه في المنـصوريَّة، إحـدى المُدُن التّابعة إلى لواء ديالى ـ ؛فإنَّه يُسيطر على مقرّ الفرقة الثّالثـة في مدينـة بعقوبـة، مركز لواء ديالى، واعتقال قائدها اللّواء غازي الدّاغستاني المُـوالي للنّظـام الملكـي، ومُواصلة تحرُّكه نحـو بغـداد، لُمـساندة اللّـواء العـشرين، واسـتثمار الفـوز، وقـد نجحت خُطَّة اللّواء التّاسع عشر، وسيطر على مقرّ الفرقة الثّالثة، واعتُقل قائدها، واتَّجه نحو بغداد، ونجح اللّواء العشرون في تنفيذ مهمَّته، التـي وضـعها الـضُّبَّاط الأحرار، واقتُحم قصر الرّحاب، وقُتـل الملـك، ووليُّ العهـد الأمـير عبـد الإلـه، والعائلة الهاشميَّة، وسُيطر على وزارة الـدّفاع، ودار الإذاعـة العراقيَّـة، ومُعـسكر القُوَّة السَّيَّارة، أمَّا قصر نُوري السّعيد ـ الذي كُلِّف بالسّيطرة عليه الرّائـد بهجـت سعيد آمر السَّرِيَّة الثّانية في اللّواء العشرين، وكان معه المُقدَّم وصفي طـاهر دلـيلاً إلى قصر نُوري السّعيد، باعتباره كان مُرافقاً شخـصيّاً لـه ـ؛ فقـد هـاجم القـصر، لكنَّه أفلت من القُوَّة المُهاجمة، ورغم أنَّ الأقاويل والاتّهامات قد وُجِّهَت ضدَّ دليل السَّرِيَّة العقيد وصفي طاهر، الذي أطلق النّار لُمجـرَّد اقـتراب جُنُـود الـسَّرِيَّة مـن القصر، وهُو ما أتاح الفُرصة لنُوري السّعيد لكي يهرب، بواسطة النّهر الذي يُطلُّ عليه قصره من الخلف، عند سماعه صوت الإطلاقات النّاريَّة، ورغـم أنَّ وصـفي علَّل ذلك بأنَّه أراد تخويف نُوري السّعيد لكي يستسلم، وتقوية معنويَّـات جُنُـود السَّرِيَّة، وهُم يقتربون من هدفهم؛ لكي يقوموا بواجباتهم على أكمل وجـه، إلاَّ أنَّ ذلك لم يُقنع المُهتمِّين بشُؤُون الـسّياسة[1]. ويعتقـد بعـض الكُتَّـاب والبـاحثين أنَّ تصرُّف العقيد وصفي طاهر ـ الذي كان مُرافقاً سابقاً لنُوري السّعيد ـ هُو مُحاولـة

---

(1) مُحمَّد حمدي الجعفري ، نهاية قصر الرّحاب ، تفاصيل ما حدث ليلة 14 تمُّوز وصبيحتها عام 1958 ، بغداد ، دار الشُّؤُون الثّقافيَّة ، 1989 ، ص 142

منه لإشعاره بأنّهم جاءوا لقَتْله، ويمنحه فرصة الهُرُوب والاختفاء من الدّار، وإذا قُيّض للثّورة أنْ تفشل؛ فإنَّ هذا التَّصرُّف سيشفع له عند نُوري السّعيد إذا ما خرج من المُواجهة سالماً. لقد دخلت القُوَّةُ المُهاجمةُ قصرَ نُوري السّعيد، ووجدتْهُ خالياً، فقد هرب. وبقى قائد القُوَّة الرّائد بهجت سعيد فيها لفترة طويلة بأمل عودة نُوري السّعيد إلى داره، والقبض عليه، لكنَّ الأحداث جرت عكس ماكان ينتظره آمر القُوَّة، وظلَّ نُوري السّعيد مُطارَداً ومطلوباً من الثُّوَّار، والذين وضعوا جائزة مقدارها عشرة آلاف دينار لَمَنْ يقبض عليه حيَّاً، أو ميّتاً، لأنّه الرّأس المُوجِّه للنّظام، وباستطاعته تغيير الأحداث، وقَلْبها، إنْ لم يُقبَض عليه، وظلَّ نُوري السّعيد يتنقّل من دار إلى أُخرى، وغالبيّتهم من معارفه وأصدقائه، على أمل أنْ تتدخَّل القُوَّات البريطانيّة، أو قُوّات دُول حلف بغداد، المُجتمعة رُؤساء وُفُودها في تُركيا لإنقاذ النّظام، غير أنَّ ذلك لم يحدث، وسارت الأحداث ـ بشكل آخر ـ ستناولها ـ بالتّفصيل ـ لاحقاً[1].

2- السّاعات الأخيرة من حياة نُوري السّعيد:

كان قادة الثّورة ـ وقُبيل وُصُولهم إلى بغداد على رأس قُوَّة عسكريّة قادمة من بعقوبة لتفجير الثّورة وإسقاط النّظام ـ قد أوكلوا مهمَّة إلقاء القبض على نُوري السّعيد إلى الرّائد بهجت سعيد، وقَتْله فوراً إنْ هُو حاول الهرب، وكانت ضمن خُطَّة عامَّة للقَبْض والسّيطرة على رجال النّظام الملكي. وكُلِّف بمُرافقة الرّائد بهجت إلى دار نُوري السّعيد العقيد وصفي طاهر أحد الضُّبّاط المُنتمين إلى حركة الضُّبّاط الأحرار، والمُرافق السّابق لنُوري السّعيد باعتباره يعرف مكان البيت، الذي يقع في منطقة كرادة مريم بجانب الكَرْخ جنوبي بغداد، وعلى الضّفَّة

(1) ليث عبد الحسن، الزُّبيدي: ثورة 14 تمُّوز، المصدر السّابق، ص 176.

الغربيَّة لنهر دجلة. أمَّا بالنّسبة إلى نُوري السّعيد؛ فقد أوى إلى فراشه مُبكِّراً ليلة الثّالث عشر من تمّوز، على أمل السَّفَر في الصَّباح المُبكِّر مع الملك فيصل وولِيّ العهد الأمير عبد الإله إلى استنبول لحُضُور الاجتماع التّمهيدي لمجلس حلف بغداد. وفي السّاعة الخامسة صباحاً وصل الضّابطان وصفي طاهر، وبهجت سعيد، إلى بيت نُوري السّعيد، مع جُنُودهما، وأحاطا بالمنزل، ويبدو أنَّ أحد خُدَّام المنزل أيقظ نُوري من نومه، عندما سمع طلقات ناريَّة، وسُرعان ما غادر المنزل بثياب النّوم من باب خلفي، لم يكن الجُنُود قد طوَّقوه بعدُ، وهذا الباب يُؤدِّي إلى نهر دجلة، ويبدو أنَّ وصفي طاهر ـ الذي كان أوّل مَنْ دخل البيت ـ اكتشف اختفاء نُوري السّعيد، فسارع بنَقْل الخبر إلى زميله، واقتحم الجُنْدُ البيتَ، إلاَّ أنَّ نُوري كان قد غادر بيته في زورقه الرّاسي في النّهر، وعبر إلى منطقة الرّصافة في الضّفَّة المُقابلة للنّهر[1].

وفي رواية أُخرى تذكر أنَّ نُوري تلقَّى مُكالمة هاتفيَّة صباح يوم 14 تمُّوز الباكر، وفي السّاعة الخامسة والنّصف كان مصدرها مُدير الأمن العامُّ بهجت العطيَّة؛ مُحذِّراً إيَّاه من أنَّ شيئاً غير اعتيادي يحدث في بغداد، وأنَّه لرُبَّما كان الجيش يُحاول القيام بانقلاب عسكري. وفي السّاعة السّادسة صباحاً وصلت الخبَّازة عمشة تحمل أرغفة الخُبز الحارَّة كعادتها صباحاً إلى منزل نُوري السّعيد؛ إذْ كان يُحبُّ تناول الخُبز العراقي الحارّ صباح كُلِّ يوم، وأخبرته أنَّ الجيش يُطلق النّار، ويتقدَّم نحو داره، وعندئذ؛ قرَّر نُوري السّعيد الهرب، دُون أنْ يُغيِّر ملابسه، وإنَّما اكتفى بارتداء بجامة النّوم، حاملاً معه مُسدَّسه، وعبر نهر دجلة بقارب كان راسياً بالقُرب من داره، فرأى النّاس يتجمهرون على الجانب الثّاني من النّهر،

---

(1) مجيد خدوري: العراق الجمهُوري، مصدر سابق، ص 77.

فاتّجه إلى السّفارة السّويسريّة الكائنة هُناك، فلم يُسمَح له بدُخُولها، لذلك؛ عاد من حيثُ أتى، فانتقل نُوري السّعيد إلى دار صديقه الدُّكتُور صادق البصام، الذي نقله بسيَّارة مُرتضى البصام، ولبس نُوري عباءة نسائيَّة، وجلس في المقعد الأمامي، فتوجَّهت السَّيَّارة باتِّجاه الصّالحيَّة، ثُمَّ الكاظميَّة، فمحلَّة (القطانة)؛ حيثُ تقع دار صديقه محمود الاستربادي، التي كانت تتألَّف من أربع دُور، تصل بينهما ممرَّات ودهاليز، ولها عدَّة منافذ على الشّارع العامّ والأزقَّة الدّاخليَّة لمحلَّة القطانة.

وفي ذلك الوقت؛ أذاعت دار الإذاعة أنَّ حُكُومة الثّورة أعلنت عن تقديم جائزة قدرها عشرة آلاف دينار لِمَنْ يقبض عليه حيّاً أو ميّتاً، في حين كان نُوري السّعيد يوم 14 تمُّوز في دار الاستربادي لا يستقرُّ له قرار، ولم يجلس على كُرسي، حتَّى ولو دقائق، وإنَّما كان يذرع غُرف الدّار جيئة وذهاباً، ويحمل بيده راديو، يستمع إلى البيانات التي يُذيعها الرّاديو عن الثُّوَّار، ومن ثمَّ؛ يصعد إلى سطح المنزل بين الحين والآخر، مُعتقداً أنَّ الذي قام بالانقلاب هُو اللّواء الرُّكن غازي الدّاغستاني قائد الفرقة الثّالثة؛ لأنَّ القُوَّات التي أعلنت الثّورة تقع تحت قيادته (ويبدو أنَّ نُوري لا يعلم أنَّ الدّاغستاني اعتُقل مُنذُ الصّباح الباكر من قبَل ضُبَّاط أحد أركان المُوالين للنّظام الملكي المُنهار) وظلَّ نُوري يصرخ مراراً قبل الظُّهر (عملتها يا ابن مُحَمَّد فاضل)[1] كرَّر هذا القول غير مرَّة، ثُمَّ عاد،

---

(1) المقصود اللّواء غازي مُحَمَّد فاضل الدّاغستاني، وسبب ترديده لهذه العبارة؛ لأن اللّواءين اللّذَيْن هاجما بغداد كان أحدهما بقيادة الزّعيم الرُّكن عبد الكريم قاسم، وهُو تحت قيادة الفرقة الثّالثة، التي يقودها اللّواء الدّاغستاني ، ويبدو أنَّ نُوري السّعيد لم يكن يعلم أنَّ قائد الفرقة اعتُقل من قبَل ضُبَّاطه مُنذُ الصّباح الباكر في مقرِّ الفرقة، باعتباره من قادة الجيش المعروفين بولائهم للنّظام الملكي، ونُقل إلى وزارة الدّفاع ببغداد، ولم يكن له علاقة بالثّورة. وعندما أُذيعت أسماء حُكُومة الثّورة، وعلى رأسها عبد الكريم قاسم، صاح نُوري السّعيد ـ تحت وطأة المُفاجئة ـ (خدعني كرومي) لثلاث مرَّات، ويقصد به عبد الكريم. (الباحث).

وقال: (إذا لم تَنْزل قُوَّات بريطانيَّة في الحبـانيَّـة، فمعنـى ذلـك أنَّ الإنكليـز هُـم الذين دبَّروا الإنقلاب). وفي تلك اللّحظات؛ سمع نُوري من النّاس بمَقْتل وليِّ العهد، إلاَّ أنَّ خبر مقتل الملك لم يكن قد أُذيعَ بعدُ، فظنَّ بأنّه لا زال حيَّاً، وهُنـا؛ تذكَّر نُوري ولاءه للعائلة المالكة الهاشميَّة، وإخلاصه المُتنـاهي اللاَّمحـدود لهـا. فآثر - في آخر ساعاتها - أنْ يبقى في بغداد، في وقت كان بإمكانه أنْ ينجو بنفسه، ويهـرب إلى أيِّ جهـة كانـت، وكـان باسـتطاعته الاسـتعانة بـصديقه نـاجي الخضيري، الذي لا يبعد عن بيته سوى ثمانيـة أميـال، فيُقلّـه بـسيارته، وخـلال ساعة واحدة - أو أكثر - أنْ يختفي، ويترك خلفه غُبار الثّورة يُغطِّي سماء بغـداد. ومن هُنالك؛ يلجأ إلى بلد مثل تُركيا، أو إلى الغرب، كأنْ يكـون إيـران. وحتَّـى تلك السّاعة كان مصير الملك مجهولاً لديه، فأبقى لديـه بارقـة أمـل بأنّـه مـازال حيَّاً، وهذا الأمل هُو الذي دفع بنُوري بأنْ لا يبرح بغداد، ومبعثه أنَّ نُـوري - في الأساس - يتحلَّى برُوح التّفاؤل العجيبـة، فـضلاً عـن ثقتـه العميـاء بأصـدقائه البريطانيِّيْن، حين ظنَّ أنَّ الثّورة ستفشل، وأنَّها عبارة عن مُغامرة عـسكريَّة قـام بها بعض الضُّبَّاط المُغامرين، حتَّى إنَّـه حـاول الاتِّـصال بـبعض قـادة الجـيش المُوالين للنّظام الملكي لاستعادة السّيطرة على الجيش [1]، لكنَّ تلـك المُحـاولات باءت بالفشل؛ لأنَّ القادة المـَعنيِّيْن كانوا اعتُقلوا، أو أيَّدوا الثّورة مُنـذُ لحظاتها الأُولى، ومنهم مَنْ حاول، لكنَّه فشل، وأخفق في مُحاولاته، كـما هُـو حـال قائـد الفرقة الثّانية في كركوك، واللّـواء عُمـر عـلي قائـد الفرقـة الأُولى في الدّيوانيَّـة، وأخيراً؛ الفريق رفيق عارف رئيس أركان الجيش العراقي. بات نُـوري الـسّعيد ليلة 14 تمُّوز في منزل الاسترابادي، وفي يوم 15 تمُّـوز؛ أذاع الرّاديـو عـن مقتـل

Lord Bird Wodd. Nuri. Said. O. P. Cit. P25. (1)

ولده صباح نُوري السّعيد، وعندئذ؛ انهار نُوري السّعيد، وغادر المنـزل مُتنكّـراً بزيٍّ امرأة في السّاعة الثّالثة إلاّ رُبعاً من بعد ظُهر يوم الثّلاثاء بالسَّيَّارة الـسّوداء (المُرقَّمة 1585 بغداد شوفرليت) التي تعـود إلى الحـاجّ محمـود الاسـترابادي، وكان يقودها ابنه مُظفَّر، تصحبه والدته السَّيِّدة (بيبية السَّيِّد علي القطب) زوجـة محمود الاسترابادي، وخادمتها الإيرانيَّة زهرة حيدر، وسبب قيادة السَّيَّارة من قبَل مُظفَّـر؛ لأنَّ الـسّائق المُكلَّـف بقيادتهـا قـد غـادر المنـزل، بـدُون أنْ يُخْـبر عائلـة الاسترابادي عمَّا نوى عليه. كان هذا السّائق يعرف دار الشّيخ مُحَمَّد العريبي الـذي كان ينوي نُوري الـسّعيد أنْ يلتجـئ عنـده، لعلَّـه يـتمكَّن مـن تهريبـه إلى خـارج العراق. فقصدت السَّيَّارة منزل السَّيِّد هاشـم جعفـر شـقيق ضـياء جعفـر وزيـر الإعمار في منطقة السّعدون مارَّة بمنطقة العطيفيَّة والجسر الحديدي ـ شارع غـازي ـ شـارع الـشّيخ عُمـر ـ سـاحة الطّـيران ـ شـارع الـسّعدون، فالـدّار المقـصودة، فدخلتها السَّيَّارة من الشّارع الفرعي المُقابل لمدارس الشّرطة، والمُـؤدِّي إلى سـاحة النّصر. ولمَّا وصل إلى الدّار، مكث نُوري فيها قليلاً، وأخـذ يـسأل عـن موقـع دار مُحَمَّد العريبي، وإذا بالتّليفون يرنُّ في الدّار، فلمَّا رفعت السّاعة شقيقةُ عُمر هاشـم جعفر، الذي كان هُو المُتكلِّم قالت له: (إنَّ الباشا موجود في دارنا، وعندئذ؛ شعر الباشا بالخطر المُحدق به)، فقرَّر الذّهاب إلى دار هادي جعفر شقيق ضياء جعفـر ـ أيضاً ـ قُرب القصر الأبيض، وكان الدّليل زوجة هاشم جعفر، التـي أوصـلتهم إلى قُرب الدّار. دخل نُوري السّعيد الدّار، ولكنَّ هادي جعفـر هـاج، وقـال: (في خيركم ما خيَّرتمونا، وشرُّكم عمَّ علينـا). أَدْخَلَـتْ زوجـة هـادي جعفـر نُـوري السّعيد في إحدى الغُرف، وأخذت المُسدَّس منه، وقالت لـه: سأتـصل بـسيَّارة أُجـرة لنقلكَ إلى دار مُحَمَّد العريبي. وصلت السَّيَّارة التّاكسي، وغادر نُوري السّعيد مع الـسَّيِّدة

بيبي، والخادمة الإيرانيَّة، مُتوجِّهاً إلى منطقة البتاوين، لعلَّه يجد أحداً يدلُّه على دار الإنقاذ. وما إنْ ترك نُوري السّعيد دار هادي جعفر إلاَّ ووصل وصفي طاهر مع مفرزة من الجيش، والدّليل عُمر جعفر إلى دار هاشم جعفر، ثُمَّ توجَّهوا إلى دار هادي جعفر، بعدئذ؛ وسألوا عن نُوري السّعيد، أجاب هادي جعفر: هذه هي الدّار، وهذا هُو الباب الخلفي للدّار، وبإمكانكم أنْ تُفتّشوها شبر شبراً. وهذا ما تَمَّ فعلاً، ولم يُعثَر على أحد، وعندئذ؛ أخذ التّليفون عُمر جعفر، واتّصل بشقيقته مُستفسراً: كيف تقولين إنَّ الباشا ذهب إلى دار عمِّي هادي، وها نحنُ في الدّار، ولم نعثر على أحد. أمّا نُوري السّعيد؛ فقد أخذ يسأل عن دار مُحَمَّد العريبي؛ حيثُ تعرَّف عليه ضابط صفٌّ في القُوَّة الجوِّيَّة اسمه العريف خضير صالح السّامرائي، بينما كان قادماً من وحدته في مُعسكر الرّشيد، فقد شاهد سيِّدتَيْن تلبسان عباءتَيْن، وقد وضعنَ البُوشيَّة (غطاء الوجه)، وخلفهنَّ سيَّارة سوداء فيها سيِّدة أُخرى، كانت السَّيَّارة تسير ببُطء شديد خلف السَّيِّدتَيْن مُتَّجهة نحو شارع السّعدون. وقد لفت انتباهه إحدى السَّيِّدتَيْن التي كانت تلبس عباءة قصيرة، وتحتها بنجامة ذات لون أزرق فاتح، وتضع منشفة على وجهها بدل (البُوشيَّة)، فتيقَّن أنَّ المرأة هُو نُوري السّعيد، مُتخفِّياً بزيِّ امرأة، ممَّا دعاه لأنْ يُطيل النَّظَرَ والاقتراب منه، ممَّا دفع بنُوري السّعيد لإرهابه بإطلاق النّار بالهواء من مُسدَّس كان يحمله، فهجم عليه العريف خضير صالح، وأمسك بيده اليُمنى، وأخذ المُسدَّس منه، وهُو من نوع (كُولد) ماركة الحصان. وفي هذه الأثناء؛ وقعت العباءة والبُوشيَّة (المنشفة) على الأرض، فتأكَّد العريف أنَّ الرّجل هُو نُوري السّعيد، الذي صرخ في وجهه قائلاً: أنا نُوري باشا، فأجابه العريف خضير: لا يُوجد باشا بعد الآن، وعند ذلك؛ أطلق رصاصتَيْن على وجه نُوري السّعيد، فسقط مُضرَّجاً بدمه. وفي هذه الأثناء؛

هربت السَّيَّارة السّوداء، وحاولت السَّيِّدة الثّانية الهرب، لكنَّ شرطيّاً أطلق عليها النّار، فأرداها قتيلة. وفي هذه الأثناء؛ حضر العقيد وصفي طاهر، وسحب غدارته، وأفرغها في جُثّة نُوري السّعيد، وعاد ومعه مفرزته إلى وزارة الدّفاع، مُدّعياً أنّه قَتَلَ نُوري السّعيد [1].

وفي رواية أُخرى تذكر: أنَّ القُوّة التي كُلِّفت بالهُجُوم على قصر نُوري السّعيد، حالما وصلت إليه، كان أوّل الدّاخلين إلى القصر هُو العقيد وصفي طاهر، وحالما دخل لَمَحَ الخادمة البدويّة (يقصد الخبّازة عمشة) التي يعرفها من قبلُ، وأُشيع ـ آنذاك ـ بأنّه أخبرها بالهُجُوم الوشيك على سيّدها نُوري السّعيد، ونقلت ـ بدورها ـ الخبر إلى نُوري وهُو في الدّار، وانسلَّ من البيت عبر الباب الخلفي، الذي يصل بالنّهر، ثُمَّ عاد وصفي ليُخبر جماعته بأنَّ نُوري قد فرَّ. ويرى بعض المُقرّبين أنَّ وصفي أراد مُساعدة نُوري حتّى ينجو بنفسه في حال إخفاق الثّورة، وقد يكون فعله بدافع من ولائه لنُوري [2].

وقد أصدرت قيادة الثّورة بياناً بهذا الخُصُوص:

أيُّها الشّعب العراقي الكريم:

تحقّقت القيادة أنَّ المُجرم والخائن الأوّل نُوري السّعيد قد كمن في إحدى الدُّور القريبة من الباب الشّرقي، فطوّقت الدّار، واستحصل الأمر بالتّفتيش، فدخلت قُوّاتنا لأداء مهمّتها حسب الأُصُول، فقفزت امرأة مُرتدية عباءة سوداء هاربة تُطلق النّار الطّائشة، فشعر الشّعب بهذه المُجرمة الهاربة، فتمكّن من القضاء

---

(1) خليل إبراهيم حُسين : اللُّغز المُحيِّر، عبد الكريم قاسم ، ص 167 ـ 171 .

(2) مجيد خدوري: العراق الجُمهُوري ، مصدر سابق ، ص87 .

عليها بنار، وإذا بتلك المرأة هي المُجرم الأوّل والخائن المعروف عدوّ الشّعب رَقْم واحد نُوري السّعيد، فإليكم نزفُّها بُشرى للحقيقة والبيان، وقد تَمَّ نَقْل الجُثّة إلى الطِّبِّ العدلي، وبهذه المُناسبة؛ نأمل من الجميع الانصراف لأعمالهم، وتطبيق نظام مَنْع التّجوال.. مع المُحافظة على الضَّبْط والنّظام.

القيادة العامّة للقُوّات المُسلّحة العراقيّة

(15 / 7 / 1958).

وهكذا انتهى نُوري السّعيد، الأُسطُورة التي شغلت العديد من السّاسة والمسؤولين ردحاً من الزّمن، فقد وقع صريعاً صبيحة 15 تمُّوز عام 1958، في أحد شوارع بغداد، بعد أنْ هرب مُتخفِّياً بزيٍّ امرأة، لعلَّه يجد منفذاً لخلاصه، أو أنْ يأتي أصدقاؤه البريطانيُّون ليُنقذوه، كما أنقذوه عام 1941، وأعادوه إلى السُّلطة، بعد أنْ هرب إلى الأُردن، وعندما سقط على الأرض، كانت عيناه تتطلّعان إلى السّماء، تترقّبان قُدُوم الطّائرات البريطانيّة، فتُنقذه من محنته التي وقع فيها، لكنْ؛ خاب ظنُّه، فلم يأت أيُّ طَرَف، بل جاء الشّعب ليقتصَّ منه، بعد أنْ ساهم في ارتهان مصيره والبلاد بيد بريطانيا، لقد كانت تلك اللّحظة هي الافتراق الحقيقي بينه وبين بريطانيا، التي توافقت معه طيلة فترة وُجُودها في العراق.

3 - موقف بريطانيا من الثّورة في العراق:

فُوجئت الدّوائر الحُكُوميّة البريطانيّة بنبأ إعلان الثّورة في العراق، وسُقُوط أهمّ حليف لها في المنطقة طيلة ما يُقارب الأربعين عاماً. وقد أبرق السّفير البريطاني في بغداد السِّير مايكل رايت برقيّة إلى حُكُومته حال سماعه البيان الأوّل للثّورة، مُشيراً فيه إلى أنَّ إذاعة بغداد وقعت بيد الثُّوّار، وتُذيع بيانات تُعلن عن قيام الجُمهُوريّة، وتشكيل حُكُومة يرأسها الزّعيم عبد الكريم قاسم، وتضمُّ

عناصر وطنيّة؛ من بينهم مُحَمَّد حديد، ومُحَمَّد صديق شنشل، وأضاف في برقيّته أنَّ السّفارة البريطانيّة حُوصرت من قبَل المُواطنين الثّائرين. وأنَّ قصر الرّحاب هُوجم من قبَل الجيش، ولا تتوفّر لديه معلومات عن مصير الملك، والأمير عبد الإله، ونُوري السّعيد، وطمأنهم بسلامة مُوظّفي السّفارة، وعوائلهم، وبقيّة الرّعايا البريطانيّين[1].

ولشدَّة هَوْل المُفاجأة على الحُكُومة البريطانيّة؛ فقد كانت تترقّب الأخبار عن مصير رُؤُوس النّظام الثّلاثة، لأنّها تعتقد أنَّ شَرْعيّة النّظام مُتعلِّقة بمصيرهم، لذلك؛ جاء اهتمام السّفير البريطاني مُنصبّاً على تقصّي المعلومات، ومعرفة مصيرهم، كما تُبيِّن البرقيّات التي أرسلها السّفير لاحقاً[2]. مُقابل ذلك؛ كان مسئولو وزارة الخارجيّة البريطانيّة مُتلهّفين للتّعرُّف على مُجريات الأحداث في بغداد، وبالأخصّ؛ بعد انقطاع الاتّصال المُباشَر مع السّفارة البريطانيّة بسبب التّدمير الذي ألحقته بها الجماهير الغاضبة، الأمر الذي حمل الخارجيّة البريطانيّة للتّعميم إلى جميع سُفرائها العاملين في المنطقة ووزارة الخارجيّة الأمريكيّة لتزويدها بما توفّر لديهم من معلومات عن آخر تطوُّرات الموقف في بغداد[3].

عوّلت الحُكُومةُ البريطانيّةُ - في البداية - الأمرَ على القُوّات الجوّيّة الملكيّة المُتواجدة في قاعدة الحبانيّة العراقيّة للقيام بتحرُّك سريع ضدَّ الثُّوّار، ولكنَّ المُفاجأة كانت أكبر ممَّا تتوقّعه، بسبب جهل تلك القُوّات بما يجري في بغداد، فضلاً عن عُنصُر المُباغته الذي فُوجئت به القُوّات البريطانيّة في الحبانيّة[4]. وبسبب التّدمير

---

(1) Baghdad To Fo. No. 1267. July 14. 1958. 371 / 134198.

(2) Baghdad To Fo. No. 1268. July 14. 1958. 371 / 134198.

(3) الونداوي: وثائق ثورة 14 تمّوز، مصدر سابق، ص 20 ـ 31.

(4) From Amman to F.O. No. 816. July. 14. 1958 F.O. 371/134198.

الذي لحق بمكاتب السّفارة البريطانيّة، فقد نقل السّفير مايكل رايت مقرَّ عمله إلى فُندُق بغداد[1]، ومن هُناك؛ واصل إرسال البرقيّات إلى حُكُومته عبر السّفارة الأمريكيّة[2].وفي السّاعات الأُولى من يوم الثّورة؛ وردت تقارير إلى وزارة الخارجيّة البريطانيّة تُفيد بأنَّ الوصيّ عبد الإله قد قُتل[3]، وفي بيان رَسْميٍّ مُبكِّر أُعلن عن مقتل الملك فيصل الثّاني[4].

وبعد أن اتَّضحت للحُكُومة البريطانيّة سيطرة الثُّوّار على الموقف، بادرت إلى عقد أوّل اجتماع لها في السّاعة السّابعة من مساء اليوم نفسه بتوقيت لندن [5]، وجاء هذا الاجتماع في ظُرُوف مُعقَّدة، وشكَّل هذا الحدث نكسة أُخرى لبريطانيا بعد هزيمتها السّياسيّة عام 1956 (العُدوان الثُّلاثي على مصر). وفي اجتماع الحُكُومة البريطانيّة؛ قدَّم وزير الخارجيّة البريطاني سلوين لويد عرضاً بالأحداث التي وقعت في بغداد، وتأثيرها على دُول المنطقة، وبالذّات؛ لُبنان الذي يُواجه النّظام فيه ضغطاً شعبيّاً مُتزايداً، فألمح بأنّه سيقوم باستدعاء الولايات المُتَّحدة الأمريكيّة للقيام بإنزال عسكري في لُبنان، وخاصّة أنَّ الرّئيس كميل شمعون طلب مُساعدة الدَّولتَيْن، توصَّلت الحُكُومة إلى أنْ تدخُّلاً بريطانيا - أمريكيّاً في لُبنان - ولو بشكل مُؤقَّت - من شأنه الإضرار بالمصالح البريطانيّة، ولاحظ المُجتمعون ضرورة التّشاور مع الولايات المُتَّحدة بهذا الشّأن، وتوصَّلت الحُكُومة - أيضاً - بعد أنْ تدارست الجانب الشَّرْعي والقانوني للتَّدخُّل العسكري، إلاَّ أنَّ الإقرار الشَّرْعي لخُطوتها هذه يكون تحت حُجَّة أنَّ التَّدخُّل ليس لغرض قَمْع

---

(1) From Washingtion to F.O. No. 18562.. July. 14. 1958 F.O. 371/134198.

(2) الونداوي : وثائق ثورة 14 تمّوز، مصدر سابق، ص51 .

(3) From Amman to F.O. No. 809. July. 14 . 1958.F.O. 371/134198.

(4) From Ankara to F.O. No. 1087. July. 14. 1958. F.O. 371/134198.

(5) الونداوي : وثائق ثورة 14 تمّوز ،المصدر السّابق أعلاه، ص31.

داخلي، وإنَّما لتخفيف الضّغط على الحُكُومة، الذي جاء نتيجة للمُساعدات التي تُقدِّمها الجُمهُوريَّة العَرَبيَّة المُتَّحدة للوطنيِّيْن اللُّبنانيِّيْن، وكذلك لتفادي خطر تعرُّض المصالح البريطانيَّة في لُبنان للتّخريب، وخاصَّة؛ أُنبوب النّفط العراقي المارّ بطرابلس، وبهذا القرار؛ أنهى رئيس الوُزراء البريطاني هارولد مكميلان الاجتماع، بعد أنْ طلب أنْ يُترك له المجال للاتّصال بالرّئيس الأمريكي آيزنهاور؛ لكي لا تقع الولايات المُتّحدة في سُوء فَهْم حول غرض التّدخُّل المُشترك في (الشّرق الأوسط)، الذي عدَّته الحُكُومة البريطانيّة عملاً جوهريّاً"[1]. عادت الحُكُومة البريطانيَّة للاجتماع - مرَّة ثانية - في السّاعة الحادية عشر مساءً، وأعلن مكميلان عن مُوافقة الولايات المُتّحدة الأمريكيَّة على القيام بإنزال عسكري في لُبنان، لكنَّها اشترطت القيام بإنزال وحدها، وسيكون مُقتصراً على لُبنان، ويظهر لنا - ممَّا سَبَقَ - أنَّ هدف بريطانيا من وراء مُشاركة الولايات المُتّحدة الأمريكيَّة في عمليَّة الإنزال إنَّما هُو لجَرِّها إلى عمليَّة واسعة النّطاق تشمل العراق، ودُولاً أُخرى في المنطقة، لكنَّ شرط الولايات المُتّحدة أوقع الحُكُومة البريطانيَّة في شُكُوك تجاه نيَّات الولايات المُتّحدة، فمن المعروف أنَّ بريطانيا كانت عاجزة عسكريّاً وسياسيّاً عن القيام بتدخُّل سريع في العراق، ما لم يتوفَّر لها دَعْم إعلامي وعسكري، ولا يُمكن أنْ تجده إلاَّ من الولايات المُتّحدة، ولمَّا كان ردُّ الأخيرة غير مُشجِّع، فقد أخذت بريطانيا تتراجع عن فكرة غزو العراق، وظهرت آراء في الأوساط البريطانيَّة تدعو إلى القيام بعمل مُنفرد في الأُردن، خاصَّة؛ بعد أنْ توضَّحت الصُّورة عن تطوُّرات الأوضاع في بغداد بعد مقتل الملك، واعتقال أركان النّظام السّابق. وإزاء ذلك؛ كان على السّاسة البريطانيِّيْن أنْ يُفكِّروا بوسائل جديدة للتّعامل مع الواقع الجديد في العراق، وعليهم أنْ يختاروا شخصاً

---

(1) الونداوي : وثائق ثورة 14 تمّوز ، المصدر السّابق أعلاه، ص38 - 43.

مُناسباً للقيام بمهمَّة الاتِّصال بالقادة الجُدُد لاستكشاف توجُّهاتهم، فكان السّفير مايكل رايت يُمكن أنْ يُحقِّق ما يصبون إليه، وهُو الدِّبلُوماسي الذي دبَّر - بمهارة - التّرتيبات التي أدَّت إلى قيام حلف بغداد، وإنهاء اتِّفاقيّة عام 1930 واستبدالها بالاتِّفاق الخاصّ المعقود بين بريطانيا والعراق. ففي السّاعة الثّالثة من بعد ظُهر يوم 15 تمُّوز قابل السّفير البريطاني الزّعيم عبد الكريم قاسم رئيس الوُزراء، ووزير الدّفاع بالوكالة، ونائبه العقيد عبد السّلام مُحَمَّد عارف، ومُحَمَّد حديد وزير الماليّة. وطلب منهم تقديم ضمانات لحماية الأفراد والمُمتلكات البريطانيّة، وترحيل الرّعايا البريطانيّين، ومَنْ هُم ضمن مسؤوليّتهم، فكان ردُّ الزّعيم قاسم بأنَّ تأمين ذلك مُمكن أنْ يتمّ، وقدَّم السّفير في هذه المُقابلة احتجاجاً رَسْميّاً لإخفاق الحُكُومة العراقيّة في حماية السّفارة، وأرواح مَنْ كان فيها. ومُقابل ذلك؛ أعَرَب عبد الكريم قاسم عن أسفه لما حصل، مُؤكِّداً أنَّ العراق وبريطانيا كانا ومازالا حليفَيْن، وعبَّروا عن استعدادهم لمدِّ يد الصّداقة والتّعاون مع بريطانيا[1].

لقيت تلك المُقابلة ارتياحاً كبيراً لدى الحُكُومة البريطانيّة، وخاصّة فيما يتعلّق بالاحتجاج، وحماية أرواح البريطانيّين، لكنَّها شدَّدت على السّفير أنْ يستخدم العبارات بحذر، وربَّما لا يُشير إلى أنَّ هُناك نيّة للاعتراف بالحُكُومة الجديدة[2].

وفي يوم 15 تمُّوز؛ عقدت الحُكُومة البريطانيّة اجتماعها الثّالث، وأوضح رئيس الوُزراء مكميلان في هذا الاجتماع (أنَّ بريطانيا تنظر للإنزال الأمريكي في لُبنان كمرحلة أُولى لمُعالجة الوَضْع المُتأزِّم في منطقة الشّرق الأوسط، وبالذّات؛ الموقف في العراق والأُردن)، كما أبلغهم بأنَّ الولايات المُتّحدة عزمت على إنزال

---

(1) الونداوي : وثائق ثورة 14 تمُّوز ، المصدر السّابق أعلاه، ص 45 ـ 47.

(2) From Baghdad to F.O. No. 5. July. 14. 15 . 1958–F.O. 371/134199.

قُوّاتها في لُبنان هذا اليوم لحفظ السّلام والنّظام في المنطقة، وواصل كلامه حول الوَضع في العراق بأنّه مازال مُبهماً، وأنَّ التَّمرُّد مُقتصر على بغداد، وخاصَّة بعد هرب نُوري السّعيد، وفي نهاية الجلسة أعرَب مكميلان عن شُعُوره بخيبة أمل تجاه موقف الولايات المُتَّحدة، الذي لا يتَّفق ومُقترحاتها، وأصبح من المُتعذّر على الحُكُومة البريطانيَّة إعطاء ضمانات بالمُساندة العسكريَّة لأيَّة دولة عَربيَّة، ما لم يكن هُناك دَعْم وتأييد أمريكي لاحتمال تعرُّض بريطانيا إلى مخاطر جمَّة تُواجهها مُنفردة، وخلص الاجتماع إلى رأي بأنّه ليس من الحكمة أنْ تتورَّط بريطانيا ـ وحدها ـ في التزامات لحماية النّظام في العراق، إلاَّ أنَّها قد تُخاطر من أجل حفظ أرواح البريطانيّيْن ومُمتلكاتهم، وإزاء ذلك؛ تقرَّر دعوة وزير الخارجيَّة للنَّظَر في أفضل وسيلة لتحذير الحُكُومة الجديدة في العراق وتحميلهم مسؤوليَّة أيّ ضرر يلحق بالبريطانيّيْن، ومُمتلكاتهم[1].

لقد أثار انتباه المسؤولين البريطانيّيْن ما جاء في التّقرير الذي بعثته السُّفارة البريطانيَّة ببغداد، الذي نقل نصَّ اللّقاء الذي دار بين وزير الماليَّة مُحَمَّد حديد والسَّيِّد سام فُول السّكرتير الشّرقي في السُّفارة البريطانيَّة، ففي هذا اللّقاء؛ حدَّد وزير الماليَّة العراقي سياسةَ الحُكُومة الجديدة بعدم وُجُود رغبة للانسحاب المُبكّر من حلف بغداد، أو نيَّة لتأميم النّفط، بل سيستمرُّ النّفط في جريانه بشكل طبيعي. أمّا موضوع العلاقة مع الجُمهُوريَّة العَرَبيَّة المُتَّحدة؛ فقد أكَّد الوزير العراقي أنَّها ستكون علاقة صداقة واعتراف مُتبادَل، وليس هُنالك فكرة وحدويَّة معها، وأوضح أنَّ الحُكُومة الجديدة ترغب بإقامة علاقة صداقة مع الغرب[2].

---

(1) الونداوي : وثائق ثورة 14 تمُّوز ، المصدر السّابق أعلاه، ص 53 ـ 47.

(2) From Baghdad to F.O. No. 10.July. 16 . 1958.F.O. 371/134199.

وعلى الصّعيد نفسه؛ واصلت الحُكُومة البريطانيّة موقفها المُعادي للحُكُومـة الجديدة للعراق عبر سلسلة من الإجـراءات، فعـلى الـصّعيد الخـارجي حاولـت عرقلة تسلُّم هاشم جواد مُمثِّـل العـراق الجديـد مقعـده في الأُمـم المُتَّحـدة بهـدف الضّغط على النّظام الجديد دُوليّاً، وعدم الاعتراف به[1]، وسعت إلى تجميد أرصدة العراق في البُنُوك البريطانيّة[2]. كـما أوعـزت إلى البعثـات الدِّبلُوماسـيَّة البريطانيّـة العاملـة في الـدُّوَل العَرَبيَّـة بمُناشـدة قـادة الحُكُومـات العَرَبيَّـة عـدم الاعـتراف بالحُكُومة الجديدة في بغداد، ومن جانبها؛ أبقـت تعاملهـا مـع طـارق العـسكري المُلحق العسكري العراقي السّابق في لندن، الذي استمرَّ في ولائه للنّظـام الـسّابق؛ مُعلناً أنّه يُمثِّل البعثة العراقيّة في لندن[3]. كـما مـارس الـسّفير البريطـاني في بغـداد ضغطاً على الحُكُومة الجديدة بهدف الحفاظ على حياة أركان النّظام السّابق[4]،وهُو أمر بالغ الأهمّيّة بالنّسبة للدّوائر البريطانيّة، التي كانت تُعلِّق عليه آمالاً كبيرة كون بقائهم على قيد الحياة، يُعطيهم الحُجّة على مُقاومة الثّورة، وإعادتهم إلى السُّلطة.

4- تدابير الحُكُومة العراقيّة الجديدة:

أحدثت الثّورة في العـراق وَضْـعَاً دُوليّـاً جديـداً، فتقـدَّمت بعـض الـدُّوَل الكُبرى، التي هدَّدت الثّورة مصالحها غـير المـشروعة في المنطقـة، بطلـب عاجـل لمجلس الأمن لعقد جلسة استثنائيّة للنَّظَر في تلك التَّطوُّرات المُفاجئة، وبات لزاماً على حُكُومة الثّورة اتّخاذ بعض التّـدابير لحمايـة الثّـورة مـن الأخطـار التـي باتـت تُهدِّدها، فاختارت هاشم جواد مُمثِّلاً عنها في الأُمم المُتَّحدة لعرض وُجهـة نَظَرهـا، والدّفاع عنها، في المحافل الدّوليّة، ولغرض توفير الدَّعم لها أوعزت الحُكُومـة إلى

From Dixon to F.O. No. 282. July. 15. 1958.F.O. 371/134199.(1)

From Amman to F.O. No. 837. July. 15. 1958.F.O. 371/134226.(2)

(3) الونداوي: وثائق ثورة 14 تمّوز، المصدر السّابق أعلاه، ص 55.

From Baghdad to F.O. No. 4. July. 15. 1958.F.O. 371/134199.(4)

وزير الخارجيّة الجديد الدُّكتور عبد الجبَّار الجو مرد لاستدعاء سُفراء الدُّوَل العَرَبيّة، وحثّهم على الاعتراف بها[1].

وتعبيراً عن حُسن النيّة تجاه الغرب، ولكي لا تُثير الحُكُومة الجديدة حفيظته، فقد طلبت من شركات النّفط العاملة في العراق الاستمرار في تدفُّق النّفط بانتظام إلى الأسواق العالميّة، كما أبرقت إلى المُلحقيّة العسكريّة في لندن، لتنشيط عملها الإعلامي، وتوضيح منهج الحُكُومة الإصلاحي. فأجرى العقيد الرُّكن عبد القادر فائق مُعاون المُلحق العسكري سلسلة من النّدوات في التّلفزيون البريطاني، كما كتب عدَّة مقالات في الصُّحُف البريطانيّة، عرض فيها سياسة الحُكُومة: ثُمَّ قرَّرت تشكيل وفد برئاسة نائب رئيس الوُزراء العقيد عبد السّلام عارف لمُقابلة عبد النّاصر، وطلب المعونة والمُساندة لمُواجهة التّهديدات الخارجيّة[2].

فأرسلت الجُمهُوريّة العَرَبيّة المُتّحدة باخرة مُحمَّلة بالأسلحة، ووصلت ميناء اللاَّذقيّة السُّوري، كما وصلت إلى قاعدة الحبانيّة كتيبة مدفعيّة سُوريّة ضدَّ الجوِّ، وسرب من طائرات الميج، بعد أنْ أعلنت اعترافها بالحُكُومة الجديدة، وحثَّ رئيسها جمال عبد النّاصر الاتّحاد السُّوفيتي على تقديم الدَّعْم والمُساندة والاعتراف بحُكُومة الثّورة[3].

غير أنَّ تحرُّكات الحُكُومة الأُردنيّة ألزم الحُكُومة بإصدار الأوامر للفرقة الرّابعة بنَقْل مقرِّها إلى الرّمادي، بعد أنْ تسلَّم قيادتها الزّعيم الرُّكن مُحيي عبد الحميد، والانفتاح على محور بغداد ـ الرّطبة، وهُو الطّريق الذي يربط العراق بالأُردن، لاتّخاذ موضع دفاعي من احتمالات الزّحف من الأُردن إلى بغداد، ومنع

(1) حُسين، العميد المُتقاعد خليل إبراهيم: اللُّغز المُحيِّر، ج 6، عبد الكريم قاسم، بغداد، 1988، ص 58.
(2) حُسين، العميد المُتقاعد خليل إبراهيم: ثورة الشّوّاف، ج 2، بغداد، 1988، ص 65.
(3) ليث عبد الحسن، الزُّبيدي: ثورة 14 تمّوز في العراق عام 1958، بغداد، 1980، ص 209.

تكرار ما حدث عام 1941، عندما زحفت القُوَّات البريطانيَّة من الأُردن، وأجهضت الثّورة آنذاك، كما صدرت الأوامر إلى اللّواء الأوّل بالتَّحرُّك من المسيب إلى منطقة الحبانيَّة، للدّفاع عن هضبة الحبانيَّة، وأُلحق بقاعدة الحبانيَّة سرب من طائرات الميج التي أرسلتها الجُمهُوريَّة العَرَبيَّة المُتَّحدة لتعزيز القُوَّات المُتجحفلة في تلك المنطقة، والتي أصبحت تُسمَّى قيادة قُوَّات غرب الوروار[1].

ثُمَّ أُضيف إلى تلك القُوَّات اللّواء المُدرَّع السّادس العائد من الأُردن، واستقرَّ في أماكن دفاعيَّة بمنطقة ايج ثري[2]. ولم تقتصر تدابير الحُكُومة عند هذا الحَدِّ، بل أفصحت عن سياستها الإصلاحيَّة المُعتدلة، كما كشفت عنها تلك التّقارير التي رفعها السّفير البريطاني في بغداد إلى حُكُومته عن لقاءاته مع رئيس الحُكُومة الزّعيم عبد الكريم قاسم ووُزرائه مُحَمَّد حديد، ومُحَمَّد صديق شنشل، ومسؤولين آخرين، التي عكست انطباعاً إيجابيّاً عن منهج الحُكُومة، الذي يُؤكِّد على احترام مبادىء الأُمم المُتَّحدة، وإقامة علاقة صداقة مع دُول العالم، واستمرار تدفُّق النّفط إلى الأسواق العالميَّة والدُّوَل الغربيَّة بالذّات، والتّأكيد على استمرار التّعاون مع بريطانيا[3].

ثُمَّ إنَّ خطاب وزير الخارجيَّة العراقي في الأُمم المُتَّحدة الذي عبَّر فيه عن رغبة حُكُومته في إقامة علاقات تعاون وصداقة مع كافَّة الدُّوَل، واحترامها كافَّة العُهُود والمواثيق التي تربطها بالدُّوَل الأُخرى، والتزامها بمبادىء المُنظَّمات الدّوليَّة. قد لقي صدىً إيجابيّاً في أروقة المُنظَّمة العالميَّة[4]. كان الأمريكان قد أظهروا

(1) حُسين، العميد المُتقاعد خليل إبراهيم: اللُّغز المُحيِّر، ح6؛ المصدر السّابق، بغداد، 1988، ص 138 ـ 139.

(2) حُسين، العميد المُتقاعد خليل إبراهيم: اللُّغز المُحيِّر، المصدر السّابق أعلاه، ص 953.

(3) الونداوي: وثائق ثورة 14 تمُّوز، مصدر السّابق أعلاه، ص 30 ـ 33.

(4) حُسين، العميد المُتقاعد خليل إبراهيم: اللُّغز المُحيِّر، المصدر السّابق أعلاه، ص177.

شُكُوكهم من النّتائج التي قد تترقّب في حال إرسال قُوّات بريطانيّة إلى المنطقة، لذلك؛ طرح وزير الخارجيّة الأمريكي جُون فُوستر دالاس فكرة مُناقشة الموضوع مع زميله البريطاني سلوين لويد، للاتّفاق على صيغة مُشتركة لمُستقبل السّياسة البريطانيّة ـ الأمريكيّة في الوطن العَرَبي، وفي ضوء ذلك؛ قرّر مجلس الوُزراء البريطاني بتاريخ 16 تمّوز إرسال لويد إلى واشنطن للتّداول مع دالاس حول تلك الصّيغة، وفي مساء اليوم نفسه؛ قرّر المجلس إرسال قُوّات مظليّة إلى الأُردن مادامت الولايات المُتّحدة غير مُستعدّة للمُشاركة بعمل أوسع يشمل المنطقة، وعلى الرّغم من أنّ الولايات المُتّحدة حثّت الحُكُومة البريطانيّة على التّريُّث والانتظار قبل اتّخاذ القرار، إلاّ أنّها لم تُعارض تلك الخُطوة[1].

وعشيّة سفر وزير الخارجيّة البريطاني إلى واشنطن حمّلته حُكُومته تعليمات مُشدّدة بالسّعي للحيلولة دُون تبنّي الأُمم المُتّحدة قرارات تُدين التّدخُّل الأمريكي البريطاني في لُبنان والأُردن[2]. وعند لقائهما في واشنطن ناقشا عمل الدّولتَيْن في موضوع التّدخُّل العسكري، وبرّرا حاجتهما على أساس أنّ عملهما جاء استناداً لميثاق الأُمم المُتّحدة وتحت ذريعة غياب قُوّات الطّوارىء الدّوليّة، وشدّدا على ضرورة تجنُّب صُدُور قرار دُولي يُدين التّدخُّل، وفي 17؛ تمّوز قابل السّفير الفرنسي نظيره لويد في مبنى السّفارة البريطانيّة، وطلب إطلاع حُكُومته على التّطوُّرات الأخيرة، وأوضح له لويد الأُسُس القانونيّة للقرار البريطاني بالتّدخُّل، وأنّه يستند إلى أنّ الدُّوَل الصّغيرة يُمكنها طلب المعونة من أصدقائها دُونما حاجة إلى الحُصُول على مُوافقة الأُمم المُتّحدة، وكان السّفير الفرنسي مُتلهّفاً لمعرفة نوايا الأمريكان والبريطانيّين، فيما إذا كانت هُنالك خُطّة للتّدخُّل في العراق، غير أنّ لويد أخبره

---

(1) الونداوي : وثائق ثورة 14 تمّوز ، المصدر السّابق أعلاه، ص 64 ـ 66.

(2) الونداوي : وثائق ثورة 14 تمّوز ، المصدر السّابق أعلاه، ص 86.

بعدم وُجُود مثل هذه الخُطَّة في الوقت الحاضر، لعدم وُضُوح الموقف في العراق، ثُمَّ سأله السّفير الفرنسي ما إذا كانت بريطانيا تعتقد بأنَّ عليها حماية منطقة الخليج العَرَبي بالطّريقة نفسها التي قامت بها في الأُردن ؟ فأجابه: (بأنَّ ذلك يعتمد على ما نستطيع عمله لتأكيد الثّقة بقيمة الحماية الغربيَّة)[1].

واصل دالاس مُحادثاته مع سلوين لويد التي تضمَّنت محاور مُهمَّة: الوَضْع في لُبنان، والكُويت، وإيران، والعراق، والأُردن، وعقدا أكثر من جلسة لمُناقشة هذه المحاور. ولأنَّ موضوعنا سيقتصر البحث فيه على الموقف البريطاني من الثّورة في العراق، نرى من المُناسب أنْ لا نتطرَّق إلى المحاور الأُخرى التي بحثها الوزيران. وفي ختام مُباحثاتهما؛ اتَّفق الوزيران الأمريكي والبريطاني على صُعُوبة القيام بعمل عسكري في العراق، ولعلَّ ذلك قد جاء بسبب امتثال بريطانيا لوُجهة النَّظَر الأمريكيَّة المُتمثِّلة بعدم جدوى القيام بعمل عسكري ضدَّ العراق، وانتهت المُباحثات باتِّفاق ـ أيضاً ـ على عدم تشجيع تُركيا والأُردن على القيام بأيَّة مُغامرة عسكريَّة في العراق، وأنْ يستمرَّ اجتماع حلف بغداد في لندن بدُون أنْ يُشرك مُمثِّل العراق فيه، وأوصى الطَّرَفَان بأهمِّيَّة الوُصُول إلى صيغة للتّفاهم مع حُكُومة العراق الجديدة. تضمن استمرار علاقاتها بالغرب نَظَرَاً لحاجة العراق إلى الموارد الماليَّة لقاء بَيْع نفطه، وكذلك لتشجيع العناصر المُعتدلة في الحُكُومة الجديدة على الاستمرار بسياسة الاعتدال التي يتمنَّاها الغرب، ومَنْع وُقُوع العراق تحت نُفُوذ السُّوفيت، أو عبد النّاصر[2].

من المُعتَقَد أنَّ الولايات المُتَّحدة كانت تأمل بإرساء تعامل مع الحُكُومة الجديدة على أساس أنَّ العراق بلد نفطي، وبحاجة إلى موارد ماليَّة، وفي اعتقادنا

(1) الونداوي : وثائق ثورة 14 تمّوز ، المصدر السّابق ، ص 89 ـ 91.
(2) الونداوي : المصدر السّابق أعلاه ، ص 133.

أنَّ الولايات المُتَّحدة ـ بموقفها هذا ـ كانت تسعى إلى تعزيز نُفُوذها في المنطقة لكي تَحلَّ محلَّ النُّفُوذ البريطاني الذي بدأ ينحسر، بعد أنْ أخذت الإمبراطُوريَّة البريطانيَّة تضمحلُّ، وهي التي كانت لا تغرب عن مُمتلكاتها الشّمس، ويعكس حقيقة سعي الولايات المُتَّحدة لكي تَحلَّ محلَّ بريطانيا العجوزة، والذي سُمِّي بمبدأ (سدُّ الفراغ)، ثُمَّ إنَّ الحُكُومة الجديدة لم تُعلن مُعاداتها للغرب، وإنَّما كانت تصريحات قادة الثّورة مُعتدلة، وترمي إلى إبقاء سياسة التّعاون معه، وهذا ما أوضحته التّقارير التي كان يرفعها السّفير البريطاني إلى حُكُومته، وأهمُّها التّقرير المُطوَّل الذي تضمَّن اللّقاء المُهمَّ بين السّكرتير الشّرقي سام فُول ومُحَمَّد حديد وزير الماليَّة العراقي، ففي هذا التّقرير؛ وضَّح الوزير العراقي ملامح سياسة الحُكُومة الجديدة، وهي ـ بحسب تقديرات المسؤولين البريطانيِّين ـ لا تتعارض مع مصالحهم في العراق، يُضاف إلى ذلك؛ فقد كانت برقيَّات السّفير البريطاني رايت التي كان يحثُّ فيها حُكُومته على ضرورة التّعجيل بإعلان الاعتراف بالحُكُومة الجديدة قبل أنْ يُهيمن الشُّيُوعيُّون أو عبد النّاصر على مقاليد السّياسة في العراق، كُلُّ ذلك قد بَلْوَرَ موقفاً بريطانيّاً جديداً من الحُكُومة العراقيَّة، فضلاً عن الموقف السُّوفيتي، الذي ورد في برقيَّة رئيس حُكُومته نيكيتا خروشوف، التي وجَّهها إلى رئيس وُزراء بريطانيا مكميلان، مُهدِّداً بشنِّ حرب عالميَّة ثالثة في حالة تدخُّل الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة وبريطانيا في العراق (راجع المُلحق رَقْم واحد)، كما أنَّ الإعلان المُبكِّر لمقتل أقطاب النّظام الثّلاثة، واعتقال بقيَّة قادة النّظام، كُلُّ ذلك أدَّى إلى تَرْك فكرة التَّدخُّل في العراق، وعدم جدوى القيام بمثل هذا العمل، ولابُدَّ لنا أنْ نُشير إلى أنَّ الشّرط الذي وضعه الضُّبَّاط الأحرار عندما وضعوا خُطَّة الثّورة (بضرورة وُجُود رُؤُوس النّظام الثّلاثة في مكان واحد عند تنفيذها لغرض السّيطرة عليهم) إنَّما كانت فكرة صائبة، وحقَّقت غرضها

المنشود؛ لأنّها قطعت الطّريق أمام مَنْ كان يُريد إعادة النّظام السّابق. كُلُّ ذلك حمل الحُكُومة البريطانيّة على الاقتناع بإيجاد صيغة مُلائمة للتّفاهم مع الحُكُومة الجديدة في بغداد.

5- موقف دُول حلف بغداد من الثّورة:

عندما وقعت الثّورة في العراق كانت الحُكُومة التُّركيّة تستعدُّ لاستقبال قادة حلف بغداد (العراق وإيران وباكستان) لعقد اجتماع تمهيدي قبل سفرهم إلى لندن؛ للمُشاركة في اجتماع دُول الحلف، الذي كان من المُقرَّر عقده في الأُسبوع الأخير من شهر تمُّوز، غير أنَّ ما حصل في بغداد فاجأ جميع الأطراف، وكان عليهم إيجاد مخرج لهذا الموقف، أمّا الحُكُومة البريطانيّة؛ فقد أبرقت إلى سفيرها في أنقرة لمعرفة رأي المسؤولين الأتراك بخُصُوص الوَضْع في العراق. وطلبت - كذلك - بيان رأي الأطراف الأُخرى بصدد عقد الاجتماع في لندن من عدمه[1].

أمّا الحُكُومة التُّركيّة؛ فقد هاجمت الثّورة في العراق جاء ذلك في تصريح رَسْميٍّ صدر عنها، وعدَّتْها خطراً على حلف بغداد، وعملاً سيُؤدِّي إلى تقويض الحلف[2]، كما هاجمت دُول الحلف - أيضاً - الثّورة، وَوَصَفَتْهَا بأنّها تأثير هدَّام على الحلف قادم من الخارج[3].

أبدت جميع الأطراف قناعتها بعقد الاجتماع، إلاّ إنَّ موقف حُكُومة بغداد، التي عبَّرت عن عدم رغبتها بالانسحاب من الحلف حاليّاً، قد أحدث إرباكاً لجميع أطراف الحلف، إلاّ أنّهم لاحظوا أنَّ من غير المُستحبِّ حُضُور مُمثِّل النّظام

From F. O. to Ankara. No. 2002 . July. 16. 1958–F.O. 371/133918.(1)

(2) النّعيمي ، أحمد نُوري : السّياسة الخارجيّة التُّركيّة بعد الحرب العالميّة الثّانية ، دار الحُرّيّة للطّباعة ، بغداد، 1975 ، ص 259

(3) النّعيمي : السّياسة التُّركيّة الخارجيّة ، مصدر سابق ، ص 206 .

الجديد في اجتماعات الحلف[1]. ثُمَّ أنَّ اجتماع وزيرَيْ خارجيَّة أمريكيا وبريطانيا في واشنطن كانا قد اتَّفقا فيه على أهمِّيَّة عقد الاجتماع، ولكنْ؛ ليس في شهر تمُّوز، برغم أنَّ التّأجيل ـ في الأقلِّ، في هذه المرحلة، ـ سوف يجعل أعداء الحلف يعتقدون بأنَّ الثّورة في العراق أدَّت إلى نهاية حلف بغداد، وبما أنَّ لا مجال لحُضُور مُمثِّل عن النّظام القديم، وأنَّ الاعتراف بالنّظام الجديد لم يُبحث فيه حاليّاً، فإنَّه لا يُمكن المُوافقة على حُضُور مُمثِّل عنه[2].

أمَّا بخُصُوص التَّدخُّل في العراق؛ فقد تدارست الحُكُومة التُّركيَّة فكرة القيام بعمل عسكري، وأعدَّت وزارة الدّفاع التُّركيَّة خُطَّة لهذا الغرض، واتَّخذت قراراً بهذا الشّأن، إلاَّ أنَّها طلبت معرفة رأي الأمريكان بصدد رغبتها هذه، وإعطائهم ضمانات ضدَّ أيِّ عمل يقوم به السُّوفيت كشرط لأيِّ تدخُّل يقومون به[3]. أمَّا بالنّسبة لقادة دُول الحلف الثّلاث المُجتمعين في تُركيا؛ فقد أرسلوا رسائل إلى الرّئيس الأمريكي آيزنهاور طالبوا فيه بشُمُول العراق (بمبدأ آيزنهاور)، واستخدام القُوَّة ضدَّ الثُّوَّار في العراق، كما أعلنوا استعدادهم لدَعْم التَّدخُّل العسكري الغربي في العراق، خاصَّة بعد أنْ أشارت بعض الأخبار عن وُجُود مُقاومة لثورة من قبَل بعض الأكراد في شمال العراق، وقد أُريد بهذه الأخبار ـ أوَّلاً ـ إظهار وُجُود ثورة مُضادَّة في العراق، وثانياً: لتشجيع تُركيا وإيران القيام بعمل مُنفرد أو مُشترك لاحتلال المنطقة الشّماليَّة من العراق، واقتسامها فيما بينهما[4]. ولمَّا

---

(1) From . Astanbul.to F.O. No 1134 . July. 18. 1958–F.O. 371/1339912.

(2) نورس : د. علاء مُوسى كاظم : ثورة 14 تمُّوز في تقارير الدّبلوماسين البريطانيِّين والصَّحافة الغربيَّة، الدّار الوطنيَّة للنّشر والتّوزيع والإعلان ، بغداد ، 1990، ص 75.

(3) From Washingtion to F.O. No. 191.. July. 15.1958 F.O. 371/133778.

(4) From Ankara to. F. O. . No 1106. July. 16. 1958 F.O. 371/133778.

كان السّفير البريطاني في واشنطن قد ناقش مع وزير الخارجيّة الأمريكي الطّلب التُّركي للتّدخُّل في العراق، فكان رأيهما بأنّ عمل الأتراك سوف يكون حماقة لها عواقبها السّيئة، وسيُتيح الفُرصة للسُّوفيت لإرسال قُوّاتهم إلى العراق، ورُبّما تقود تلك العمليّة إلى غزو سُوفيتي لتُركيا، وسيُؤدّي إلى حرب عالميّة، واتّفقا على إبلاغ تُركيا بأنّ عملها خاطيء، وغير صحيح، إلاّ إذا كانت هُناك عمليّة مُضادّة في العراق[1]. وقد تأثّر موقف دُول حلف بغداد كثيراً بموقف الولايات المُتّحدة الأمريكيّة،؛ حيثُ أظهرت الأخيرة موقفاً مُبكّراً بعدم تأييدها للقيام بعمل عسكري في العراق، خلافاً لموقف مُمثّلي الحلف المُجتمعين في اسطنبول؛ حيثُ كانت تُفضّل سياسة التّرقُّب والانتظار لما ستُسفر عنه الأحداث في العراق[2]. أمّا الاتّحاد السُّوفيتي الذي أعلن اعترافه بالثّورة في العراق في 16 تمّوز، فإنّه كان يُراقب الأحداث عن كثب، وأصدر بياناً أعلن فيه رفضه أيّ تدخُّل عسكري في المنطقة، ودعا الولايات المُتّحدة إلى سَحب قُوّاتها من لُبنان[3]. ثُمّ وجّه مُذكّرة إلى الحُكومة التُّركيّة في يوم 18 تمّوز مُحذّراً من مغبّة القيام بأيّ عمل عسكري في العراق، فأجابت الحُكومة التُّركيّة في 22 تمّوز أنّ أعمالها دفاعيّة بحتة[4]. وفي ضوء ذلك؛ قرّر قادة حلف بغداد المُجتمعون في تُركيا أنْ تكون لندن هي المكان المُلائم لعقد الاجتماع، مع التّأكيد على ضرورة حُضُور وزير خارجيّة الولايات المُتّحدة دالاس، وعقد الاجتماع في أسرع وقت مُمكن، وبما أنّ بغداد هي مقرُّ الحلف، فقد

Froo - Washington to F.O. No. 1917.. July. 15. 1958 F.O. 371/133778.(1)

From Astanbul.to. F. O. No. 1134 . July. 18 . 1958 F.O. 371/133778 (2)

(3) نورس : ثورة 14 تمّوز ، مصدر سابق ، ص 56 .

(4) النّعيمي : السّياسة الخارجيّة التُّركيّة ، مصدر سابق ، 261.

أصبح من المُتعذَّر على دُول الحلف العمل فيها، لذلك؛ يجب أنْ تكـون أنقـرة هـي المقرُّ المُؤقَّت للحلف[1].

وفي 20 تمُّوز؛ أبلغ السّفير البريطاني في واشنطن حُكُومته في برقيَّة فوريَّة بأنَّه اجتمع مع دالاس، وأبلغه الأخير بأنَّه يتعيَّن عليه ـ في ظلِّ الظّرف الحالي ـ حُضُور اجتماع مجلس الحلف، إذا ما عُقد في لندن[2].

6- اجتماع لندن والاعتراف بالحُكُومة العراقيَّة الجديدة:

كانت المُباحثات الأمريكيَّة ـ البريطانيَّة، التي جرت في واشنطن بين وزيـرَيْ خارجيَّة البلدَيْن في المُدَّة 18 ـ 22 تمُّوز قد تمخَّضت عن إقرار الطَّرَفَيْن ترك فكـرة التَّدخُّل العسكري في العراق، سواء كان من قبَلها، أو من قبَل دُول حلف بغـداد؛ إذْ قرَّرت الولايات المُتَّحدة أنَّ التَّدخُّل العسكري ـ وخاصَّة الاندفاع التُّركي ـ قـد يُعرِّض الأخيرة إلى مُجابهة شديدة من الجيش والشّعب العراقي، فضلاً عن التَّدخُّل المُساند للثّورة الذي قد تقوم به الجُمهُوريَّة العَرَبيَّة المُتَّحدة كما هُو مُتوقَّـع، وإقـرار ضرورة تشجيع العناصر المُعتدلة في الحُكُومة العراقيَّـة لمـنْع وُقُوعهـا في أحـضان المُعسكر الاشتراكي، أو عبد النّاصر. إنَّ مُباحثات واشنطن لم تكن إلاَّ إقـراراً مـن الطَّرَفَيْن بنجاح الثّورة في العراق، التي فتحت أمامها الطّريـق للاعـتراف الـدّولي، وقد أشاعت تصريحات قادة الحُكُومة العراقيَّـة الأمـل داخـل الـدّوائر البريطانيَّـة بإمكانيَّة احتواء العراق بإبقائه ضمن دُول حلف بغـداد، لـذلك؛ أصـبح اجـتماع لندن لقادة الحلف موضوع نقـاش حـادٌّ بـين الأطـراف، فبيـنما تـرى بريطانيـا أنَّ

---

(1) الونداوي : وثائق ثورة 14 تمُّوز ، المصدر السّابق أعلاه، ص 186 ـ 189 .

(2) نورس : ثورة 14 تمُّوز ، مصدر سابق ، ص 79 ـ80 .

الاجتماع يجب أنْ يكون استثنائيّاً، كانت الولايات المُتَّحدة تُصرُّ على اعتباره اجتماعاً دوريّاً عاديّاً، ولأنَّ بريطانيا وجدت في موقف الحُكُومة العراقيَّة الجديدة ما يُشجِّع على التّفاؤل، لذلك؛ باتت تسعى لعدم إثارتها من خلال هذا المُؤتمر، خاصَّة؛ وأنَّ وَضْعها لا يُشجِّع على دعوة العراق لحُضُور الاجتماع، في حين عقدت الولايات المُتَّحدة العزم على إقناع مُمثِّلي الحلف بإبعاد العراق عن عُضويَّته كمرحلة أُولى لإعلانها بالانضمام إلى الحلف عُضواً كامل العضويَّة. وكانت تهدف ـ من ذلك ـ إلى إحياء مشروع دالاس، الذي طرحه في بداية الخمسينات، القاضي بتأسيس مُنظَّمة دفاعيَّة في منطقة (الشّرق الأوسط)، وسُمِّيت ـ آنذاك ـ بالجدار الشّمالي، ويضمُّ إيران، وباكستان، وتُركيا، من دُون مُشاركة أيَّة دولة عَرَبيَّة[1]. كان رأي الأمريكان أنَّ الهدف الرّئيس للاجتماع، هُو أنَّ الحلف مايزال فعَّالاً، برغم التَّطوُّرات التي وقعت في العراق، عكس ما يُروِّج له من أنَّ الحلف قد مات بدُون مُشاركة العراق، وأنَّهم لا يُؤمنون بأنَّ قرار الحُكُومة العراقيَّة سوف يتأثَّر بطبيعة اجتماع لندن[2].

وُضعَت أمام المُؤتمر الذي عقد في 28 تمُّوز ثلاثة مواضيع؛ الأوَّل: الوَضْع في (الشّرق الأوسط)، والثّاني: العلاقة مع العراق، والثّالث: مُستقبل الحلف، ومن المُلاحَظ أنَّ مسألة الاعتراف بالحُكُومة العراقيَّة الجديدة قد بدت واضحة في جدول أعمال المُؤتمر، الذي أَعدَّت مُسوداته وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة[3]. ويبدو أنَّ برقيات السِّير مايكل رايت قد لعبت دوراً كبيراً في إقناع المسؤولين البريطانيِّيْن

---

(1) الونداوي : وثائق ثورة 14 تمُّوز ، المصدر السّابق أعلاه، ص 192 ـ 193 .

(2) From Washington to F.O. No. 33.. July. 24. 1958 F.O. 371/137918.

(3) الونداوي : وثائق ثورة 14 تمُّوز ، المصدر السّابق أعلاه، ص 216 ـ217 .

بضرورة التّعجيل بالاعتراف بالحُكُومة العراقيّة، وقد كان جدل الجانبَيْن البريطاني والأمريكي في اللّقاء الذي عقداه يوم 27 تمُّوز، قبل انعقاد مُؤتمر الحلف بيوم واحد مُنصبّاً على موضوع إبقاء العراق في الحلف، وفي الأخير؛ اتّفقا على إعادة تنظيم الحلف ليقتصر على مجموعة دُول الجدار الشّمالي[1]. في حين أصبح موضوع الاعتراف بالحُكُومة العراقيّة أمراً مفروغاً منه، بعد أنْ بدأت بريطانيا تُهيِّئ أذهان قادة حلف بغداد للاقتداء بها في مسألة الاعتراف بالحُكُومة العراقيّة[2].

ولما أقرَّ مجلس حلف بغداد الذي عُقد اجتماعه في يوم 28 تمُّوز الاعتراف بالحُكُومة العراقيّة الجديدة، أخبر وزير الخارجيّة البريطاني حُكُومته بأنَّ دُول الحلف ـ وكذلك الولايات المُتّحدة الأمريكيّة ـ اتّفقت على أنّه من الأفضل إعلان الاعتراف بالحُكُومة العراقيّة الجديدة، وفي ضوء ما طرحه وزير الخارجيّة، فقد ناقش مجلس الوُزراء البريطاني الموضوع، وكان الاتّجاه العام مُتّفقاً على ضرورة الاعتراف لوُجُود مصالح بريطانيّة تقتضي المُحافظة عليها. وفي ختام الجلسة؛ وافق مجلس الوُزراء على مَنْح الاعتراف الرّسْمي للنّظام الجديد في العراق في الوقت المُناسب، وخوَّل وزير الخارجيّة إجراء اللاّزم بشأن الموضوع[3].

وفي 1 آب؛ أعلنت وزارة الخارجيّة البريطانيّة اعترافها بالحُكُومة العراقيّة الجديدة[4]. مَنْ يُتابع الأحداث التي وقعت مُنذُ وُقُوع الثّورة وحتّى ساعة الاعتراف الرّسْمي بالنّظام يلمس ـ للمرّة الأُولى ـ أنّ بريطانيا كانت مُتردّدة في

---

(1) نورس: ثورة 14 تمُّوز، مصدر سابق، ص 82.

(2) الونداوي: وثائق ثورة 14 تمُّوز، المصدر السّابق أعلاه، ص 212.

(3) نورس: ثورة 14 تمُّوز، مصدر سابق، ص 83 ـ 84.

(4) الونداوي: وثائق ثورة 14 تمُّوز، المصدر السّابق، ص 244.

بضرورة التّعجيل بالاعتراف بالحُكُومة العراقيَّة، وقد كان جدل الجانبَيْن البريطاني والأمريكي في اللّقاء الذي عقداه يوم 27 تمُّوز، قبل انعقاد مُؤتمر الحلف بيوم واحد مُنصبّاً على موضوع إبقاء العراق في الحلف، وفي الأخير؛ اتّفقا على إعادة تنظيم الحلف ليقتصر على مجموعة دُول الجدار الشّمالي[1]. في حين أصبح موضوع الاعتراف بالحُكُومة العراقيَّة أمراً مفروغاً منه، بعد أنْ بدأت بريطانيا تُهيّئ أذهان قادة حلف بغداد للاقتداء بها في مسألة الاعتراف بالحُكُومة العراقيَّة[2].

ولما أقرَّ مجلس حلف بغداد الذي عُقد اجتماعه في يوم 28 تمّوز الاعتراف بالحُكُومة العراقيَّة الجديدة، أخبر وزير الخارجيَّة البريطاني حُكُومته بأنَّ دُول الحلف ـ وكذلك الولايات المُتّحدة الأمريكيَّة ـ اتّفقت على أنّه من الأفضل إعلان الاعتراف بالحُكُومة العراقيَّة الجديدة، وفي ضوء ما طرحه وزير الخارجيَّة، فقد ناقش مجلس الوُزراء البريطاني الموضوع، وكان الاتِّجاه العام مُتَّفقاً على ضرورة الاعتراف لوُجُود مصالح بريطانيَّة تقتضي المُحافظة عليها. وفي ختام الجلسة؛ وافق مجلس الوُزراء على مَنْح الاعتراف الرَّسْمي للنّظام الجديد في العراق في الوقت المُناسب، وخوَّل وزير الخارجيَّة إجراء اللاَّزم بشأن الموضوع[3].

وفي 1 آب؛ أعلنت وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة اعترافها بالحُكُومة العراقيَّة الجديدة[4]. مَنْ يُتابع الأحداث التي وقعت مُنذُ وُقُوع الثّورة وحتَّى ساعة الاعتراف الرَّسْمي بالنّظام يلمس ـ للمرَّة الأُولى ـ أنَّ بريطانيا كانت مُتردِّدة في

---

(1) نورس : ثورة 14 تمُّوز ، مصدر سابق ، ص 82 .
(2) الونداوي : وثائق ثورة 14 تمُّوز ، المصدر السّابق أعلاه، ص 212 .
(3) نورس : ثورة 14 تمُّوز ، مصدر سابق ، ص 83 ـ 84 .
(4) الونداوي : وثائق ثورة 14 تمُّوز ، المصدر السّابق ، ص 244 .

اتِّخاذ القرار المُناسب لإسقاط الثّورة، فلم يَعُدْ بمُستطاعها القيام بعمل وحدها؛ لأنَّ الجيش في العراق فاجأ الجميع بتوجيه ضربة سريعة إلى النّظام الملكي، وأطاح به وبالنُّفُوذ البريطاني في العراق، وخلال الفترة اللاَّحقة عاش الثُّوَّار والحُكُومة أيّاماً عصيبة مُنذُ اليوم الأوَّل للثورة وحتَّى 1 آب 1958، خشية من احتمالات تعرُّض الثّورة إلى اعتداء خارجي، يُعرِّضها للخطر، بسبب تعرُّض المصالح البريطانيَّة والغربيَّة لانتكاسة جديدة أعقبت قرار تأميم قناة السّويس عام 1956 في مصر، غير أنَّ النّتائج عكس ما كان يتوقَّعونه الثُّوَّار الجُدُد، وسوف نُسلِّط الضّوء على الأسباب الجوهريَّة التي دفعت بريطانيا وحُلفائها إلى عدم مُهاجمة الثّورة برغم الخسارة التي تعرَّضت لها مصالحها. وما هي الأسباب التي أدَّت إلى تغيير الموقف البريطاني المُعادي للثّورة مُنذُ أيّامها الأُولى إلى الإقرار بضرورة الاعتراف بحُكُومة الثّورة وإقامة علاقات رَسْميَّة معها.

ولعلَّ ذلك يرجع للأسباب الآتية:

- الموقف الشّعبي الدّاخلي، الذي كان مُؤيِّداً للثّورة، مُنذُ بداية إعلانها، ومُتجاوباً مع فكرة التّغيير، والتَّخلُّص من النّظام الملكي، والوُجُود البريطاني.

- الموقف الدُّوَليّ المُؤيِّد للثّورة، وخاصَّة؛ موقف الاتِّحاد السُّوفيتي، واعترافه المُبكِّر بالنّظام الجديد، فضلاً عن البرقيَّة التي بعثها رئيس وُزراء الاتِّحاد السُّوفيتي إلى رئيس الوُزراء البريطاني هارولد مكميلان، التي حذَّره فيها من احتمال قيام حرب عالميَّة ثالثة إذا ما هُوجمت الثّورة في العراق.

الموقف العَرَبي المُساند للثّورة، وخُصُوصاً موقف الجُمهُوريَّة العَرَبيَّة المُتَّحدة برئاسة المرحوم جمال عبد النّاصر، الذي قدَّم الدَّعم السّياسي والعسكري للثُّوَّار في العراق مُنذُ السّاعات الأُولى لقيام الثّورة.

وقع على مصر عام 1956، الذي قادته بريطانيا، ومعها فرنسا وإسرائيل، كان ذروة الفشل التي مُنيت بها سياسة نُوري المُوالية للغرب، فقد فشل العُدوان بالأساس، وشكّل نكسة كبيرة لبريطانيا في المنطقة. وظهر الرّئيس المصري جمال عبد النّاصر كقائد قوميٍّ تحرُّريٍّ تُؤازره الجماهير العَرَبيَّة، وقد كشفت الأحداث - فيما بعد - أنَّ نُوري السّعيد كان قد عقد اتّفاقاً مع رئيس الوُزراء البريطاني - آنذاك، أنطوني آيدن - للإطاحة بعبد النّاصر. فلا عجب أنْ يُتَّهم نُوري - بعد ذلك كُلِّه - بخيانته للقوميَّة العَرَبيَّة، ولوطنه، وبارتكابه جُرماً بحقِّ شعبه، عندما ربط سياسة بلاده مع دُول أجنبيَّة مُعادية للعَرَب. ممَّا شكَّل حافزاً للوطنيِّيْن العراقيِّيْن من عسكريِّيْن ومَدَنيِّيْن للتّخطيط، والإطاحة به، وبالنّظام الملكي، وبالوُجُود البريطاني، الذي تعرَّض لانتكاسة كبيرة على يد الرّئيس عبد النّاصر، وجاءت الانتكاسة الثّانية لبريطانيا في المنطقة من العراق عندما أطاح الجيش العراقي صبيحة 14 تمُّوز 1958، بالنّظام الملكي، والنُّفُوذ البريطاني، وكان أوَّل ضحاياه نُوري السّعيد نفسه.

وبعدُ؛ فلابُدَّ من تأشير بعض المُلاحظات التي خيَّمت على شخصيَّة نُوري السّعيد طيلة وُجُوده في السُّلطة:

- عند مُواجهته لمشاعر الغضب الشّعبيّ تبرز مهارته الكبيرة في مُواجهة الأزمات، واستيعابها، ومُعالجتها بهُدُوء.

- يمتاز بالتّواضع الشّديد، والحنكة السّياسيَّة، ويميل إلى المُحاورة، التي يصعب على مُنافسيه مُجاراته فيها.

- يمتلك أحكاماً مُتوازنة مع ثبات في المواقف الحرجة، وقُوَّة لا محدودة في اتّخاذ القرارات الحاسمة.

اتخاذ القرار المُناسب لإسقاط الثّورة، فلم يَعُدْ بمُستطاعها القيام بعمل وحدها؛ لأنَّ الجيش في العراق فاجأ الجميع بتوجيه ضربة سريعة إلى النّظام الملكي، وأطاح به وبالنُّفُوذ البريطاني في العراق، وخلال الفترة اللاّحقة عاش الثُّوَّار والحُكُومة أيّاماً عصيبة مُنذُ اليوم الأوّل للثورة وحتّى 1 آب 1958، خشية من احتمالات تعرُّض الثّورة إلى اعتداء خارجي، يُعرِّضها للخطر، بسبب تعرُّض المصالح البريطانيَّة والغربيَّة لانتكاسة جديدة أعقبت قرار تأميم قناة السّويس عام 1956 في مصر، غير أنَّ النّتائج عكس ما كان يتوقّعونه الثُّوَّار الجُدُد، وسوف نُسلِّط الضّوء على الأسباب الجوهريَّة التي دفعت ببريطانيا وحُلفائها إلى عدم مُهاجمة الثّورة برغم الخسارة التي تعرَّضت لها مصالحها. وما هي الأسباب التي أدَّت إلى تغيير الموقف البريطاني المُعادي للثّورة مُنذُ أيّامها الأُولى إلى الإقرار بضرورة الاعتراف بحُكُومة الثّورة وإقامة علاقات رَسْميَّة معها.

ولعلَّ ذلك يرجع للأسباب الآتية:

ـ الموقف الشّعبي الدّاخلي، الذي كان مُؤيِّداً للثّورة، مُنذُ بداية إعلانها، ومُتجاوباً مع فكرة التّغيير، والتَّخلُّص من النّظام الملكي، والوُجُود البريطاني.

ـ الموقف الدُّوَليّ المُؤيِّد للثّورة، وخاصَّة؛ موقف الاتِّحاد السُّوفيتي، واعترافه المُبكِّر بالنّظام الجديد، فضلاً عن البرقيَّة التي بعثها رئيس وُزراء الاتِّحاد السُّوفيتي إلى رئيس الوُزراء البريطاني هارولد مكميلان، التي حذَّره فيها من احتمال قيام حرب عالميَّة ثالثة إذا ما هُوجمت الثّورة في العراق.

الموقف العَرَبي المُساند للثورة، وخُصُوصاً موقف الجُمهُوريَّة العَرَبيَّة المُتَّحدة برئاسة المرحوم جمال عبد النّاصر، الذي قدَّم الدَّعم السّياسي والعسكري للثُّوَّار في العراق مُنذُ السّاعات الأُولى لقيام الثّورة.

فشل حلف بغداد في أنْ يكون البديل الذي يضمن الحماية اللاّزمة للنّظام الملكي في العراق. وفشل قادة النّظام في العراق من اتّخاذ التّرتيبات الأمنيّة اللاّزمة لحماية النّظام، وفي مُقدّمتهم نُوري السّعيد، الذي انشغل في السّياسة الخارجيّة، مُتجاهلاً الوَضْع الدّاخلي، الذي كان مُضطرباً، ويُنبىء بالانفجار بين لحظة وأُخرى.

لم يكن الأمريكان مُتَّفقين مع بريطانيا في استخدام القُوَّة العسكريّة لإعادة النّظام السّابق في العراق؛ بسبب الموقف الشّعبي الرّافض لرجال النّظام.

السّياسة التي سلكها النّظام الجديد غيّرت الكثير من آراء المسؤولين البريطانيّين، ورسّخت لديهم القناعة بتَرْك مسألة التّدخُّل العسكري، ومَدّ جُسُور التّفاهم مع الحُكُومة الجديدة، إذا رغبوا بالمُحافظة على بقاء البعض في مصالحهم.

البرقيّات التي بعثها السّفير البريطاني في بغداد إلى حُكُومته ليحثّها على ضرورة الاعتراف المُبكّر بالنّظام الجديد قبل أنْ يقع النّظام في أحضان السُّوفيت، أو الرّئيس جمال عبد النّاصر، بَلْوَرَتْ موقف بريطانيا باتّجاه الاعتراف بالنّظام الجديد.

7- نُوري السّعيد... باختصار:

لقد عُرف عن نُوري السّعيد بأنّه الزّعيم السّياسي الكَهل، الذي حَكَم العراق بقبضة حديديّة، رغم ما كان يُظهر من لين ومُرُونة في تعامله مع زُملائه السّاسة العراقيّين، فقد مارس السُّلطة مُدَّة طويلة من الزّمن، تقترب من الأربعين عاماً، ترأس ـ خلالها ـ الوزارة ثلاث عشر مرّة، ومرّة واحدة رئيساً لحُكُومة الاتّحاد الهاشمي، وعمل وزيراً لمرّات عديدة؛ بحيثُ أصبح الرّجل الذي يتحكّم بسياسة العراق الخارجيّة والدّاخليّة أكثر من أيّ سياسيٍّ آخر، وكان يتمتّع بنُفُوذ

واحترام لم يتمتَّع به أحد من رجال السّياسة، الذين عاصروه في العراق. وأظهر قابليَّة فذَّة تميَّز بها عن بقيَّة السّياسيِّين القُدامى؛ من حيثُ المهارة، والحنكة السّياسيَّة، والقُدرة على المُناورة، وكان الضُّبَّاط الأحرار يخشون بأسه أكثر من أيٍّ مسؤول آخر. ففي أكثر من مُناسبة ـ كما تُشير فعاليَّات الضُّبَّاط الأحرار السِّرِّيَّة ـ أرغمهم على تأجيل تنفيذ الثّورة، التي خطَّطوا لها، لأنَّه كان يعدل في آخر لحظة عن حُضُور احتفال عامٍّ، أو تغيير مسار طريقه، أو تنفيذ برنامج كان يُزمع القيام به؛ كحُضُور مُناورات عسكريَّة، أو احتفال رَسْميٍّ، أو غير ذلك، وكان الضُّبَّاط الأحرار يُحاولون استغلال هذه المُناسبات لتنفيذ مُخطَّطهم.

كما عُرِف عن نُوري السّعيد انحيازه للغرب، وولاؤه للبريطانيِّين، وإصراره على اتِّباع سياسة مُوالية للغرب. فكانت السّبب الجوهري في المُعارضة السّياسيَّة التي كان يُواجهها من مُعارضيه، كما أنَّه عزف ـ لفترة طويلة ـ عن القيام بإصلاحات اقتصاديَّة واجتماعيَّة، بحُجَّة قلَّة الموارد الماليَّة للعراق، التي كان يعتمد فيها على إيرادات النّفط، التي كانت بيد الشّركات البريطانيَّة، ولمَّا نجح في أوائل الخمسينات من انتزاع نسبة 51٪ من إيرادات النّفط خلال اتِّفاقه مع شركات النّفط، اعتبرها انتصاراً شخصيّاً له، راح يُطبِّل لها، ويُشيع في الأوساط الشّعبيَّة أنَّه حقَّق نصراً للعراق، ممَّا ساعده على وَضْع مشاريع عُملاقة في الرِّيِّ، وبناء السُّدُود، تحت إشراف مجلس الإعمار، الذي وَضَعَ خُططاً كبيرة وواسعة لمشاريع عديدة في العراق، لكنَّه نسي اهتمامه بتحسين أوضاع الطّبقات الفقيرة، التي لقيت اهتماماً وتعاطفاً من قبَل التّيَّارات السّياسيَّة المُعارضة، وبالأخصّ؛ ذات الأفكار اليساريَّة، فاستطاعت من استقطابها، وأصبحت تُمثِّل قطَّاعاً واسعاً من جماهيرها، واستطاعت هذه الأحزاب أنْ تُوظِّفها في المُواجهات السّاخنة مع السُّلطة، كما

حدث في وثبة عام 1948، وانتفاضة عام 1952 و1956، ممّا أقلق السُّلطة، ومركز نُوري السّعيد بالذّات. ركّز مُعارضو نُوري السّعيد في هُجُومهم على السّياسة الخارجيّة التي كان نُوري يتّبعها، وتتركّز في محورَيْن:

الأوّل: مسألة التّعاون العراقي ـ البريطاني.

والثّانية: تعزيز مركز العائلة الهاشميّة الحاكمة في العراق.

وفي الحقيقة؛ فإنّ هذه السّياسة وجهان لعُملة واحدة. ذلك أنّ العائلة الهاشميّة كانت مُوالية للغرب، ولسياسته بلا حُدُود، ولم تظهر أيُّ خلافات بين الطّرَفَيْن باستثناء فترة الملك غازي الذي كان يحمل أفكاراً وطنيّة وقوميّة، استطاع أنْ يستقطب العديد من السّاسة والعسكريِّيْن إليه، غير أنّه تعرَّض لحادث وفاة مجهولة، لا زالت الحقائق غير واضحة حولها، رغم أنّ عناصر الاتّهام بأنّ الحَدَث مُدبّر من قبل البريطانيِّيْن؛ لأنّه كان يُعارض سياستهم.

لقد حقّق نُوري السّعيد ـ قبل قيام الحرب العالميّة الثّانية ـ مكاسب لا بأس بها للعراق؛ في مُقدِّمتها أنّه استطاع أنْ يُخفِّف من الوُجُود البريطاني في العراق عبر مُعاهدة 1930، رغم أنّها لم تكن ـ في باطنها ـ إلاّ قيداً كبيراً للعراق، وإخلالاً بسيادته، ممّا عرَّض مركز العراق إلى الشُّبُهات أمام الوطن العَرَبي، وتصاعد ذلك بعد قيام الحرب وانتهائها، فقد أخذت الدُّوَل العَرَبيّة تُشيح بوجهها عن الغرب بشكل قوي. في وقت أصرَّ نُوري على الارتباط به، بل إنّه بات يُروِّج لسياسته الجديدة، ويدعو الدُّوَل العَرَبيّة للانخراط بهذه السّياسة، ورغم أنْ لقي صُدُوداً من بعض الدُّوَل العَرَبيّة، إلاّ أنّه مضى في تلك السّياسة، وانغمس بها، وارتبط ـ من خلالها ـ ببريطانيا عبر حلف بغداد، ودعا ـ بإصرار ـ إلى دُخُول الولايات المُتّحدة الأمريكيّة كَطَرَف رئيسي فيها، ونجح في مسعاه. غير أنّ العُدوان الذي

وقع على مصر عام 1956، الذي قادته بريطانيا، ومعها فرنسا وإسرائيل، كان ذروة الفشل التي مُنيت بها سياسة نُوري المُوالية للغرب، فقد فشل العُدوان بالأساس، وشكَّل نكسة كبيرة لبريطانيا في المنطقة. وظهر الرّئيس المصري جمال عبد النّاصر كقائد قوميٍّ تحرُّريٍّ تُؤازره الجماهير العَرَبيّة، وقد كشفت الأحداث ـ فيما بعد ـ أنَّ نُوري السّعيد كان قد عقد اتّفاقاً مع رئيس الوُزراء البريطاني ـ آنذاك، أنطوني آيدن ـ للإطاحة بعبد النّاصر. فلا عجب أنْ يُتَّهم نُوري ـ بعد ذلك كُلّه ـ بخيانته للقوميّة العَرَبيّة، ولوطنه، وبارتكابه جُرماً بحقِّ شعبه، عندما ربط سياسة بلاده مع دُول أجنبيّة مُعادية للعَرَب. ممّا شكَّل حافزاً للوطنيّيْن العراقيّيْن من عسكريّيْن ومَدَنيّيْن للتّخطيط، والإطاحة به، وبالنّظام الملكي، وبالوُجُود البريطاني، الذي تعرَّض لانتكاسة كبيرة على يد الرّئيس عبد النّاصر، وجاءت الانتكاسة الثّانية لبريطانيا في المنطقة من العراق عندما أطاح الجيش العراقي صبيحة 14 تمُّوز 1958، بالنّظام الملكي، والنُّفُوذ البريطاني، وكان أوَّل ضحاياه نُوري السّعيد نفسه.

وبعدُ؛ فلابُدَّ من تأشير بعض المُلاحظات التي خيَّمت على شخصيَّة نُوري السّعيد طيلة وُجُوده في السُّلطة:

ـ عند مُواجهته لمشاعر الغضب الشّعبيّ تبرز مهارته الكبيرة في مُواجهة الأزمات، واستيعابها، ومُعالجتها بهُدُوء.

ـ يمتاز بالتّواضع الشّديد، والحنكة السّياسيّة، ويميل إلى المُحاورة، التي يصعب على مُنافسيه مُجاراته فيها.

ـ يمتلك أحكاماً مُتوازنة مع ثبات في المواقف الحرجة، وقُوَّة لا محدودة في اتّخاذ القرارات الحاسمة.

ـ تعامل بصرامة مع الشُّيُوعيَّة، العدوّ الرّئيسيُّ لحُلفائه الغربيِّين، حتَّى بات ينعت كُلَّ مُعارض في البلاد بـ (الشُّيُوعي).

ـ أثبت أنَّه صديق وفيٌّ ومُخلص للبريطانيِّين طيلة فترة وُجُوده في السّاحة السّياسيَّة، وقاتل ـ بشراسة ـ من أجل المُحافظة على النُّفُوذ البريطاني في العراق، ومنطقة الشّرق الأوسط.

ـ كان يُؤمن حَدَّ القناعة التَّامَّة أنَّ العراق لم يصل ـ حتَّى ذلك الوقت ـ إلى حالة النُّضج السّياسي، ويرى أنَّه أكثر تعرُّضاً من النّاحية الجَغرافيَّة إلى الخطر السُّوفيتي.

ـ أجهد نفسه من أجل إيجاد حَلٍّ للقضيَّة الفلسطينيَّة سياسيَّاً على كافَّة المُستويات، رغم أنَّه لم يكن مُقتنعاً بإرسال جيش عراقي إلى فلسطين للمُشاركة في تحريرها.

ـ طلب ـ بإلحاح ـ من البريطانيِّين انضمام الكُويت إلى الاتِّحاد الهاشمي، ودخل معهم في سجال طويل، كاد يُؤدِّي إلى خلاف معهم، بعد أنْ هدَّدهم بالابتعاد عنهم، بسبب مُناوراتهم معه في هذا الموضوع.

ـ كان السّياسي الوحيد الذي طالب الحُكُومة البريطانيَّة بالتَّدخُّل والمُساعدة ـ لأكثر من مرَّة ـ لإبعاد الأمير عبد الإله عن السُّلطة، وتَرْكها إلى ابن أخيه الملك فيصل الثّاني؛ ليُمارس مسؤوليَّاته.

ـ كانت نتيجة وفائه لأصدقائه البريطانيِّين سُقُوطه قتيلاً بطريقة مُروِّعة في اليوم الثّاني للثّورة، وكان من بين الأوائل الذين سقطوا ضحايا دفاعاً عن العائلة الهاشميَّة، والوُجُود البريطاني في العراق.

صُور تتحدَّث عن نُوري السّعيد



الوفدان العراقي والتُّركي عقب التَّوقيع على الاتّفاق الثُّنائي، في حفل، في السِّفارة التُّركيَّة، ببغداد، 1954.



عدنان مندريس؛ رئيس الحُكومة التُّركيَّة، ونُوري السّعيد في بغداد.. بعد توقيع الاتّفاق الثُّنائي بينهما، ويقف خلف نُوري السّعيد مُرافقه المُقدَّم وصفي طاهر، الذي تذكر بعض المصادر التّاريخيَّة بأنَّه قتَل نُوري صبيحة 14 تمُّوز، 1958، برصاص رشّاشه.



نُوري السّعيد مُتفائل دائماً، وهُو ـ هُنا ـ يتوسَّط لفيفاً من النُّوَّاب والسَّاسة.



حفل التَّوقيع على الاتِّفاق الخاصّ بين العراق وبريطانيا عام 1955. نُوري والسَّفير البريطاني وبقيَّة أعضاء الوفد البريطاني.

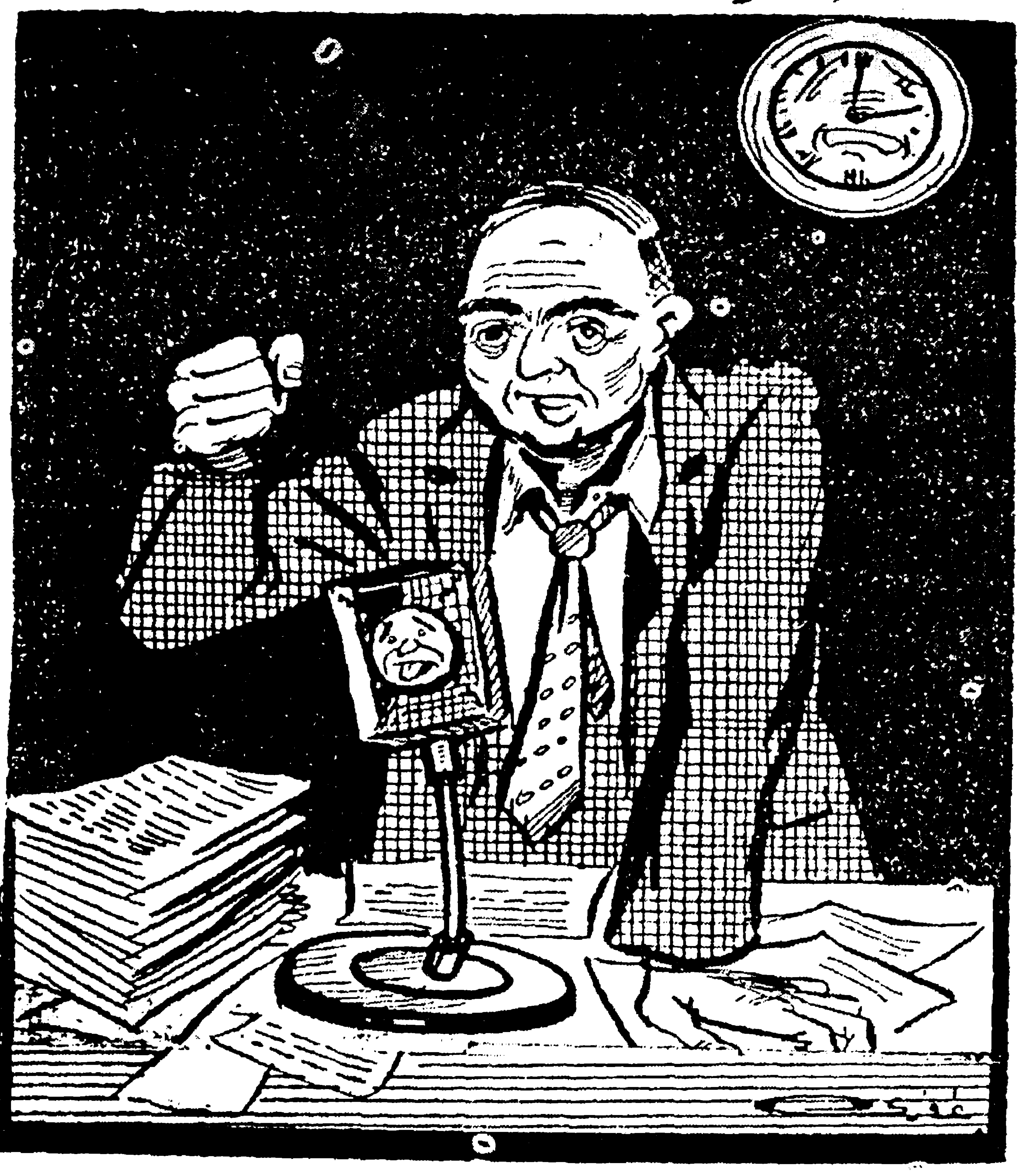


تبادُل الأنخاب بين الوفدَيْن العراقي والبريطاني، عقب التّوقيع على الاتّفاق الخاصّ بين الطَّرَفَيْن 1955، من اليمين: وزير الخارجيّة العراقي بُرهان الدِّين باش أعيان، ثُمّ نُوري السّعيد، ثُمّ السّفير البريطاني مايكل رايت.



بعد التّوقيع على الاتّفاق الخاصّ بين العراق وبريطانيا 1955؛ نُوري السّعيد يتبادل الأنخاب مع السّفير البريطاني، وخلف نُوري بُرهان باش أعيان.

(غوبلز) مجلس الاعمار



فلسفة الاعمار

الاعمار لغةً : التعمير . .

واصطلاحاً : تعمير الجيوب !

جريدة الجريدة، نُوري السّعيد.



« بدأت منذ ليلة امس الحملة الوزارية الخطابية من دار الاذاعة اللاسلكية العراقية » ..

« تخت » الاذاعة الجديد !

كما عرضته جريدة الجريدة د. فاضل الجمالي يُغنّي، ونُوري يدقُّ الدّف.

سفينة الحكم



أما آن لهذه السفينة التائهة..
أن ترسوا الى شاطئها الامين؟!

الجمالي والسّويدي ونُوري السّعيد وباقي المجموعة الحاكمة، تسخر منهم جريدة الجريدة.



تطهير النُّخبة الحاكمة "نوري والسّويدي والجمالي والعُمري"، جريدة الجريدة.



قصر الزُّهُور من الخارج.



النّهاية المُفجعة لنُوري السّعيد صبيحة اليوم الثّاني لثورة 14 تمُّوز 1958، فقد قُتل بمُسدَّسه الشّخصي، الذي كان يحمله؛ حيثُ انتزعه منه أحد المُواطنين المارّين في الشّارع، وأفرغ الرّصاص في جسد نُوري، ثُمَّ جاء المُقدَّم وصفي طاهر -بعد قليل- ووجده مقتولاً، فأفرغ ما في رشّاشه من رصاص في جسد نُوري المقتول.

المراجع والمصادر

أولاً : الوثـائق غير المنـــشورة:

أ. الوثـائق العَرَبيَّة :

- وزارة الخارجيَّة العراقيَّة : برقيَّـة رَقْـم 99 في 2/ 8/ 1958، مـن الـسِّفارة العراقيَّـة بـيروت إلى الخارجيَّة العراقيَّة.
- وزارة الخارجيَّة العراقيَّة : برقيَّـة رَقْـم 86 في 3/ 8/ 1956، مـن الـسِّفارة العراقيَّـة في لنـدن إلى السِّفارة العراقيَّة في بيروت.
- وزارة الخارجيَّة: تقرير وزير الخارجيَّة عن زيارة إلى مصر برَقْم 927 بتاريخ 19/ 9/ 1956.
- وزارة الخارجيَّة: السِّفارة العراقيَّة ـ واشنطن إلى الخارجيَّة العراقيَّة ببغداد في 6/ 10/ 1956.
- مجلس النُّوَّاب: مُذكّرة مجلس النُّوَّاب إلى مجلس الوُزراء العراقي في تشرين الثّاني من 1956.

ب. وثائق وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة :

Said to India office ,1.9.1920 – Fo 371/5228, From Nuri Al.

The Times, March 16, 1920 ,3992 – Fo 371/5033.

Fo to Baghdad, 371/5240, 30.8.1945.

Stone Hewer- Bird to Bevin, 1.5.1946, Fo 371/5240.

Bird, 18.9.1946. Fo 371/52402 – Bevin to Stone Hewer.

A.H.Q Iraqi and Persia to Air ministry London 20.11.1946. Fo 371/52402.

Fo to U.K. Delegation to council of Foreign Minsters, 28.11.1946. Fo 371/52403.

Bired to Attlee, 10.12.1946, Fo 371/ 52405 – Stone Hewer.

Minut by Garran, 28.4.1947, Fo. 371/61589.

Bired to Bevin, 2.4.1947, Fo 371/ 61589 – Stone Hewer.

P.G.Carrant to D.C. Stapleton, 609. 1947/Fo 371/15994.

Cabinet Paper, Post war Fssuer in the Middle East, c.G. 537/3982.

Baocter to W.O., 14.6.1944, Fo 371/40071.

Busk to Bevin, 16.8.1946, 371/52341.

Fo to stone hewer-bird, 2.5.1947, Fo 371/ 61589.

Bevin to Cambell, 13.6.1947, 371/61591.

See for Instance Luies, The British Empire, Partir.

BMEO in Cairo to Fo, 10.12. 1947, Fo 371/61580and Busk to Bevin, 11.12.1944.
and 12.12.1947, Fo. 371/61580.

Conversation with Nuri Pasha, 11.12.1947, Fo 371/61600.
Report by Saleh Jabr In Paliste.
Kirk Bride to Bevin ,20.12.1947, Fo 371/61583.
Busk to Wright, 30.1.1948, Fo 371/68446.
Wright to mack, 26.3.1948, Fo 371/68447.
Fo to Cairo, 4.6.1948, Fo 371/68 527.
Mack to Bevin, 22.6.1948, Fo 371/ 68470.
Mack to Fo, 10.7.1948, Fo 371/68450.
Mack to Micheal Wright, 17.7.1948, Fo 371/684771.
Fo to Mack, 30.6.1948, Fo.371/68470; and. Fo to Mack, 29.7.1948, Fo 371/68470.
Kirkbride to Fo 6.8.1948, Fo 371/6871.
Mack to Brvin, 6.11.1950, Fo 371/82408.
Mack to Bevin, 6.10.1950, Fo 371/82408.
Minute by Rhodes, 18.10.950, Fo 371/ 82408.
Mack to Bevin, 28.11.1950, Fo 371/82408.
Troutbeck to Morrison, 2.6.1951, Fo 371/91632.
Troutbeck to Morrison, 16.5.1951, Fo 371/91633.
Troutbeck to Fo, 3.5.1951, Fo 371/91632.
.Troutbeck to William strang, 2 5.4.1951, Fo 371/91633.
.Troutbeck to William strang, 3.7.1951, Fo 371/91682.
.Troutbeck to Fo, 21.7.1951. Fo 371/91631.
The Iraqi Oppositions, attitude regarding Nuirs support to Britain against Iran. was reported in Beely to Fo, 4.7.1951, Fo 371/91634 and in troutbeck to Morison .18.7.1951, Fo 371/91633.
Report by Robertson to War Office, 7.1.1951 Fo 371/91659.
Mack to Bevin, 1.2.195 1, Fo 371/91657.
Mack to Bevin, 1.2.195 1, Fo 371/91657.
Troutbeck to Morrison, 17.10.1951, Fo 371/91639.
Troutbeck to Fo, 24.10.1951, Fo 371/ 91639.
Fo to Baghdad, 26.10.195 1, Fo 371/91631.
Troutbeck to Fo, 25. 10.1951, Fo 371/91631.
Troutbeck to Fo, 29.10.1951, Fo 371/91631.
Troutbeck to Eden, 19.11.1951, Fo 371/91633.
Troutbeck to Bowker, 24.11.1951, Fo 371/91 633.
Troutbeck to Fo, 10.10.1951, Fo 371/91639.
.Bowker to troutbeck, 30.10.1951, Fo 371/91639.
.Furlongo to Eroutbeck, 23.10.1951, Fo 371/91639.
.Troutbeck to Fo, 5.11.1951, Fo 371/91639.
Troutbeck to Eden, 6.3.1952, Fo 371/98734.
Troutbeck to Eden, 13.3.1952, Fo 371/ 98734.

Belly to Fo, 12.8.1952, Fo 371/98734.
Troutbeck to Eden, 9.10.1952, Fo 371/98737.
Troutbeck to Fo, 7.11.1952, 371/98733.
Troutbeck to Eden, 8.11.1952, 371/98737.
Fo to Baghdad, 19.11.1952, Fo 371/98733.
Disturbances in Baghdad, Events of November 22-24, Fo 371/98736.
Troutbeck to Eden, 25.11.1952, Fo 371/98733.
Minute by ross, 4.2.1953 Fo 371/104665.
Troutbeck to Eden, 24.1.1953, Fo 371/ 104665.
Troutbeck to Bowker, 3.4.1953, Fo 371/167678.
Ross to Troutbeck, 10.6.1953, Fo 371/167678.
Troutbeck to Lord Salisbury, 30.9.19 53, Fo 371/104666.
Troutbeck to Fo, 15. 6.1954, Fo 371/111003Slwen Loughd to Hooper, 25.6.1954, Fo .371/110992.
Troutbeck to Fo, 2.8.1954, Fo 371/110990.
Hooper to Eden, 11.8.1954, Fo 371/110990.
Troutbeck to Fo, 11.9.1954, Fo 371/110791.
Troutbeck to Eden, 3.9.1954, Fo 371/110991.
Troutbeck to Eden, 20.10.1954, Fo 371/110992.
Troutbeck to Eden, 6.10.1954, Fo 371/110992.
Troutbeck to Eden, 16.12. 1954, Fo 371/ 110992.
Mr. Rieght to Slween Loughd, 30.12.1955. Fo 371/110994.
Mr. Rieght to Loughd, 8.2.1957, Fo 371/110994.
Baghdad to Fo, No. 181.1041/8/57, 11.7.1957, 371/128057Fo to Baghdad, No. 322, .10.2.1955, Fo 371/133813.
Mack Rieght to Fo, No. 386, 27.3.1957, Fo 371/126960.
Miacl Rieght to Fo, 29.1.1957, Fo 371/126960.
Kuwait to Fo. No.7, 14.3.1957, Fo 371/126960.
Fo to Baghdad, No. 786, 20.3.1957, Fo 371/126960.
Miacl Rieght to Slween Loughd, No.176, 4.7.1957, Fo 371/128041.
Miacl Rieght to Fo 5.2.1958, No. 171, Fo 371/133813.
Baghdad to Fo, Fo 371/133813, No. 155, 9.2.1958.
Fo to Baghdad, 22.2.1958, Fo 371/133813.
Baghdad to Fo, 10.2.1958, Fo 371133813.
Mical Rieght to Fo, 7.4.1958, Fo 371/133813.
Mical Rieght to Slween Loughd, 22.4.1958, Fo 371/28056.
Baghdad to Fo, No. 1267, July 14.1958, 371/134198.
Baghdad to Fo, No. 1268 July 14.1958, 371/134198.
Fo 371/34198, From Amman to Fo, No. 816, July 14, 1958.
Fo. 371/134198, From Washington to Fo, No. 1852, July 14, 1958.

Fo. 371/134198, From ammantto Fo, No. 809, July 14, 1958.
Fo 371/134198, From Ankara to Fo, No. 1087, July 14, 1958.
Fo 371/ 134199, From Baghdad to Fo, No. 5 July 15. 1958.
From Baghdad to Fo 9 No. 10, Fo 371/134199, No. 10, Fo 371/134199. July. 1958.
From Dixon to Fo, 371/134199 No. 282. July 15, 1958.
From Amman to Fo, No. 837 July 141958 371/134226.
From Baghdad to fo, No. 4, July. 15.1958, Fo 371/134199.
From Fo to Ankara, No. 2002, Fo 371/133918, July 16. 1958.
From Astanbul to Fo, No. 1134, Fo 371/133912, July, 18. 1958.
From Washington to Fo, No. 191. Fo 371/133778, July 15, 1958.
From Ankara to Fo, No. 1106, Fo 371/133778, July 16, 1958.
From Washington to Fo, No. 1917, Fo 371/133778, July 15,1958.
From Washington to Fo, No. 33, Fo, 371/137918, July 24, 1958.

ثانياً: الوثائق الأجنبيّة المُترجمة:

- المس بيل: العراق في رسائل المس بيل، بغداد، وزارة الإعلام، 1977.
- جيرالد دي غُوري: ثلاثة مُلوك في بغداد، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد مكتبة النّهضة العَرَبيّة، 1983.
- نجدة فتحي صفوة: العراق في الوثائق البريطانيّة حتّى سنة 1936، جامعة البصرة، مطبعة إشبيلية، بغداد، 1983.
- العراق في التّقارير السّنويّة للسّفارة البريطانيّة 1944 - 1958، ترجمة د. مُؤيّد إبراهيم الونداوي، دار الشُّؤون الثّقافيّة، بغداد، 1992.
- ولدمار غُولدمن: عراق نُوري السّعيد، مُؤسّسة الإنتاج الطّباعي، بيروت، 1965.
- نبوا ميشان: ربيع العَرَب، بيروت، 1959.
- أنتوني آيدن: مُذكّراتي، بيروت، لُبنان.

ثالثاً: المصادر العَرَبيّة:

غير المطبوعة:

- العلاقات العراقية - البريطانيّة 1945 - 1958، بحث غير منشور، د. مُؤيّد إبراهيم الونداوي.
- الجيش والسّياسة في العراق 1948 - 1958، مُسوّدة كتاب غير منشور.

المصادر المطبوعة:

- إسماعيل العارف : أسرار ثورة 14 تمّوز وتأسيس الجُمهُوريَّة العراقيَّة، لندن ، مكتبة الماجد، سنة 1986.
- عبد الرَّزَّاق أحمد النَّصيري : نُوري السَّعيد ودوره في السِّياسة العراقيَّة حتَّى عام 1932، بغداد، 1987.
- مجيد خدوري : نظام الحُكم في العراق ، ترجمة فيصل نجم الدِّين الاطرقجي، مطبعة المعارف ، بغداد، 1946.
- مجيد خدوري: المسألة العراقيَّة ، المُوصل، 1934.
- مجيد خدوري: تحرُّر العراق من الانتداب ، مطبعة العهد، بغداد، 1935.
- عبد الرَّزَّاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقيَّة، ج1، مركز الأبجديَّة للطِّباعة والنَّشر ، بيروت، 1982 ، الطَّبعة السَّادسة.
- عبد الرَّزَّاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقيَّة، ج10، مركز الأبجديَّة للطِّباعة والنَّشر ، بيروت، 1982 ، الطَّبعة السَّادسة. ج3 ، ج5، ج7،ج 8.
- عبد الرَّزَّاق الحسني : العراق في ظلِّ المُعاهدات.
- مُحَمَّد حمدي الجعفري : بريطانيا والعراق حقبة من الصِّراع 1914 - 1958 ، بغداد ، دار الشُّؤون الثَّقافيَّة، 2000.
- مُحَمَّد حمدي الجعفري : انقلاب الوصيِّ في العراق 1952، القاهرة، مكتبة مدبولي،2001.
- مُحَمَّد حمدي الجعفري : عبد الكريم قاسم والضُّبَّاط الأحرار والموقف من بريطانيا حتَّى عام 1958، دار الشُّؤون الثَّقافيَّة، بغداد، 2002.
- سلمان التَّكريتي : الوصيُّ عبد الإله بن علي يبحث عن عرش1939 - 1953، الدَّار العَرَبيَّة للموسوعات ،بيروت ، لُبنان.
- المحكمة العسكريَّة العُليا الخاصَّة : وزارة الدِّفاع، بغداد، 1959، ج4،ج1 .
- تحسين العسكري : مُذكّراتي عن الثَّورة العَرَبيَّة الكُبرى ، ج1 ، بغداد، 1936.
- محسن حُسين الحبيب : حقائق عن ثورة 14 تمُّوز في العراق ، دار الأندلس ، بغداد.
- سُعاد رؤوف شبر : نُوري السَّعيد ودورة السِّياسي حتَّى عام 1945، بغداد، 1988.
- توفيق السّويدي : وُجُوه عراقيَّة، بيروت، لُبنان.
- طالب مُشتاق : أوراق أيَّامي 1900 - 1958 ، ج1، بغداد، دار واسط، 1989.
- عبَّاس العزَّاوي : تاريخ العراق بين احتلالَيْن، شركة التِّجارة للطِّباعة ، بغداد، 1956.
- سُليمان فيضي : في غمرة النِّضال ، ط2 ، بيروت، 1974.
- إبراهيم الرَّاوي : من الثَّورة العَرَبيَّة الكُبرى إلى العراق الحديث، بيروت، 1919.
- نُوري السَّعيد : مُحاضرات عن الحركات العسكريَّة في الحجاز وسُوريا 1916 - 1918، بغداد ، 1947.
- سُليمان مُوسى : المُراسلات التَّاريخيَّة 1914 - 1918 ، مُجلَّد (1)، مُجلَّد 3، عمَّان، 1973.

- علي جودت الأيوبي : الذكريات 1900 ـ 1958 ، بيروت، 1967.
- العقيد صلاح الدين الصبّاغ : فرسان العروبة ، بيروت، الطّبعة الأولى ، 1956.
- ناجي شوكت ، سيرة وذكريات ثمانين عاماً 1894 ـ 1974 ، بيروت، 1987.
- قيس عبد الحسين الياسري ، الصّحافة العراقيّة والحركة الوطنيّة من نهاية الحرب العالميّة الثّانية وحتّى ثورة 14 تمّوز 1958 ، دار الحُرّيّة، بغداد، 1978.
فاضل حُسين : تاريخ الحزب الوطني الدّيمقراطي 1946 ـ 1958 ،بغداد، 1963.
- د. عبد الأمير هادي العكّام: تاريخ حزب الاستقلال العراقي 1946 ـ 1958. دار الشُّؤون الثّقافيّة، بغداد، 1986، ط2.
- توفيق السّويدي : مُذكّراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضيّة العَربيّة ، بيروت ، 1969.
- د. عبّاس عطيّة جبّار : العراق والقضيّة الفلسطينيّة 1932 ـ 1941، ط1، بغداد، مطبعة الجامعة ، 1982.
- صالح صائب الجبوري : محنة فلسطين وأسرارها العسكريّة والسّياسيّة ، بيروت ، 1970.
- د. مُؤيّد إبراهيم الونداوي : ثورة تمّوز 1958 في العراق في الوثائق البريطانيّة ، بغداد، 1990.
- أحمد حمروش : قصّة ثورة يُوليُو، ج2.
- مُحَمّد مهدي كبة : مُذكّرتي في صميم الأحداث ، مطبعة الآداب ، بيروت، 1968.
- مُحَمّد حسنين هيكل : سنوات الغليان حرب الثّلاثين عاماً 1967، مركز الأهرام للتّرجمة ، 1988 ، ص 1 ، القاهرة.
- مُحَمّد حسنين هيكل ، ملفّات السُّويس.
- المُلازم فالح زكي خنطل : أسرار مقتل العائلة المالكة في العراق 14 تمّوز 1958، بيروت ، 1971.
- د. جعفر عبّاس حميدي : انتفاضة عام 1956 في العراق ، بيت الحكمة ، المطبعة العَربيّة ، سنة 2000.
- الذّاكرة التّاريخيّة لثورة 14 تمّوز عام 1958 في العراق، دار الشُّؤون الثّقافيّة، بغداد، 1987.
- خليل إبراهيم حُسين : عبد الكريم قاسم اللُّغز المُحيِّر، ج6 ، بغداد، 1989.
- خليل إبراهيم حُسين : ثورة الشّوّاف ج 2، بغداد، 1988.
- ليث عبد الحسن الزّبيدي : ثورة 14 تمّوز في العراق عام 1958، بغداد، 1980.
- أحمد نُوري النّعيمي : السّياسة الخارجيّة التُّركيّة بعد الحرب العالميّة الثّانية،دار الحُرّيّة، بغداد، 1975.
- د. علاء مُوسى كاظم : ثورة 14 تمّوز في تقارير الدّبلُوماسيّين البريطانيّين والصّحافة الغربيّة، الدّار الوطنيّة للنّشر ، بغداد، 1990.
- د. كاظم نعمة : الملك فيصل الأوّل والإنكليز والاستقلال ، الدّار العَربيّة للموسوعات ، بيروت ، لُبنان ، 1988.

رابعاً : المصادر الأجنبيّة غير المُترجمة :

RStorrs Orientations, 6[th] ed, London 1945.
T. F. Lawrence Seven Pitlars of Wisdom third end. London 1955.
Time, the Weekly news magazine, June 17, 1957.
H. Young. The Independent Arab, London, 1933.
Windawi, M. Ibrahim, Unpublished Thesis Anglo-Iraqi Relations 1945-1958, – Al University of Reading 1989.
From More details on these factors, see samim. H. Al Kisi, Palestine and Iraqi Fo: in Policy 1936-1958.
(Nicholas Bethel, The Palestine triangle (London), Hazel Watson and Viney, 1959.
Jamali, Iraqs Point of view on the question of presented to the Anglo – Fadhil Al (American Committee of Inguiry, (Baghdad, 1946.
Isreali war of 1948, paper prepared for the - Avi Shlaim,)Britain and The Arab conference on British Security Policy 1945- 1956.) At King's College, London, 2 5-26 march 1987.
said, London 1959 – Lord Bird Wood, Nuri as.

خامساً : الصُّحُف والدّوريّات:

الصُّحُف :

- صحيفة صدى العهد، تشرين الثّاني، 1932.
- صحيفة الزّمان البغداديّة، 11 أيلول، 1930.
- صحيفة صدى العهد، 12 أيلول، 1930.
- صحيفة البلاد البغداديّة، 20 شباط، 1938.
- صحيفة صدى الأحرار، 7-14 آذار، 1953.
- صحيفة العراق، 21 شباط، 1921.
- صحيفة الحُرّيّة، 29 تمّوز، 1956.

المجلات:

- مجلّة آفاق عَرَبيّة، العدد الثّامن، 1987.

سادساً: المُقابلات الشّخصيّة:

- مُقابلة مع العقيد المُتقاعد صُبحي عبد الحميد، بتاريخ 28/ 2/ 1996.

الباحث في سُطور

ـ مُحمَّد حمدي صالح الجعفري.

ـ وُلد عام 1953، في مُحافظة صلاح الدِّين.

ـ أكمل الدّراسة الابتدائيّة والمُتوسِّطة فيها، وفي بغداد؛ واصل إكمال الدّراسة الثّانويّة العامّة عام 1974.

ـ دَرَسَ في كُلّيَّة التّجارة، جامعة عين شمس (جُمهُورية مصر العَرَبيّة) لغاية عام 1978.

ـ حَصَلَ على شهادة البكالُوريُوس في الإدارة العامّة من كُلّيّة الاقتصار بجامعة المُستنصريَّة عام 1982، وعلى شهادة الماجستير عام 1996، في التّاريخ من معهد التّاريخ العَرَبي ببغداد.

ـ صَدَرَتْ له العديد من المُؤلّفات التّاريخيّة والسّياسيّة، وقدّم العديد من الدّراسات والبُحُوث العلميّة، وشارك ـ في بعضها ـ في العديد من المُؤتمرات والنّدوات العلميَّة المُنعقدة في بغداد، والقاهرة، وعمّان، وجَدَّة. وقام بزيارات لبعض الدُّول الآسيويّة، والإفريقيّة، والأورُوبيّة.

صَدَرَ له:

1 ـ نهاية قصر الرّحاب، دار الشُّؤون الثّقافيّة، بغداد، 1989.

2 ـ محكمة المهداوي، دار الشُّؤون الثّقافيّة، بغداد، 1990.

3 ـ الملكة عالية امرأة خلف الأحداث، دار الحُرّيّة، بغداد، 1991.

4 ـ انقلاب الوصي في العراق عام 1952، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ط1.

5 ـ انقلاب الوصي في العراق عام 1952، مكتبة خالد، بغداد، 2002، ط2.

6 ـ عشائر وأُسر السّادة الحُسينيّة في العراق والوطن العَرَبي، العراق، مكتبة النّهضة العَرَبيّة بالاشتراك مع دار الكتاب الجامعي في الإمارات العَرَبيّة المُتّحدة عام 2001.

7 ـ بريطانيا والعراق حقبة من الصّراع عام 1914 - 1958، دار الشُّؤون الثّقافية، بغداد، 2000.

8 ـ عبد الكريم قاسم والضُّبَّاط الأحرار والموقف من بريطانيا عام 1958، دار الشُّؤون الثّقافيّة، بغداد، 2003.